تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الأول

حققه وخرج أحاديثه
محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض — شارع عسير — ص. ب : ٧٦١٢
تليفون : ٤٣٥٩٧٤٠ / ٤٣٥٤٩٣٧

حقوق الطبع محفوظة
١٤٠٩هـ

تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة التحقيق »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد :

فإن العيش مع كتاب الله نعمة يدركها من أنعم الله بها عليه، وما أسعد الإنسان إذا جعل هذا الكتاب إمامه ـــ وهذا شأن المسلم ـــ فاهتدى بهديه بعد أن تدبر آياته! وما أسعد المجتمع الذي يجمع مثل هذا الفرد! وما أشد بؤس الذين حرموا أنفسهم من هدايته فخبطوا في حياتهم يمنة ويسرة، وانتهوا إلى ضياع أعمارهم وضياع دنياهم وآخرتهم: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) .

وإن أكثر الأوقات بركة تلك التي تقضى مع هذا الكتاب الكريم، إذ يعيش الإنسان مع كلام ربه عز وجل، فيحس أنه يناجيه فيرتقي مقامه، ويشعر بالعناية الإلهية تحيط به وترعاه وتأخذ بيده إلى حيث سعادته وفلاحه، سيما وهو يدرك ما فعل منزِّل هذا الكتاب به في الجيل الأول الذي تلقّاه وفي كل جيل أحْسَنَ التلقي والتزم التنفيذ. يحس عندئذ هذا الأثر العميق للقرآن في حياة الفرد والأمة متى أدركت عمن تتلقى وماذا عليها بعد التلقي. يقف على أسرار هذا الكتاب الكريم وهو يصوغ تلك النفوس صياغة جديدة جعلت منهم ـــ أفراداً ومجموعة ـــ نماذج فريدة متميزة في تاريخ البشرية الطويل.

ثم يدرك من يعيش مع كتاب الله عمق الخطر في دعاوى الذين يطالبون بنشر العامية تكلماً وكتابة، ولو حاولوا التستر وراء ما يطرحونه من صعوبة النحو العربي وإملائه، تلك الدعاوى التي تريد أن تقطع صلة الأمة بكتاب ربها عز وجل فتنسلخ عن مصدر الهداية لتُغرق في التيه والضياع.

ولكن الله عز وجل الذي تكفل بحفظ كتابه فقال : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه). أحبط ويحبط كل محاولة لتضييع هذا الكتاب، فحفظته الصدور وحفظته السطور، وقيض الله من يأخذ بيانه عن رسول الله ﷺ لتجد الأمة ما يعينها على فهم كتاب ربها وحُسنِ الأخذ به.

ولعل إمامنا ـــ البغوي ـــ من خير من قدم خدمة لكتاب الله عز وجل في تفسيره هذا (معالم التنزيل) حيث اعتمد على المأثور في بيان معنى الآية التي يفسرها كما سنفصل ذلك عند الكلام عن (منهجه في التفسير).

ولقد اتجهت هممنا لإخراج هذا الكتاب محققاً مستقلاً، بعد أن كان مطبوعاً طبعة حجرية قديمة، وعلى حاشية تفسير ابن كثير، وعلى حاشية تفسير الخازن، ليتم الانتفاع به على خير وجه، فعثرنا خلال البحث على مخطوطة بمكتبة الحرم المكي فعملنا على تصويرها، ثم طلبنا من الشيخ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط أن يبعث إلينا بمخطوطة في المكتبة الظاهرية فاستجاب لذلك وشجع على الإقدام فجزاه الله عنا خيراً، فبدأنا ونحن ندرك أهمية هذا العمل من خلال اطلاعنا على ما في الكتاب من علم يحتاجه المسلم، ومن خلال ثناء أهل العلم على الكتاب وعلى مؤلفه، وبعد أن قطعنا مرحلة إذ بخبر يقول : إن أخوين فاضلين قاما بتحقيق هذا الكتاب، وهو في طريقه إلى المكتبات، فتوقفنا وقلنا لا حاجة إلى تضييع الجهد والوقت، ولنعمل في كتاب آخر، إلى أن وصل الكتاب بمجلداته الأربعة، فتناولناه لدراسته ومعرفة مدى تحقيق الفائدة منه بإخراجه على هذه الصورة ففوجئنا ـــ وللحقيقة نقول ذلك ـــ بأن الكتاب لم يخدم على الوجه الذي ينبغي وقد وجدنا فيه:

١ ـــ اعتماد المطبوع وفيه ما فيه من الأخطاء .
٢ ـــ ترك أكثر الأحاديث بدون تخريج إلا القليل مما لم يذكره البغوي بإسناده.
٣ ـــ كثرة الأخطاء والتصحيفات والزيادة والنقص عن المخطوط.

وبعد مدارسة بعض صفحات الكتاب مع بعض أهل العلم واطلاعهم على عملنا أشاروا بمتابعة ما بدأناه ليتم الانتفاع من الكتاب الذي نال ثناء العلماء، فاستأنفنا العمل مستمدين من الله تعالى العون والتوفيق والأجر على خدمة كتابه العزيز، شاكرين لأستاذنا الفاضل الدكتور محمد أديب الصالح، الذي أفادنا بتوجيهاته، فجزاه الله خير الجزاء ومتع الأمة بأمثاله، كما نشكر كلاً من الأساتذة الأفاضل:

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، الذي تفضل وأفادنا بالحصول على صورة من مخطوطة المكتبة الظاهرية.
والأخ الدكتور مسفر غرم الله الدميني على ما أبداه من ملاحظات وإشارات جيدة، فبارك الله به وأثابه.
والأخ المهندس محمد ياسر صفر الحلبي الذي شاركنا وقتاً طويلاً في المقابلة والمراجعة.

وأخيراً نتوجه بالشكر إلى الأخ الفاضل عبد العزيز ناصر الجليِّل، صاحب مكتبة دار طيبة بالرياض ، التي تولت طباعة هذا الكتاب وإخراجه بهذه الحلة القشيبة.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

منهج البغوي في التفسير

إن معالم التنزيل كتاب متوسط، نقل فيه مصنفه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو من أجلِّ الكتب وأنبلها وأسناها، حاوٍ للصحيح من الأقوال، عارٍ عن الغموض والتكلف في توضيح النص القرآني، محلى بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة.

قال العلامة ابن تيمية: (والبغوي تفسيره مختصر من الثعالبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة، والآراء المبتدعة) وقد سئل عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي، أم البغوي؟ أو غير هؤلاء؟ فأجاب: «وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة ـــ البغوي»)[1] .

وقد بين البغوي شيئاً من ذلك في مقدمته إذ يقول:

«فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين: كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره فأجبتهم إليه، معتمداً على فضل الله وتيسيره، ممتثلاً وصية رسول الله ﷺ فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»[2]، واقتداءً بالماضين من السلف في تدوين العلم، إبقاء على الخَلَف».

استجاب أجزل الله مثوبته لرغبة طلابه وأصحابه آخذاً بوصية رسول الله ﷺ، مقتدياً بالسلف الصالح في كتابه العلم حيث يقول: «فجمعت ـــ بعون الله تعالى وحسن توفيقه ـــ فيما سألوه كتاباً متوسطاً، بين الطويل المملّ، والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيداً لمن أقبل على تحصيله مريداً»[3] .

ومن خلال البحث يمكننا أن نقف على منهج الإمام البغوي فنوجزه بما يلي :

١ ـــ يتعرض لتفسير الآية الكريمة بلفظ سهل موجز، لا تكلُّف في لغته ولا تطويل، فهو يكتفي

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣ /٣٨٦

(٢) انظر تخريجه فيما سيأتي، ص (٣٤).

(٣) انظر مقدمة المفسر ص (٣٤).

بالوقوف على الكلمة الغريبة ليكشف عن معناها بالرجوع إلى أصلها ومصدرها، مستدلاً بالآيات والأحاديث وما أثر عن الصحابة والتابعين وبأقوال أهل اللغة.

٢ ــ يسلك السبيل القويم في بيان المعاني فيفسر القرآن بالقرآن أو بالحديث أو بأقوال الصحابة، ويستأنس بأقوال التابعين والمجتهدين، وذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فما أُجمل في موضع فُصِّل في موضع آخر، وقد تخصص آية عموم آية أخرى.

ونجده يعتمد الجمع بين الآيات ذات المعنى الواحد، ليوضح معنى كلمة في الآية، كما فعل ــ على سبيل المثال ــ عند تفسير قوله تعالى: (ويمدهم في طغيانهم يعمهون)(١) إذ بيّن معنى المَدِّ ثم أورد قوله تعالى: (ونمدّ له من العذاب مداً)(٢) ثم بين معنى الإمداد فأورد قول الله تعالى: (وأمددناكم بأموال وبنين)(٣).

وعند قوله تعالى: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً)(٤) يقول: لأن الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً، وذلك معنى قوله تعالى: (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم)(٥).

وأما اعتماد الإمام البغوي على السنة في تفسير القرآن الكريم فهو سمة واضحة في تفسيره. كيف لا وهو محي السنة! ولذا فقد جاء تفسيره حافلاً بالأحاديث التي انتخبها فذكرها بأسانيدها، وقلَّ أن يذكر حديثاً بغير إسناد، أو يورد حديثاً ضعيفاً، وقد نجده يسوق عدة أحاديث عند الآية الواحدة كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: (يأأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)(٦) أو عند قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون)(٧)

٣ ــ يتعرض للقراءات من غير إسراف وذلك حين يجد أن القراءة يترتب عليها تَغَيُّر المعنى، كما في قوله تعالى: (وقرن في بيوتكن)(٨) إذ يقول رحمه الله: «قرأ أهل المدينة وعاصم وقَرن بفتح القاف، وقرأ الآخرون بكسرها، فمتى فتح القاف فمعناه: أقررن أي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان أقر قراراً ...... ومن كسر القاف فقد قيل: هو من قررت أقر معناه أقررن بكسر الراء، فحذفت

(١) سورة البقرة، الآية (١٥).
(٢) سورة مريم، الآية (٧٩).
(٣) سورة الاسراء، الآية (٦).
(٤) سورة البقرة، الآية (١٠).
(٥) سورة التوبة، الآية (١٢٥).
(٦) سورة البقرة، الآية (١٧٨).
(٧) سورة الشعراء، الآية (٢٢٤).
(٨) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا، وقيل ــ وهو الأصح ــ إنه أمرٌ من الوقار، كقولهم من الوعد: عدن، ومن الوصل: صلن، أي كُنَّ أهل وقار وسكون، من قولهم: وقر فلان يقر وقوراً إذا سكن واطمأن.

٤ ــ يعرض لرأي أهل السنة ولآراء مخالفيهم مع الانتصار لرأي أهل السنة مدللاً عليه بالمنقول والمعقول كما ذكر عند قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار)(١) مثبتاً الرؤية عياناً، مستدلاً بقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)(٢) وقوله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)(٣) وقوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(٤)، ثم بين أن النبي ﷺ فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، ثم أورد حديثاً في إثبات الرؤية، وفرق بين الإدراك والرؤية.

٥ ــ ويظهر بوضوح اهتمامه بالآراء الفقهية فكثيراً ما نجده يبسط آراء الفقهاء ويرجِّح رأي الشافعية وهو من أبرز فقهائهم، وأحياناً يورد الآراء بدون ترجيح والقارىء الكريم سيجد هذا المنهج من خلال قراءته لهذا التفسير.

٦ ــ يذكر أحياناً بعض الإسرائيليات، ونراه يمر على بعضها ــ وهي قليلة مقارنة بالتفاسير الموجودة بين أيدينا ــ دون التعقيب عليها، كما فعل عند ذكره لقصة هاروت وماروت في مسخ المرأة الجميلة إلى كوكب الزهرة؟ (الآية: ١١٢ من سورة البقرة) أو ما رواه عن الضحاك عند تفسير قوله تعالى: (وقتل داود جالوت) (الآية: ٢٥١ من سورة البقرة)، وفي مواضع أخرى ستأتي الإشارة إليها في التفسير إن شاء الله.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الاسرائيليات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ــ ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

ب ــ قسم يخالف شرعنا ويناقضه، وهو مردود ولا تصح روايته.

ت ــ قسم نتوقف فيه، فلا هو من القسم الأول، ولا من الثاني وهذا لا حرج من روايته إن كان موضوعه بعيداً عن العقيدة والأحكام.

فقد روى البخاري في تفسير سورة البقرة: باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وفي الاعتصام: باب قول النبي ﷺ : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

(٢) سورة القيامة، الآية (٢٢).

(٣) سورة المطففين، الآية (١٥).

(٤) سورة يونس، الآية (٢٦).

التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا (آمنا بالله وما أنزل ....) الآية.

والخير للمفسر أن يقلع عن هذه الإسرائيليات ــ أي القسمين الأخيرين ــ وأن يعرض عما لا طائل منه ويعد صارفاً وشاغلاً عن الأصول المعتمدة في شرعنا وهذا أحكم وأسلم.

٧ ــ ويلاحظ أنه رحمه الله أكثر الرواية عن الكلبي: وهو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث الكلبي، الكوفي، مات بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة. قال معتمر بن سليمان عن أبيه: كان بالكوفة كذابان، أحدهما الكلبي[١].

والحق أن البغوي، وهو من أهل الحديث وتحرير الروايات، لم يجعل ما ينقله عن الكلبي مناط الجزم في معنى الآية ولكنَّ التوسع في النقل أحياناً ليعلم الناس ما قيل في مفهوم الآية جعله يستشهد بأقوال الكلبي، علماً أنه قد يقول كلاماً جيداً في التفسير موافقاً لما ورد في المأثور. والكلبي معروفة رواياته، وموقف العلماء منها.

(١) قال البخاري: تركه ابن معين وابن مهدي.
وقال: حدثنا علي، حدثنا يحيى، عن سفيان، قال: قال الكلبي: قال لي أبو صالح: كل شيء حدثتك فهو كذب.
قال ابن عدي: وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث فعنده مناكير، وخاصة إذا روى عن أبي صالح عن ابن عباس.
وقال ابن حبان: كان الكلبي سبئياً، من أولئك الذين يقولون : إن علياً لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا، ويملؤها عدلاً كما ملئت جَوْراً، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها.
وقال أحمد بن زهير: قلت لأحمد بن حنبل: يحلُّ النظر في التفسير الكلبي؟ قال: لا.
قال ابن حبان: يروي عن أبي صالح عن ابن عباس ــ التفسير، وأبو صالح لم يرَ ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها. لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به!
انظر: الضعفاء الصغير للإمام البخاري، ومعه كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص(١٥٨، ٢٠٣) طبقات ابن سعد : ٦ /٣٥٨ ــ ٣٥٩. تهذيب التهذيب: ٩ /١٥٧ ــ ١٥٩ ــ تقريب التهذيب ٢ /١٦٣. ميزان الاعتدال: ٣/٥٥٦ ــ ٥٥٩ . المغني في الضعفاء للذهبي ٢/٢٠٠.

منهجنا في العمل

يتلخص منهجنا في إخراج هذا التفسير الجليل في الخطوات التالية:

١ ــ إخراج نص التفسير على ما يغلب على الظن أنه نص المؤلف، وذلك باعتماد إحدى النسخ أصلاً في التحقيق، لاعتبارات تذكر في حينها، ومقارنتها مع نسخة (ب) بحيث يعتمد نص الأصل، وإذا تيقنا من أن الصواب في غير الأصل لعبارة أو كلمة أثبتنا الصواب، وأشرنا في الحاشية عند الحاجة إلى ذلك، إذ كثيراً ما نجد فروقاً طفيفة في بعض الكلمات أو الحروف مما لا يؤثر على المعنى، فقد نجد في نسخةٍ العطف بالفاء وفي بعضها بالواو مثلاً، فلم نجد حاجة للإشارة إلى ذلك لئلا نثقل الكتاب بكثرة الهوامش التي لا ضرورة لها، ولئلا يتضخم حجم الكتاب.

٢ ــ عزو الآيات القرآنية الكريمة التي يستشهد بها المؤلف في التفسير، وتمييزها عن الآيات المفسرة بأقواس مختلفة.

٣ ــ تخريج الأحاديث النبوية بكاملها تخريجاً تفصيلياً بالعزو إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة والرقم في بعض الكتب، تسهيلاً للفائدة وتسهيلاً للرجوع إلى كل الطبعات عند اختلافها.

فإن كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما، اقتصرنا في العزو إليهما، لأن العزو إليهما مُعْلِمٌ بالصحة لأن الأمة قد تلقتهما بالقبول، وأما إن لم يُخَرَّج الحديث فيهما فنخرجه من سائر الكتب الأخرى . كالسنن، والمسانيد، والمصنفات، وننقل حكم العلماء والنقاد والمحدثين على الحديث، كالحافظ ابن حجر، والمُنذري والهيثمي، والبوصيري، وغيرهم، والأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ــ وهي قليلة ــ ننقل الحكم عليها وسبب علتها بالتفصيل.

وسواء أكان الحديث في الصحيحين أم في غيرهما، وقد أخرجه المصنف في كتابه «شرح السنة» فإننا نشير إلى موضعه، وقد أفدنا من ذلك في تصحيح كثير من التصحيفات في رجال السند بخاصة، كما أن العزو إليه يسهل معرفة رأي البغوي في الحديث ومعناه.

٤ ــ عزو أسباب النزول والروايات المختلفة في نزول الآيات إلى مظانها من كتب الحديث وكتب أسباب النزول، أو كتب التفسير الأخرى، كالدر المنثور، والطبري، وابن كثير.

٥ ــ قد تدعو الحاجة إلى تعليق أو تعقيب على بعض المواطن في التفسير لبيان رأي مرجوح، أو

الإشارة إلى بعض الإسرائيليات ونقدها، أو غير ذلك عند الحاجة، كما سيأتي في مواضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

٦ ــ إعادة توزيع النص وإخراجه بشكل يعين القارىء، ويسهل عليه المراجعة والقراءة، مع العناية بعلامات الترقيم، لما لذلك من أهمية في فهم المعنى بيسر وسهولة.

٧ ــ وتيسيراً للاستفادة من الكتاب بصورة أفضل، وتوفيراً للوقت على القارىء عند البحث عن تفسير آية معينة، فقد أثبتنا في أعلى كل صفحة اسم السورة ورقم الجزء.

هذا ولا ندَّعي أن عملنا هذا قد أوفى على الغاية، فلعلنا نعيد النظر فيه مرة ومرات، إن هيأ الله تعالى لنا الأسباب، ولنا ــ بعد عون الله تعالى ــ من ملاحظات الإخوة الباحثين والقراء خير ما يسعف في تصويب وتجويد عملنا هذا، في طبعات قادمة، أو في الأجزاء التي تلي الجزء الأول من هذا الكتاب إن شاء الله.

«فنسأل الله المبتدىء لنا بنِعَمِه قَبْلَ استحقاقها، المديمَها عَلَيْنَا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجَاعِلَنَا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهماً في كتابه، ثم سنَّةِ نبيه، وقولاً وعملاً يؤدى به عنا حقه ويوجب لنا نافلة مزيده»[1].

وأن يقبل منا عملنا هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويثيبنا عليه بما يثيب به عباده المخلصين.

والحمد لله رب العالمين،،

الطائف في ١ /٤ /١٤٠٨ **«المحققون»**

(١) اقتباس من افتتاحية الإمام الشافعي رحمه الله لكتابه «الرسالة» ص١٩.

«ترجمة الإمام البغوي»*

هو الإمام الحافظ، الفقيه المجتهد : محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرَّاء البغوي الشافعي ويلقب بركن الدين.

أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز، والسنة النبوية، بالعكوف على دراستهما، وتدريسهما، وكشف كنوزهما، وأسرارهما، والتأليف فيهما.

والفراء: نسبة إلى عمل الفراء وبيعها.

---

(١) بعض المراجع التي ترجمت للبغوي من أهمها:
(*) سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩ ــ ٤٤٣.
(*) العبر للذهبي: ٤٠٦/٢.
(*) تذكرة الحفاظ: ١٢٥٧/٤ ــ ١٢٥٩.
(*) البداية والنهاية: ١٩٣/١٢.
(*) شذرات الذهب : ٤٨/٤ ــ ٤٩.
(*) مرآة الجنان: ٢١٣/٣.
(*) طبقات الشافعية للسبكي : ٧ /٧٥ ــ ٨٠.
(*) وفيات الأعيان: ١٣٦/٢.
(*) طبقات الحفاظ ص٤٥٧.
(*) طبقات المفسرين ص٣٨ ــ ٣٩.
(*) معجم البلدان: ٤٦٨/١.
(*) كشف الظنون ١٩٥ ــ ٥١٧ ــ ١٦٩٨.
(*) الأعلام للزركلي ٢٥٩/٢.
(*) التفسير والمفسرون للذهبي ٢٣٤/١.
(*) معجم المؤلفين ٦١/٤.
(*) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.
(*) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده.
(*) الاستدراك لابن نقطه مخطوط الظاهرية.
(*) الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي مخطوط الظاهرية.
(*) مناقب الشافعي وأصحابه لابن قاضي شهبة مخطوط الظاهرية.
(*) أسماء الرجال الناقلين عن الشافعي والمنسوبين له لابن هدايه مخطوط الظاهرية.
(*) طبقات المفسرين للداووي مخطوط عارف حكمت.

والبغوي: بفتح الباء الموحدة، والغين المعجمة وبعدها واو، هذه النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها «بغ» و«بَغْشُوْر» بفتح الباء الموحدة، وسكون الغين المعجمة، وضم الشين، وبعدها واو ساكنة، ثم راء. وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل، هكذا قال السمعاني في كتاب «الأنساب».

مولده:

إن معظم المصادر التي ترجمت له لم تشر إلى السنة التي ولد فيها، غير أن ياقوت الحموي قال في معجم البلدان: إنه ولد سنة (٤٣٣هـ) أما الزركلي فأشار في الأعلام إلى أنه ولد سنة (٤٣٦هـ).

شيوخه:

سمع الإمام البغوي من عدد كثير من العلماء في التفسير، والحديث، والفقه نذكر بعضاً منهم:

١ ــ فقيه الشافعية وشيخهم القاضي حسين بن محمد المَرْوَزي، فقيه خراسان، وصاحب «التعليقة» المتوفى سنة (٤٦٢) هـ[١].

٢ ــ عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحي، الهروي، راوي الصحيح عن النعيمي، وكان صالحاً، أكثر عنه الرواية، توفى سنة (٤٦٣) هـ[٢].

٣ ــ الفقيه أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، المعروف: بشيخ الحجاز صنف كتاب «السلوة في علوم الصوفية» وكان فقيهاً فاضلاً، توفى سنة (٤٦٣) هـ[٣].

٤ ــ أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ــ نسبة إلى منيع جد ــ وكان حسان هذا رئيس مرو الروذ، الذي عمَّ فضله خراسان، ببره، وأفضاله، وأنشأ الجامع المنيعي، وكان يكسو في العام نحو ألف نفس، توفي سنة (٤٦٣)هـ[٤].

٥ ــ أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المروزي، الشيخ الجليل، المعمر، مُسنِد خراسان، تفرد عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي، مات في رمضان سنة (٤٦٣هـ) وله ست وتسعون سنة[٥].

٦ ــ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، بن عبد المالك بن طلحة النيسابوري القشيري الخراساني،

---

(١) شذرات الذهب ٣/٣١٠، العبر ٢/٣٤١٢، سير النبلاء ١٨/٢٦١، وفيات الأعيان ٢/١٣٤، كشف الظنون ١/٤٢٤ــ٥١٧.

(٢) سير النبلاء ١٨/٢٥٥، شذرات الذهب ٣/٣١٤، العبر ٢/٣١٥.

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ١/٣١٥.

(٤) شذرات الذهب: ٣/٣١٣ ــ ٣١٤ . العبر ٢/٣١٥.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٨/٢٥١. اللباب: ١/٢١٠.

الإمام الزاهد، القدوة، الشافعي المذهب، صاحب الرسالة المسماة «الرسالة القشيرية» صنف كتاب «نحو القلوب» «وكتاب لطائف الإشارات» وكتاب «الجواهر» وكتاب «أحكام السماع» وكتاب «عيون الأجوبة في فنون الأسئلة» وكتاب «المناجاة» وكتاب «المنتهى في نكت أولي النهى» وصنف التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير توفي سنة (٤٦٥)هـ[1].

٧ ـــ أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي النيسابوري الشيخ الرئيس، الثقة المُسنِد توفي سنة (٤٦٦)هـ[2].

٨ ـــ أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر النيسابوري الصوفي المؤذن، الإمام، الحافظ، الزاهد، المُسند، محدث خراسان، صنف «تاريخ مرو» وخرَّج ألف حديث عن ألف شيخ له، مات سنة (٤٧٠) هـ[3].

٩ ـــ أبو تراب عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح بن عبد الملك بن هارون المراغي النَّرِيزي، الشافعي، مفتي نيسابور، الإمام الفقيه العلامة توفي سنة (٤٩٢)هـ[4]

١٠ ـــ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داوود بن أحمد بن معاذ الداوودي البوشنجي، الإمام، العلامة، الورع، القدوة جمال الإسلام، شيخ خراسان علماً، وفضلاً، وجلالة، وسنداً، راوي الصحيح، توفي سنة (٤٦٧)هـ[5]

١١ ـــ ومنهم: عمر بن عبد العزيز الفاشاني الإمام الفاضل الفقيه . وأبو الحسن محمد بن محمد الشيرّزي، نسبة إلى شيرز قرية بسرخس، وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسي، وأبو محمد عبد الله بن عبد الصمد بن أحمد بن موسى الجوزجاني .

وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن جعفر الخَرَقي نسبة إلى «خرق» من قرى مرو، وعدة .

تلاميذه:

لقد أقبل عليه طلاب العلم لكثرة علمه، وفضله، وسعة معرفته بعلوم كثيرة، ومنهم:

١ ـــ الشيخ أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد حفده العطّاري ـــ تصحفت في شذرات الذهب

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/١٨ ـــ ١٣٢. تاريخ بغداد: ٨٣/١١، طبقات المفسرين ص٦١. شذرات الذهب : ٣١٩/٣، العبر: ٣١٩/٢. البداية والنهاية: ١٠٧/١٢.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١١٦٠/٣، العبر : ٣٢١/٢، شذرات الذهب: ٣٢٥/٣، سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/١٨.

(٣) تاريخ بغداد: ٢٦٧/٤، سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٨، تذكرة الحفاظ: ٣ /١١٦٢، العبر: ٣٢٧/٢، شذرات الذهب: ٣٣٥/٣، البداية والنهاية: ١١٨/٢، طبقات الحفاظ ص٤٣٧.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٧٠/١٩، البداية والنهاية: ١٥٧/١٢، العبر: ٣٦٦، شذرات الذهب: ٣٩٨/٣.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٢٢٢/١٨، شذرات الذهب: ٣٢٧/٣، البداية والنهاية: ١١٢/١٢، العبر: ٣٢٢/٢ .

إلى العطاردي والصحيح ما أثبتناه ــ وهو الذي روى كتابي «شرح السنة» «ومعالم التنزيل» توفي سنة (٥٧١)هـ[١].

٢ ــ الواعظ المحدث أبو الفتوح محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن محمد الطائي الهمداني، صاحب «الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل اليقين» توفي سنة (٥٥٥)هـ[٢].

٣ ــ أبو المكارم فضل الله بن المحدث العالم أبي سعيد محمد بن أحمد النوقاني الشافعي، وهو آخر من روى عنه بالإجازة، توفي سنة (٦٠٠)هـ[٣].

٤ ــ الحسن بن مسعود البغوي أبو علي أخو الإمام الحسين البغوي تفقه على أخيه[٤].

٥ ــ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الليثي وهو إمام ورع، حافظ لمذهب الشافعي.

٦ ــ مثاور بن فزكوه أبو مقاتل الديلمي اليزدي، يلقب بعماد الدين، وهو من كبار تلامذته، توفي سنة (٥٤٦)هـ[٥].

٧ ــ ومنهم محمد بن الحسين الزاغولي توفي سنة (٥٥٩هـ).

٨ ــ وعبد الرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي توفي سنة ٥٤٢هـ وغيرهم.

عقيدته:

والإمام البغوي من أئمة السلف الصالح، الذين تقيدوا بالكتاب والسنة، في مفهوم الاعتقاد وبخاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، ولنا على ذلك بعض الأدلة منها: تعليقه على الحديث الذي رواه مسلم في القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٤/٢٦٥٤) وذلك في الجزء الأول من كتابه العظيم شرح السنة ص(١٦٨) «قال الشيخ الإمام: والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله تعالى، كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك والفرح ــ إلى أن يقول في صفحة (١٧٠) فهذه ونظائرها صفات الله تعالى، ورد بها السمع يجب الايمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه

(١) شذرات الذهب: ٤/٢٤٠، وفيات الأعيان: ٤/٢٣٨، العبر: ٣/٦١.
البداية والنهاية: ١٢/٢٩٩، سير أعلام النبلاء: ٢٠/٥٣٩، تذكرة الحفاظ: ٤/١٣٣٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢٠/٣٦٠، شذرات الذهب: ٤/١٧٥، العبر: ٣/٢٥، كشف الظنون: ١/٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢١/٤١٣. وطبقات السبكي: ٨/٣٤٨.

(٤) طبقات الشافعية للاسنوي: ١/٢٠٧. وطبقات الشافعية للسبكي: ٤/٢١٢.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى: ٤/٣٠٠.

وتعالى لا يشبه شيءٌ من صفاته صفاتِ الخلق، كما لا تشبه ذاتُه ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) «الشورى» .

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل،» اهـ ثم يذكر مدللاً على ذلك أقوال السلف[1] وقد جاءت شهادات العلماء الذين ترجموا له تؤكد ذلك:

قال ابن شهبة في طبقات الشافعية (٣١٠/١): (وكان ديناً، عالماً، عاملاً على طريقة السلف) .

وقال طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة (١٠٢/٢): (كان ثبتاً حجة، صحيح العقيدة في الدين) .

صفاته وثناء العلماء عليه:

لقد تحلّى الإمام البغوي، رحمه الله، بصفات ومزايا كان لها أكبر الأثر في تسميته بلقب « محي السنة، والإمام» وغير ذلك من الصفات التي أثبتها له كل من ترجم له. فهو إمام في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، إمام في مذهبه الذي نشأ عليه، المذهب الشافعي، وذلك بحكم البيئة التي نشأ فيها، والعلماء الذين أخذ عنهم، إلا أنه لم يتعصب لإمامه، بل كان يتتبع الدليل، وينظر في أقوال العلماء وأدلتهم، وأخذ يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ اللذين هما أصل الدين وملاكه، ومنهما يصدر كل أمر شرعي. وهذا هو حال العلماء، الذين نهضوا بهذا الدين على بصيرة من أمرهم.

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: (كان البغوي يلقب بمحي السنة، وبركن الدين، وكان سيداً، إماماً، عالماً علامة، زاهداً، قانعاً باليسير) .

وقال السيوطي في طبقات الحفاظ: (وبورك له في تصانيفه، لقصده الصالح، فإنه كان من العلماء الربانيين، ذا تعبد ونسك، وقناعة باليسير) .

وقال أيضاً في طبقات المفسرين: (كان إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الفقه) .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (وكان علامة زمانه، وكان ديناً ورعاً، زاهداً، عابداً، صالحاً) .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان: (الفقيه، الشافعي، المحدث، المفسر، كان بحراً في العلوم) .

---

(١) انظر شرح السنة للمصنف ١٦٦/١ ــ ١٧١ .

آثـاره:

لقد ترك الإمام البغوي علوماً مفيدة وكثيرة في التفسير والحديث، والفقه، كان لها الأثر النافع، والعظيم فيمن جاء بعده، وكانت مؤلفاته تتصف بموضوعاتها القيمة، وبكلماتها السهلة، وبطريقتها المفيدة يتحرى فيها الحق، والانقياد وراء الأدلة الصحيحة، فقد وقف وقفات مع كتاب الله مبتعداً فيها عن حشو الكلام، وآراء المتكلمين، مع تقيده بالمأثور عن رسول الله ﷺ في فهم النص القرآني، وبمنهج الصحابة الكرام في ذلك، كما أنه روى الحديث واعتنى بدراسته، وشرحه ومعرفة صحيحه من سقيمه، وقد صنف كتباً كثيرة نذكر منها:

١ ــ **التهذيب**: في فقه الإمام الشافعي، وهو كتاب مشهور متداول عند الشافعية، كما أنه تأليف مهذب مجرد من الأدلة غالباً، لخصه من تعليقة شيخه القاضي حسين وعدَّل فيه زيادة وحذفاً، وكثيراً ما ينقل عنه الإمام النووي رحمه الله في كتابه «روضة الطالبين». وكتاب التهذيب يقع في أربعة مجلدات ضخام يوجد منه المجلد الرابع في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (٢٩٢) فقه شافعي يرجع تاريخ نسخه إلى سنة ٥٩٩هـ هذا ما أشار إليه محقق سير أعلام النبلاء ١٩/٤٤٠ .

٢ ــ **معالم التنزيل**: والمعروف بتفسير البغوي وقد تقدم الكلام عنه في مبحث منهج البغوي في التفسير إلا أننا نشير إلى أنَّ هذا التفسير قد طبع عدة طبعات كانت الأولى عام (١٢٨٥)هـ طبعة حجرية أثبت على حاشيتها بعض التعليقات والتراجم وهي في أربعة أجزاء مجموعة في مجلد واحد.

والثانية: المطبوعة على هامش تفسير ابن كثير في تسعة مجلدات طبعت بمطبعة المنار بمصر سنة (١٣٤٣)هـ.

والثالثة: النسخة المطبوعة على هامش (تفسير الخازن) في أربعة مجلدات.

والرابعة: التي صدرت قريباً في أربعة مجلدات بتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار. وجميع هذه الطبعات قد حوت من الأخطاء والتصحيفات، التي ظهرت خلال المقابلة مع النصوص المخطوطة، الشيءَ الكثير، مما حملنا على خدمة هذا التفسير العظيم.

٣ ــ **شرح السنة**: قال فيه مؤلفه في الجزء الأول ص٢ ــ ٤: «فهذا كتاب في شرح السنة، يتضمن إن شاء الله سبحانه وتعالى كثيراً من علوم الأحاديث، وفوائد الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ من حلِّ مشكلها، وتفسير غريبها، وبيان أحكامها، يترتب عليها من الفقه واختلاف العلماء جُمَلٌ لا يستغني عن معرفتها المرجوع إليه في الأحكام، المعوَّل عليه في دين الإسلام.

ولم أودع هذا الكتاب من الأحاديث إلا ما اعتمده أئمة السلف الذين هم أهل الصنعة، المُسلَّم لهم الأمر من أهل عصرهم، وما أودعوه كتُبَهم. فأما ما أعرضوا عنه من المقلوب، والموضوع، والمجهول واتفقوا

على تركه فقد صنت الكتاب عنه، وما لم أذكر أسانيدها من الأحاديث فأكثرها مسموعة، وعامتها في كتب الأئمة، غير أني تركت أسانيدها حذراً من الإطالة واعتماداً على نقل الأئمة» اهـ .

لقد جمع محي السنة في كتابه هذا بين الرواية والدراية، مما جعله من الكتب القيمة، بالإضافة إلى معرفته بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة، والمجتهدين وقد قام بخدمة هذا الكتاب كلٌّ من الأستاذين شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش وقد صدر عن المكتب الإسلامي ببيروت في ١٦ مجلداً مع الفهارس .

٤ ــ **مصابيح السنة**: جمع فيه مؤلفه طائفة من الأحاديث، محذوفة الأسانيد، اعتمد على نقل الأئمة لها، وقسم أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان وعنى بالصحاح ما أخرجه الشيخان، وبالحسان ما أخرجه أصحاب السنن وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشار إليه، وأعرض عن ذكر ما كان منكراً أو موضوعاً، وهو كتاب مشهور طبع أكثر من طبعة، واعتنى بشأنه العلماء بالقراءة والتعليق وعملوا عليه الكثير من الشروحات، من أهمها ما قام به الشيخ ولي الله أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب، حيث كمل المصابيح، وذيل أبوابه فذكر الصحابي الذي روى الحديث عنه، وذكر الكتاب الذي أخرجه منه، وزاد على كل باب من صحاحه وحسانه ــ إلا نادراً ــ فصلاً ثالثاً وسماه «مشكاة المصابيح» فصار كتاباً كاملاً[١] .

وقد طبع هذا الأخير عدة طبعات، وكان آخرها التي قام بنشرها المكتب الإسلامي بتحقيق الأستاذ/ ناصر الدين الألباني في ثلاثة مجلدات وطبع أيضاً مصابيح السنة في أربعة مجلدات .

٥ ــ **الأنوار في شمائل النبي المختار**: أشار إلى ذلك صاحب كشف الظنون[٢] والشيخ محمد بن جعفر الكتاني في كتاب الرسالة المستطرفة . رتبه على واحد ومائة باب على طريقة المحدثين بالأسانيد[٣] .

٦ ــ **الجمع بين الصحيحين**: ذكره صاحب معجم المؤلفين[٤] وبعض من ترجم له .

٧ ــ **الأربعين حديثاً**: ذكره ابن قاضي شهبة عن الذهبي .

٨ ــ **مجموعة من الفتاوى**: حوت فتاوى شيخه من المسائل الفقهية التي سئل عنها الإمام أبو علي الحسين بن محمد المروزي « صاحب التعليقة» فتتبعها البغوي وجمعها. توجد نسخة منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق[٥] .

---

(١) كشف الظنون ١٦٩٨/٢ .

(٢) كشف الظنون ١٩٥/١

(٣) الرسالة المستطرفة ص١٠٥ .

(٤) ٦١/٤ .

(٥) انظر شرح السنة ٢٩/١ .

وفـاتـه:

توفي رحمه الله بَمرْو الرُّوذ . مدينة من حدائق خراسان في شوال سنة ستّ عشرة وخمس مائة للهجرة. ودفن بجانب شيخه القاضي حسين، وعاش بضعاً وسبعين رحمه الله.

وصف النسخ

لقد حوت المكتبة الإسلامية الكثير من النسخ الخطية لهذا الكتاب القيم، وإن كانت تختلف في جودتها، ووضوحها، واستكمالها، وبعدها أو قربها من مؤلفها، وإليك بياناً ببعض تلك النسخ:

١ ــ نسخة «المكتبة الظاهرية» بدمشق حرسها الله وأعاد مجدها حصلنا عليها بواسطة الاستاذ الشيخ عبد القادر أرناؤوط، فجزاه الله خيراً، ورمزنا لها بالحرف (أ) وجعلناها أصلاً وهي نسخة كاملة، وواضحة الخط، وعليها بعض الحواشي، والتعليقات وافق الفراغ منها بالقدس الشريف في المدرسة الصلاحية يوم الثالث عشر من شوال، من شهور سنة خمس وعشرين وثمانمائة هجرية، وهي بخط سليمان بن أحمد بن سليمان الحدادي القرشي، الجزء الأول منها برقم خاص (٤٠) ورقم عام (٤١٣) تفسير، وعدد صفحاته (٢٢٣) ورقة من الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، والجزء الثاني برقم خاص (٤١) ورقم عام (٤١٤) تفسير، وعدد صفحاتها (٢٠٥) ورقة من سورة مريم إلى الناس .

٢ ــ نسخة «مكتبة الحرم المكي الشريف» برقم عام (٢٨٣) ورقم خاص (٢٥٧)، وهي نسخة واضحة ومتكاملة، ومتأخرة في النسخ عن نسخة الظاهرية ورمزنا لها بالحرف (ب) وتقع في مجلدين، وتنتهي بنهاية النصف الأول من القرآن الكريم، ولذا أكملنا النقص من نسخة أخرى في مكتبة الحرم أيضاً برقم (٧١٣) تفسير في مجلدين، والثاني منهما يقع في (٢٥٨) ورقة .

٣ ــ وقد حوت المكتبة المركزية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض العديد من النسخ الخطية بعضها مرمم والبعض الآخر ناقص.

فالنسخة الأولى: برقم (١٦٩٦) أولها (بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيخ الإمام الأجل السيد ناصر الحديث ركن الدين أبو محمد الحسين).

وجاء في نهايتها: (وقع الفراغ في تتميم هذه النسخة في غرة شهر رمضان سنة ثمان واربعين ومائة بعد ألف) .

عدد أوراقها ٥٠٤ .

والثانية: برقم (٣٦٢٩) جاء في أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن ياكريم، أخبرنا الشيخ الإمام عفيف الدين أبو علي الحسن بن ملجد بن إبراهيم المريدي رحمه الله قال:ــ

وآخرها: تفسير سورة التوبة عدد أوراقها: (٢٣٦) وهي مرممة ترميماً نتج عنه ضياع بعض الكلمات في بداية سورة الفاتحة ص٩ ــ ١٠ ــ ١١ ــ ١٣ ــ ١٤ .
ويوجد عليها حواشٍ وتعليقات .

والثالثة: رقمها (٣٧٨٢) عدد أوراقها (٢٠٨) تبدأ بسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وآخر المخطوطة كتبت هذه العبارة (آخر الجزء الأول من معالم التنزيل، وكان الفراغ من نسخه يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى عفو ربه)

والرابعة: برقم (٣٦٢٧) الجزء الأول فقط عدد أوراقها (٢٩٨) وفي ورقة ٢٩٧ كتب عليها: (تم الربع الأول بحمد الله وتوفيقه وكان الفراغ من كتاب (معالم التنزيل) بإذن الله الملك الجليل في يوم الجمعة قبل الظهر اثنين وعشرين يوماً خلا من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائة وتسعة وعشرين سنة ١١٢٩هـ .

هذا بالإضافة إلى العديد من النسخ الناقصة وقد اخترنا النسخة (أ) أصلاً، أي نسخة المكتبة الظاهرية وذلك لقربها من وفاة المؤلف ولتمامها ولوجود بعض الحواشي والتعليقات عليها واستعنا بعد عون الله تعالى وتوفيقه بالنسخة (ب) التي جعلناها في المرتبة الثانية وذلك لوضوحها وتمامها وسبب اقتصارنا على النسختين (أ ، ب) وصرف النظر عن غيرهما هو التحرز من ضغط الهوامش بالاختلافات التي قد تؤدي إلى النفور والملل، لعدم فائدتها للقارىء والله الهادي إلى سواء السبيل .

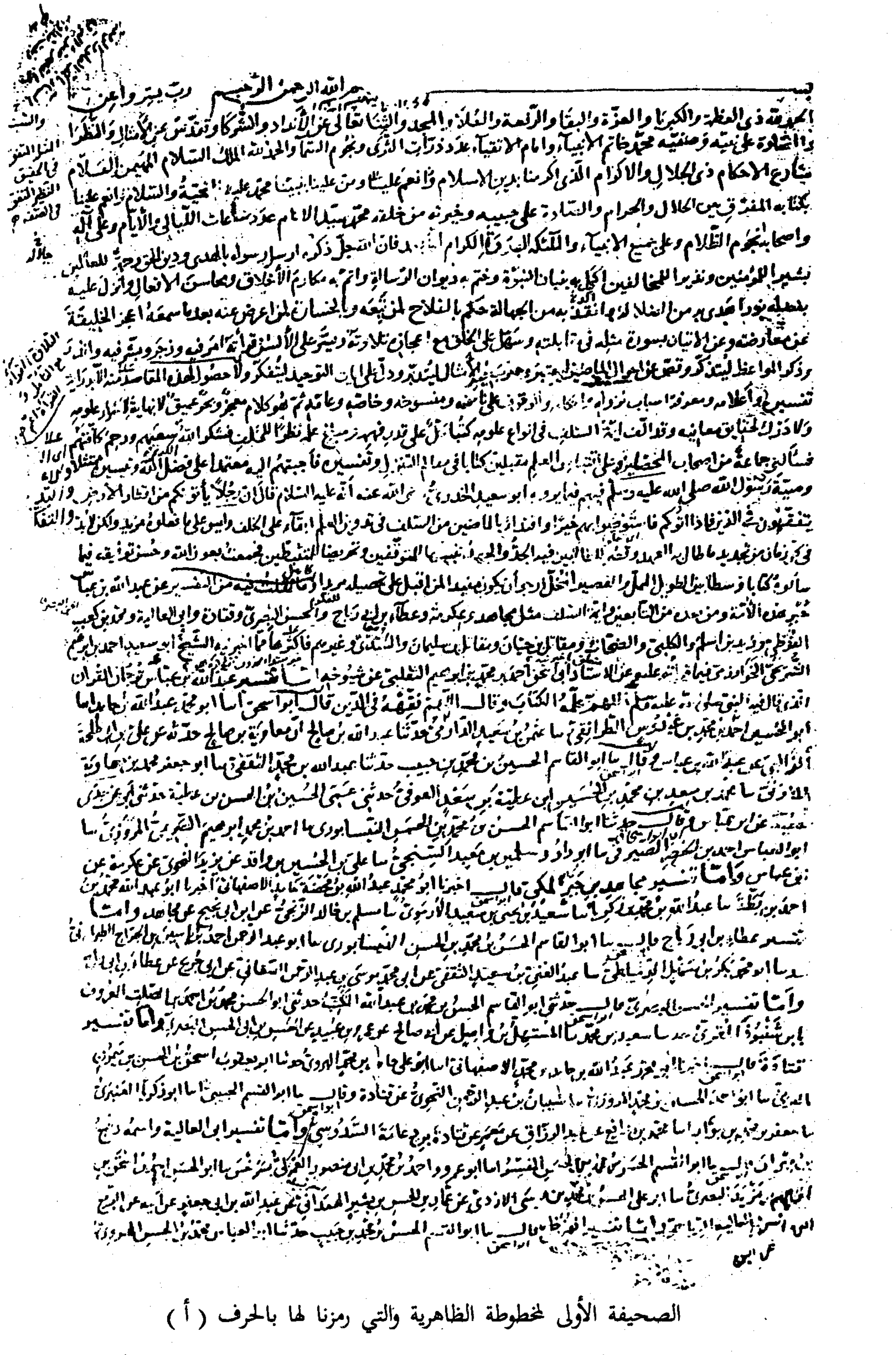

الصحيفة الأولى لمخطوطة الظاهرية والتي رمزنا لها بالحرف (أ)

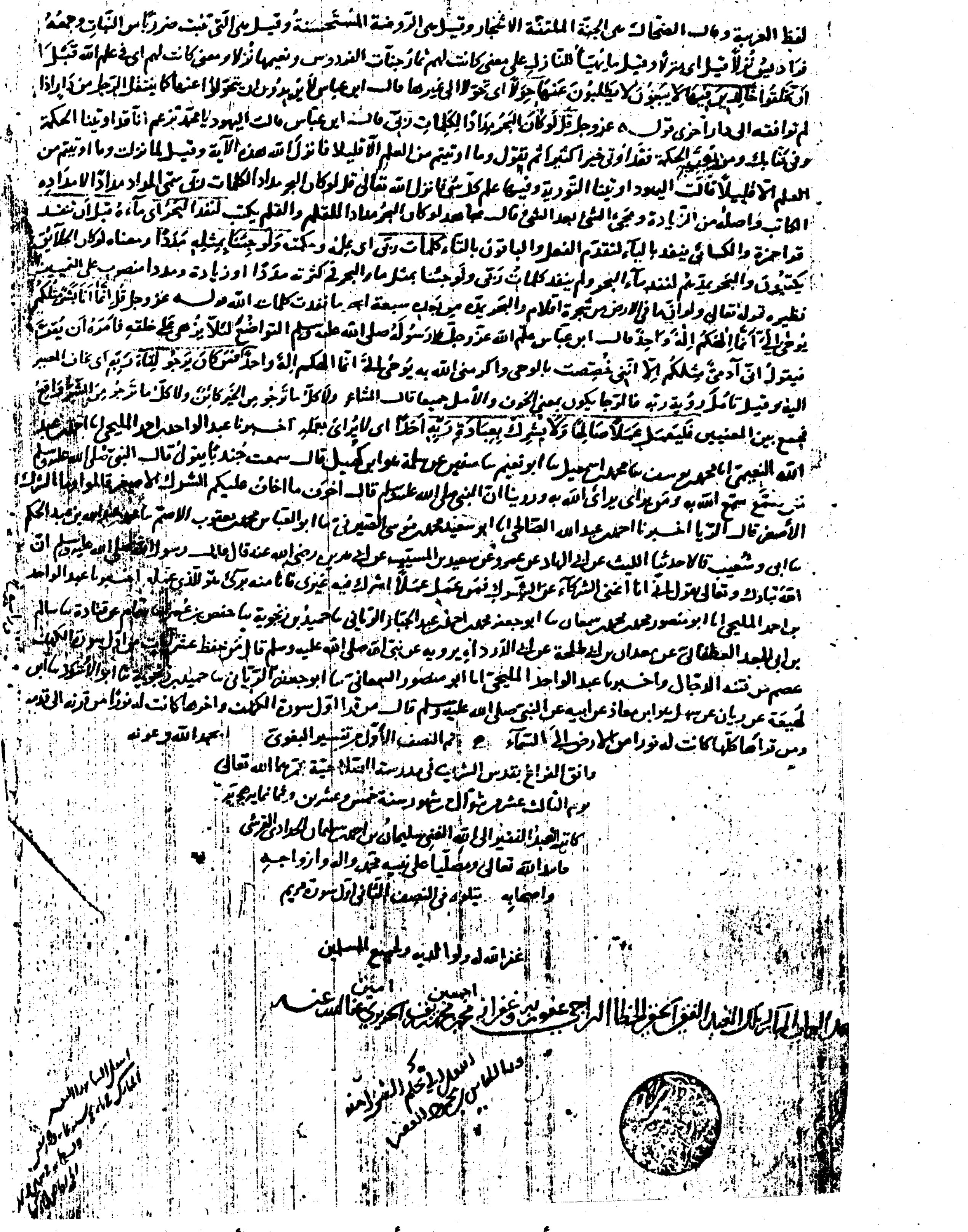
لفظ العربية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الروضة المستحسنة وقيل هي التي تنبت ضروبا من النبات وجمعه
فراديس نزلا اي منزلا وقيل ماتيا النازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا ومعنى كانت لهم اي في علم الله قبل ا
ان يخلقوا خالدين فيها لا يبغون لا يطلبون عنها حولا اي تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا
لم توافقه الى دار اخرى قوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة
وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت وما اوتيتم من
العلم الا قليلا قالت اليهود اوتينا التورية وفيها علم كل شيء فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا للكلمات ربي سمي المداد مدادا لامداده
الكاتب واصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب لنفد البحر اي ماؤه قبل ان تنفد
قرا حمزة والكسائي ينفد بالياء لتقدم الفعل والباقون بالتاء كلمات ربي اي علمه وحكمه ولو جئنا بمثله مددا ومعناه لو كان الخلائق
يكتبون والبحر يمدهم لنفد ماء البحر ولم تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا او زيادة ومددا منصوب على التمييز
نظيره قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد قال ابن عباس علم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهو على خلقه فامره ان يقر
فيقول اني آدمي مثلكم الا اني خصصت بالوحي واكرمني الله به يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه اي يخاف المصير
اليه وقيل يأمل رؤية ربه فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعا قال الشاعر ولا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع
فجمع بين المعنيين فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله اخبرنا عبد الواحد احمد المليحي انا احمد عبد
الله النعيمي انا محمد يوسف نا محمد اسمعيل نا ابو نعيم نا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال سمعت جندبا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم
من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الريا اخبرنا احمد عبد الله الصالحي انا ابو سعيد محمد موسى الصيرفي نا ابو العباس محمد يعقوب الاصم نا محمد عبد الله بن عبد الحكم
نا ابي وشعيب قالا حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عمرو عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو للذي عمله اخبرنا عبد الواحد
بن احمد المليحي انا ابو منصور محمد بن محمد سمعان نا ابو جعفر محمد بن احمد عبد الجبار الرياني نا حميد بن زنجويه نا حفص بن عمر نا همام عن قتادة نا سالم
بن ابي الجعد الغطفاني عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء يرويه عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف
عصم من فتنة الدجال واخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو منصور السمعاني نا ابو جعفر الرياني نا حميد بن زنجويه نا ابو الاسود نا ابن
لهيعة عن زبان عن سهل بن معاذ عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا اول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه
ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء تم النصف الاول من تفسير البغوي الحمد لله وعونه
واتفق الفراغ بتدريس الشباب في مدرسة الصلاحية رحمها الله تعالى
يوم الثالث عشر من شوال شهور سنة خمس وعشرين وثمانمائة هجرية
كاتبه العبد الفقير الى الله الغني سليمان بن احمد سليمان الحداد القرشي
حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه محمد واله وازواجه
واصحابه يتلوه في النصف الثاني اول سورة مريم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
آمين اجمعين

الصفحة الأخيرة من المجلد الأول ـ الظاهرية (أ)

سورة مريم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل كهيعص قرا ابو عمرو
بكسر الهاء وفتح الياء وضده ابن عامر وحمزة بكسرهما الكسائي وابو بكر والباقون بفتحهما ويظهر الدال عند الذال من صاد
ذكر ابن كثير ونافع وعاصم والباقون بالادغام قال ابن عباس هو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من اسماء القرآن
وقيل اسم السورة وقيل هو قسم اقسم الله به ويروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كهيعص قال الكاف من كريم و
كبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال الكلبي معناه كاف لخلقه هاد لعباده
يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده ذكر رفع بالمضمر اي هذا الذي نتلو عليك ذكر رحمت ربك عبده زكريا
برحمته اذ نادى دعا ربه في محرابه نداء خفيا دعا سرا من قومه في جوف الليل قال رب اني وهن ضعف ورق العظم مني
من الكبر قال قتادة اشتكى سقوط الاضراس واشتعل الرأس ابيض شعر الرأس شيبا شمطا ولم اكن بدعائك رب شقيا يقول
عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم اشق بترك الايمان واني خفت الموالي
الموالي بنو العم وقال مجاهد العصبة وقال ابو صالح الكلالة وقال الكلبي الورثة من ورائي اي من بعد موتي قرا ابن كثير
من وراي بفتح الياء والآخرون باسكانها وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك وليا اعطني من عندك وليا ابنا
يرثني ويرث من آل يعقوب قرا ابو عمرو والكسائي بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء وقرا الباقون بالرفع على الحال والصفة
اي وليا وارثا واختلفوا في هذا الارث قال الحسن معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث
النبوة والعلم وقيل اراد ارث الحبورة لان زكريا كان راس الاحبار قال الزجاج والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لانه
يبعد ان يشفق زكريا وهو نبي من الانبياء ان يرثه بنو اعمه ماله والمعنى انه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير احكامه على
ما كان شاهده من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه وليا صالحا يأمنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع
الدين وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس واجعله رب رضيا اي برا تقيا مرضيا قوله عز وجل يا زكريا انا نبشرك بغلام
وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاءه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة
والكلبي لم يسم احد قبله يحيى وقال سعيد بن جبير وعطاء لم نجعل له شبيها ومثلا كما قال تعالى هل تعلم له سميا اي مثلا والمعنى
انه لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وقيل لم يكن له مثل في امر النساء لانه كان سيدا وحصورا وقال علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس اي لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى انما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا
قبله وهما افضل منه قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا اي وامرأتي عاقر وقد بلغت من الكبر عتيا اي يبسا
قال قتادة يريد نحول العظم يقال عتا الشيخ يعتو عتيا وعسيا اذا انتهى سنه وكبر وشيخ عات وعاس اذا صار الى حالة اليبس
والجفاف وقرا حمزة والكسائي عتيا وبكيا وصليا وجثيا بكسر اوائلهن والباقون برفعها وهما لغتان قال كذلك قال ربك
هو علي هين يسير وقد خلقتك وقرا حمزة والكسائي وقد خلقناك بالنون والالف على التعظيم من قبل اي من قبل يحيى ولم تك شيئا
قال رب اجعل لي آية دلالة على حمل امرأتي قال آيتك ألا تكلم الناس ثلث ليال سويا اي سليما صحيحا من غير بأس ولا خرس
قال مجاهد لا يمنعك من الكلام مرض وقيل ثلث ليال سويا اي متتابعات والاول اصح وفي القصة انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع
الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه قوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح
لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ اخرج عليهم زكريا متغيرا لونه فانكروه قالوا ما لك يا زكريا فاوحى فاومى اليهم وقال مجاهد
اي صلوا لهم كتب لهم في الارض ان سبحوا بكرة غدوة وعشيا ومعناه انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلوة فلما كان وقت
حمل امرأته ومنع الكلام حتى خرج اليهم فامرهم بالصلوة اشارة قوله عز وجل يا يحيى قيل فيه حذف معناه ووهبنا له يحيى
وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التورية بقوة بجد وآتيناه الحكم قال ابن عباس النبوة صبيا وهو ابن ثلث سنين وقيل اراد بالحكم
فهم الكتاب فقرا التورية وهو صغير وعن بعض السلف من قرا القرآن قبل ان يبلغ فهو ممن اوتي الحكم صبيا وحنانا من لدنا رحمة من
عندنا قالت الحطيئة لعمر بن الخطاب تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا اي ترحم وزكوة قال ابن عباس يعني بالزكاة
الطاعة والاخلاص وقال قتادة هي العمل الصالح وهو قول الضحاك ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم
الى طاعة ربهم ويعملوا عملا صالحا في اخلاص وقال الكلبي يعني صدقة تصدق الله بها على ابويه وكان تقيا مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه
انه لم يعمل خطيئة ولا هم بها وبرا بوالديه اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا والجبار المتكبر وقيل الجبار الذي يضرب
ويقتل على الغضب والعصي العاصي وسلام عليه اي سلامة له يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قال سفين بن عيينة اوحش

الصفحة الأولى من المجلد الثاني ـ ظاهرية

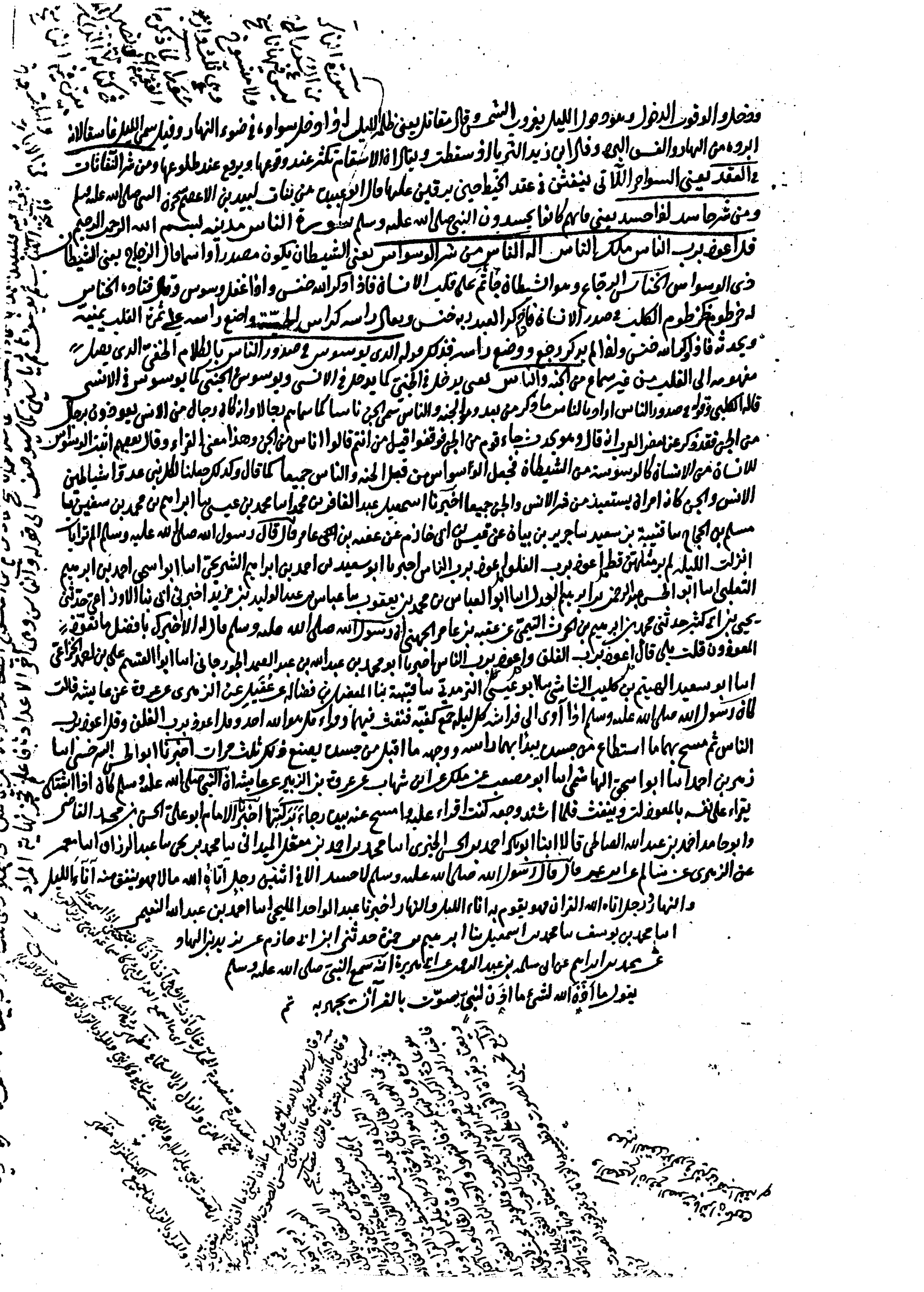

ودخلوا الوقوب الدخول وسود دور الليل بغروب الشمس وقال مقاتل يعني ظلمة الليل اذا دخل سواده في ضوء النهار وقيل سمي الليل غاسقا لانه
ابرد من النهار والغسق البرد وقال ابن زيد الثريا اذا سقطت وكانت الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها ومن شر النفاثات
في العقد يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها قال ابو عبيدة هن بنات لبيد بن الاعصم سحرن النبي صلى الله عليه وسلم
ومن شر حاسد اذا حسد يعني اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم سورة الناس مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس يعني الشيطان يكون مصدرا واسما قال الزجاج يعني الشيطان
ذي الوسواس الخناس الرجاع وهو الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس وقال قتادة الخناس
له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة القلب يمنيه
ويحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر رجع ووضع راسه فذلك قوله الذي يوسوس في صدور الناس بالكلام الخفي الذي يصل
مفهومه الى القلب من غير سماع من الجنة والناس يعني يدخل في الجني كما يدخل في الانسي ويوسوس الجني كما يوسوس في الانسي
قاله الكلبي وقوله في صدور الناس اراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس سمى الجن ناسا كما سماهم رجالا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن فقد ذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وهذا معنى الفراء وقال بعضهم اثبت الوسواس
للانسان من الانسان كالوسوسة من الشيطان فجعل الوسواس من قبل الجنة والناس جميعا كما قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن كان امرا يستعيذ من شر الانس والجن جميعا اخبرنا اسمعيل عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى نا ابراهيم بن محمد بن سفيان نا
مسلم بن الحجاج نا قتيبة بن سعيد نا جرير عن بيان عن قيس بن ابي حازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر آيات
انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس اخبرنا ابو سعيد بن احمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحق احمد بن ابراهيم
الثعلبي انا ابو الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم العدل انا ابو العباس بن محمد بن يعقوب نا عباس بن عبد الوليد بن مزيد اخبرني ابي نا الاوزاعي حدثني
يحيى بن ابي كثير حدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي عن عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ
المتعوذون قلت بلى قال قل اعوذ برب الفلق و قل اعوذ برب الناس اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني انا ابو القسم علي بن احمد الخزاعي
انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة نا المفضل بن فضالة عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عايشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب
الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما راسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلث مرات اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا
زاهر بن احمد انا ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن ملك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى
يقرا على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها اخبرنا الامام ابو علي الحسن بن محمد الفاضل
وابو حامد احمد بن عبد الله الصالحي قالا انا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري انا محمد بن احمد بن معقل الميداني نا محمد بن يحيى نا عبد الرزاق انا معمر
عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل
والنهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي
انا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابراهيم بن حمزة حدثني ابن ابي حازم عن يزيد بن الهاد
عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به تم

الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني – ظاهرية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
قال الشيخ الإمام الأجل محيي السنة ناصر الحديث ركن الدين أبو محمد الحسين بن
مسعود الفراء رحمه الله ... الحمد لله ذي العظمة والكبريا والعزة والبقا والرفعة والعلا
والمجد والثنا تعالى عن الأنداد والشركا وتقدس عن الأمثال والنظرا والصلاة على نبيه
وصفيه خاتم الأنبيا وإمام الأتقيا عدد ذرات الثرى ونجوم السما والحمد لله الملك السلام
المؤمن المهيمن العلام شارع الأحكام ذي الجلال والإكرام الذي أكرمنا بدين الإسلام
ومنّ علينا بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأنعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام
والصلاة على حبيبه وخيرته من خلقه محمد سيد الأنام عدد ساعات الليالي والأيام وعلى
آله وأصحابه نجوم الظلام وعلى جميع الأنبيا والملائكة البررة الكرام أما بعد
فإن الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيرا
للمؤمنين ونذيرا للمخالفين أكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة وأتم به مكارم
الأخلاق ومحاسن الأفعال وأنزل عليه بفضله نورا هدى به من الضلالة وأنقذ من
الجهالة وحكم بفلاح من اتبعه وبالخسار لمن أعرض عنه بعد ما أسمعه أعجز الخليقة
عن معارضته وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على الخلق مع إعجازه تلاوته
ويسر على الألسن قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر وقص عن أحوال
الماضين ليعتبر وضرب فيه الأمثال ليتدبر ودل على آيات التوحيد ليتفكر ولا
حصول لهذه المقاصد منه إلا بدراية تفسيره وإعلامه ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه والوقوف
على ناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه ثم هو كلام معجز وبحر عميق لا نهاية لأسراره وعجائبه
ولا إدراك لحقائق معانيه وقد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتبا كل على قدر فهمه ومبلغ
علمه فشكر الله سعيهم ورحمهم كافتهم فسألني جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم
مقبلين كتابا في معالم التنزيل وتفسيره فأجبتهم إليه معتمدا على فضل الله وتيسيره
متبعا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في
الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا واقتداء بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاء
على الخلف وليس على ما نقلوه مزيد ولكن لا بد في كل زمن من تجديد ما طال به العهد وقصر
للطالبين فيه الجد والجهد ... فجمعت بعون الله وحسن توفيقه فيما سألوا كتابا وسطا

الصحيفة الأولى لمخطوطة الحرم المكي والتي رمزنا لها بالحرف (ب)

قال ابن عباس علّم الله عز وجل رسوله

صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقر أنه آدمي مثلكم إلا أنه خص
بالوحي وأكرمه الله به يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لا شريك له
أي يخاف المصير إليه وقيل يأمل رؤية ربه والرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعا قال الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ... ولا كل ما ترجو من الشر واقع

فجمع بين المعنيين ... أي لا يرائي بعمله أخبرنا
عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم ثنا
سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال سمعت جندبا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمّع سمّع
الله به ومن يرائي يرائي الله به وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أخوف ما أخاف
عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء وأخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي
أنا أبو عمر بكر بن محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن عبد الله
بن عبد الحكم ثنا أبي ثنا شعيب قال حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عمرو عن سعيد بن المسيب
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء هو للذي عمله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور
محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا
حفص بن عمر ثنا همام عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد الغطفاني عن معدان بن أبي
طلحة عن أبي الدرداء يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات
من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا
أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابن أبي الأسود
ثنا ابن لهيعة عن زبان عن سهل هو ابن معاذ عن أبيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف أولها وآخرها كانت
له نورا من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا
من الأرض إلى السماء

الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني ـ نسخة الحرم

سورة مريم عليها السلام نزلت بمكة وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل كهيعص قرا ابو عمرو
بكسر الها وفتح اليا ضده ابن عامر وحمزة بكسرهما الكسائي وابو بكر الباقون بفتحهما ويظهر الدال عند
الذال من صاد ذكر ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والباقون بالادغام قال ابن عباس هو
اسم من اسماء الله عز وجل وقال قتادة اسم من اسما القرآن وقيل اسم للسورة وقيل هو قسم
اقسم الله به وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كهيعص قال الكاف من
كريم وكبير والها من هاد واليا من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال
الكلبي معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده
ذكر رفع بمضمر اي هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمت ربك وفيه تقديم وتاخير معناه ذكر
ربك عبده زكريا برحمته اذ نادى دعا ربه في محرابه ندا خفيا دعا سرا
من قومه في جوف الليل قال رب اني وهن العظم ضعف ورق العظم مني من الكبر
قال قتادة اشتكى سقوط الاضراس واشتعل الراس شيبا شمطا ولم اكن بدعائك
رب شقيا يقول عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان
امنت ولم اشق بترك الايمان واني خفت الموالي من وراي والموالي بنو العم وقال

مجاهد العصبة وقال ابو صالح الكلالة وقال الكلبي الورثة من وراي من بعد موتي قرا ابن

كثير من وراي بفتح اليا والاخرون باسكانها وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد فهب
لي من لدنك وليا اعطني من عندك وليا ابنا يرثني ويرث من آل يعقوب قرا
ابو عمرو والكسائي بجزم الثا فيهما على جواب الدعا وقرا الاخرون بالرفع على الحال والصفة اي وليا
وارثا واختلفوا في هذا الارث قال الحسن معناه يرثني مالي وقوله ويرث من آل يعقوب النبوة
والحبورة وقيل اراد ارث الحبورة لان زكريا كان راس الاحبار قال الزجاج والاولى ان
يحمل على ميراث غير المال لانه يبعد ان يشفق زكريا وهو نبي من الانبيا ان يرثه بنو عمه ماله
والمعنى انه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير احكامه على ما كان شاهده من بني اسرائيل من
تبديل الدين وقتل الانبيا فسال ربه ولدا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع
الدين وهذا معنى قول عطا عن ابن عباس واجعله رب رضيا اي برا تقيا مرضيا
قوله عز وجل يا زكريا انا نبشرك وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاه فقال
يا زكريا انا نبشرك بغلام بولد ذكر اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبي
لم يسم احد قبله يحيى وقال سعيد بن جبير وعطا لم نجعل له شبيها ومثلا كما قال الله تعالى هل
تعلم له سميا اي مثلا ومعنى انه لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وقيل لم يكن
له مثل في امر النسا لانه كان سيدا وحصورا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس لم تلد

العواقر مثله وقيل لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى انما اراد بعضها لان الخليل

اي ابيض شعر الراس

اراد ميراث النبوة والعلم

وقال

الصفحة الأولى من نسخة الحرم الثانية

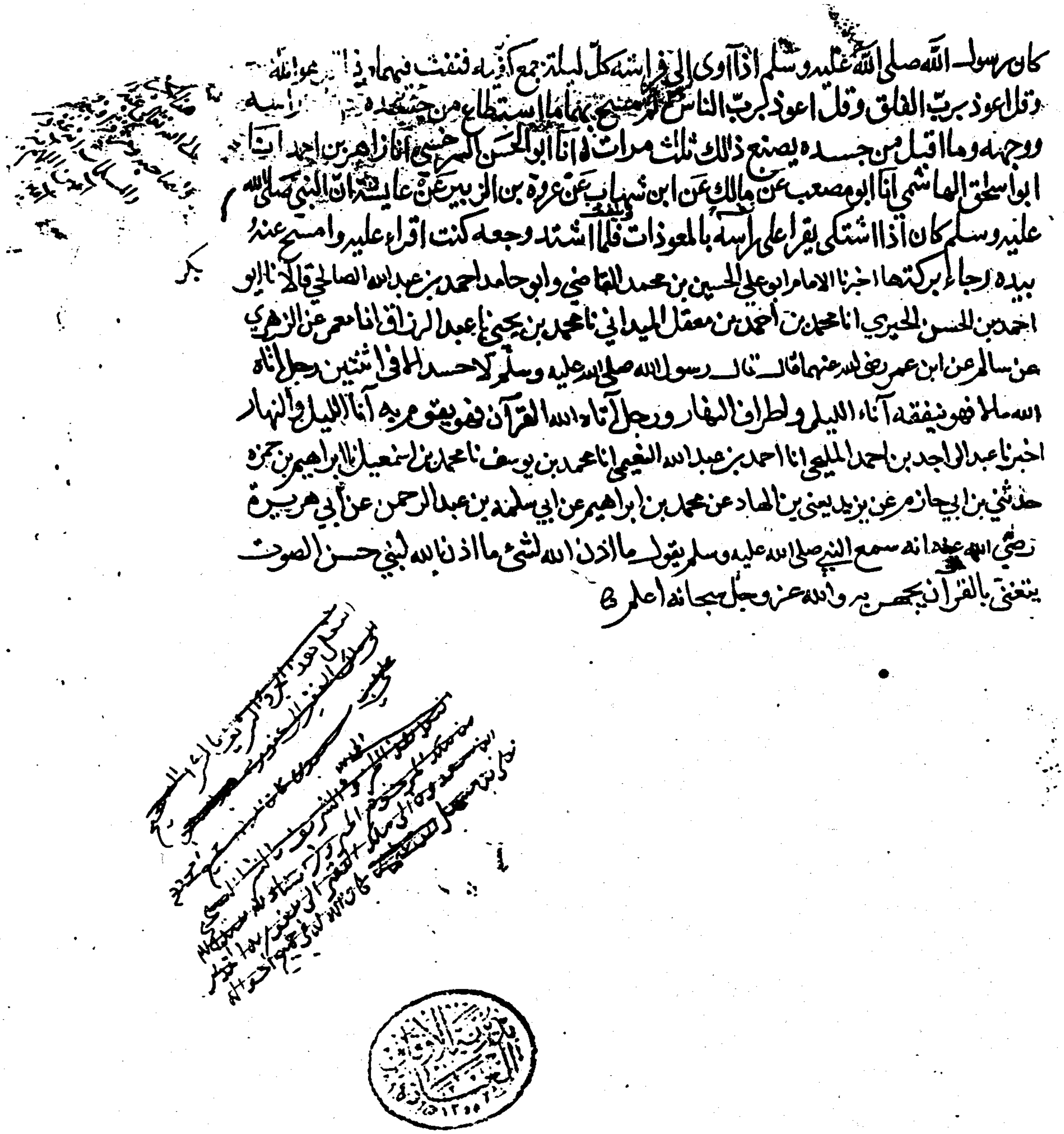

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله احد
وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على راسه
ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلث مرات ق انا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا
ابو اسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عايشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على راسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه
بيده رجاء بركتها اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي وابو حامد احمد بن عبد الله الصالحي قالا انا ابو
احمد بن الحسن الحيري انا محمد بن احمد بن معقل الميداني نا محمد بن يحيى نا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري
عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه
الله مالا فهو ينفقه آناء الليل واطراف النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار
اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابراهيم بن حمزة
حدثني ابن ابي حازم عن يزيد يعني ابن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله لشيء ما اذن الله لنبي حسن الصوت
يتغنى بالقران يجهر به والله عز وجل سبحانه اعلم

الصفحة الأخيرة من نسخة الحرم الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الأجلُّ السيد محيي السنة، ناصر الدين، مفتي الشرق والغرب، أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء رضي الله عنه وعن والديه:

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، والرفعة والعلاء، والمجد والثناء تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء، والصلاة على نبيه وصفيه محمد خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء، عدد ذرات الثرى، ونجوم السماء، والحمد لله الملك السلام، المؤمن المهيمن العلّام، شارع الأحكام، ذي الجلال والإكرام الذي أكرمنا بدين الإسلام ومنَّ علينا بنبينا محمد عليه التحية والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام، والصلاة [والسلام](*) على حبيبه، وخيرته من خلقه محمد سيد الأنام، عدد ساعات الليالي والأيام، وعلى آله وأصحابه نجوم الظلام، وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام.

أما بعـــد:

فإن الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وبشيراً للمؤمنين، ونذيراً للمخالفين، أكمل به بنيان النبوة، وختم به ديوان الرسالة، وأتم به مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، وأنزل عليه بفضله نوراً هَدَى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، وحكم بالفلاح لمن تبعه، وبالخسارة لمن أعرض عنه بعد ما سمعه أعجز الخليقة عن معارضته وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته، وسهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسنِ قراءته، أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليُتذكر، وقص عن أحوال الماضين ليُعتبر، وضرب فيه الأمثال ليُتدبر، ودل على آيات التوحيد ليُتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد فيه إلا بدراية تفسيره وأعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه، والوقوف على ناسخه ومنسوخه، وخاصِّه وعامه، ثم هو كلام معجز وبحر عميق، لا نهاية لأسرار علومه، ولا درك لحقائق معانيه، وقد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتباً، كلٌّ على قدر فهمه، ومبلغ علمه، (نظراً للخلف)(1)، فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافّتهم.

(1) ساقطة من (ب).

(*) ساقط من (أ).

فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين: كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه، معتمداً على فضل الله تعالى وتيسيره، ممتثلاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»[(١)].

واقتداء بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاء على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لابد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقَصُر للطالبين فيه الجد والجهد تنبيهاً للمتوقفين وتحريضاً للمتثبطين.

١/ب فجمعت - بعون الله تعالى وحسن توفيقه - فيما سألوا كتاباً وسطاً بين الطويل الممل،/ والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيداً لمن أقبل على تحصيله مريداً.

وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حبر هذه الأمة، ومن بعده من التابعين، وأئمة السلف، مثل: مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتاده، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم، والكلبي، والضحاك، ومقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان، والسُّدّي، وغيرهم فأكثرها مما أخبرنا به الشيخ أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي الخوارزمي، فيما قرأته عليه عن الأستاذ أبي اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه رحمهم الله.

أما تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم علمه الكتاب»[(٢)] وقال: «اللهم فقهه في الدين»[(٣)] قال أبو اسحاق: أخبرنا أبو محمد ابن عبد الله بن حامد أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبد الله بن صالح أن معاوية بن صالح حدثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن عبد الله بن عباس. وقال: أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا عبد الله بن محمد الثقفي أنا أبو جعفر محمد بن نصرويه المازني أنا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عطيه بن سعد العوفي قال حدثني عمي الحسين بن

---

(١) أخرجه الترمذي: في العلم ــ باب ما جاء في الايصاء بمن يطلب العلم: ٤٠٩/٧ ــ ٤١٠ وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هارون العبدي، وأبو هارون العبدي اسمه (عمارة بن جُوَيْن) متروك ومتهم بالكذب، شيعي من الرابعة. الجرح والتعديل ٣٦٣/٦. الميزان ١٧٣/٣. تهذيب التهذيب ٢٦٢/٧ الضعفاء والمتروكين ص ١٩٢ تقريب التهذيب. لسان الميزان ٣٢١/٧ وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب الوصاة بطلب العلم: ٩١/١ ــ ٩٢، وأخرجه أيضاً عن أبي هريرة وفيه: المعلّى بن هلال، كذَّبه أحمد وابن معين وغيرهما، ونسبه إلى الوضع غير واحد. انظر الجرح والتعديل ٣٣١/٨. المغني ٦٧١/٢. الميزان ١٥٢/٤. التقريب. تهذيب التهذيب ٢٤٠/١٠. لسان الميزان ٣٩٤/٧.

(٢) أخرجه البخاري: في العلم ــ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم علمه الكتاب) ١٦٩/١.

(٣) أخرجه البخاري: في الوضوء ــ باب: وضع الماء عند الخلاء ٢٤٤/١. ومسلم: في فضائل الصحابة ــ باب: فضل عبد الله بن عباس برقم (٢٤٧٧) ١٩٢٧/٤.

الحسن بن عطيه حدثني أبي عن جدي عطيه عن ابن عباس. وقال الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري أنا أحمد بن محمد إبراهيم الصريمي المروزي أنا أبو العباس أحمد بن الخضر الصيرفي، أنا أبو داود سليمان بن معبد السنجي[1] أنا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس.

وأما تفسير مجاهد بن جبر المكي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني قال أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة[2] ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي[3] ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وأما تفسير عطاء بن أبي رباح قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري ثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن ياسين بن الجراح الطبري أنا أبو محمد بن بكر بن سهل الدمياطي ثنا عبد الغني ابن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح.

وأما تفسير الحسن البصري قال: حدثني أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله بن المكتب حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن الصلت المعروف بابن شنبوذ المقرىء/ثنا سعيد بن محمد ثنا ٢/ أ
المستهل بن واصل عن أبي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

وأما تفسير قتادة قال: أنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني[4] أنا أبو علي حامد بن محمد بن الهروي ثنا أبو يعقوب إسحاق بن الحسن بن ميمون الحربي ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد المروزي ثنا شيبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة وقال ثنا أبو القاسم الحبيبي[5] أنا أبو زكريا العنبري ثنا جعفر ابن محمد بن سوار أنا محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي.

وأما تفسير أبي العالية واسمه رُفيع بن مهران قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر أنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن منصور العمركي بَسَرْخَس[6] ثنا أبو الحسن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم بن [يزيد][7] [البصري][8] أنا أبو علي الحسن بن موسى الأزدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمذاني

(١) في نسخه (أ) سليمان بن سعيد.
(٢) في نسخه (أ) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر.
(٣) في نسخه (ب) الأرموي.
(٤) في (ب) الأصبهاني.
(٥) في (أ) الحبيني.
(٦) سَرْخَس: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الخاء المعجمة، وآخره سين مهملة، ويقال سَرَخَس، بالتحريك، والأول أكثر: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق.
(٧) في ب: مزيد.
(٨) زيادة من (ب).

عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي.

وأما تفسير القرظي: قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي ثنا رجاء بن عبد الله أنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي.

وأما تفسير زيد بن أسلم قال: أنا الحسن بن محمد بن الحسن قال كتب إليَّ أحمد بن كامل ابن خلف أن محمد بن جرير الطبري حدثهم قال: ثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

وأما تفسير الكلبي: فقد قرأت بمرو على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستين وأربعمائة قال: أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن محمد بن يونس الخطيب الكُشْمِيْهَني في محرم سنة خمسين وأربعمائة قال أنا أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمد بن معروف [الهُرْمُزْفَرَهي][1] ثنا محمد بن علي الأنصاري المفسر ثنا علي بن اسحاق وصالح بن محمد السمرقندي قالا: ثنا محمد بن مروان السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح[2] أنا باذان مولى أم هانىء عن ابن عباس.

وأما تفسير الضحاك بن مزاحم الهذلي[3] قال: أنا الأستاذ إسحاق الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي ثنا أبو عمر أحمد بن محمد العمركي بسرخس ثنا جعفر بن محمد بن سوار ثنا أحمد بن محمد بن جميل المروزي ثنا أبو معاذ عن عبيد الله[4] بن سليمان الباهلي عن الضحاك.

وأما تفسير مقاتل بن حيان قال: أنا عبد الله بن حامد الوزَّاني ثنا أحمد بن محمد بن عبدوس ثنا إسماعيل بن قتيبة ثنا أبو خالد يزيد بن صالح الفراء النيسابوري حدثنا [بكير بن معروف البلخي
٢/ب الأسدي][5] أبو معاذ / عن مقاتل بن حيان.

وأما تفسير مقاتل بن سليمان قال: أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المهرجاني أنا أبو محمد عبد الخالق بن الحسين بن محمد السقطي المعروف بابن أبي رؤبة ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب المَقْرِيّ أبو محمد قال: حدثني أبي حدثني الهذيل بن حبيب أبو صالح [الدنداني][6] عن مقاتل بن سليمان.

---

(١) في الأصل الأهرمزوري، وفي (ب) الهرمزي. والتصويب من اللباب ٣/٣٨٥.

(٢) في ب: عن أبي نصر عن أبي صالح.

(٣) في ب: الهلالي.

(٤) في ب: عبيد بن سليمان.

(٥) في الأصل: بكر ... الأزدي. والتصويب من التهذيب.

(٦) في الأصل، الديداني، وفي المطبوع (حاشية ابن كثير) الزيداني والتصويب من اللباب ١/٥١٠.

وأما تفسير السدي قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أنا أبو الطيب محمد بن عبد الله ابن مبارك الشعيري ثنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد ثنا عمرو بن طلحة القناد عن اسباط عن اسماعيل السدي. وما نقلته عن المبتدأ لوهب بن منبه وعن المغازي لمحمد بن اسحاق أبو شعيب فأخبرنيه أبو سعيد الشريحي قال: أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال: أنبأني أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحاق بن الأزهري أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء العبدي قال: قرأت على أبي عبد الله عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه. وأنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق بن يسار المدني وأنا أبو سعيد الشريحي قال: أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن عقيل الأنصاري أنا أبو الحسن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو شعيب بن عبد الله بن الحسين الحراني أنا النفيلي أنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق.

فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة وهي مسموعة من طرق سواها تركت ذكرها حذراً من الإطالة وربما حكيت عنهم وعن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد بل أذكر أسانيد بعضها في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

ثم إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده. فهم متعبدون بتلاوته، وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذي اتفقت عليه الصحابة، وأن لا يجاوزوا فيما يوافق الخط عما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين، واتفقت الأئمة على اختيارهم.

وقد ذكرت في الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة، واختياراتهم على ما قرأته على الإمام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المروزي رحمه الله تلاوة ورواية قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران بإسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية(١) وهم : أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبو عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن المدنيان، وأبو معبد عبدالله بن كثير الداري المكي، وأبو عمران عبدالله بن عامر الشامي، وأبو عمرو زبان بن العلاء المازني، وأبو محمد يعقوب بن اسحاق الحضرمي البصريان، وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي، وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون فأما أبو جعفر فإنه أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة وغيرهما وهم قرأوا على أبي بن كعب، وأما نافع فإنه قرأ على أبي جعفر القاريء وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وشيبه بن نصاح وغيرهم من التابعين الذين قرأوا

(١) الغاية في القراءات العشر مخطوط في جامعة الرياض مصور عن عارف حكمت ٢٠ ورقة (الأعلام ١/١١٥).

على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال الأعرج قرأت على أبي هريرة، وقرأ أبو هريرة على أُبيٍّ بن كعب.

وأما عبد الله بن كثير فإنه قرأ على مجاهد بن جبر وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أبي ابن كعب، وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[وأما أبو عمرو فإنه قرأ على مجاهد وسعيد بن جبير، وهما قرآ على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبي ابن كعب وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم][1] وأما عبد الله بن عامر فإنه قرأ على المغيرة بن شهاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان.

• وأما عاصم فإنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب قال عاصم: وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأقرأ على زر بن حبيش، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود.

وأما حمزة فإنه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسليمان الأعمش، وحمران بن أعين وغيرهم. وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله، وقرأ حمران على أبي الأسود الدؤلي وقرأ أبو الأسود الدؤلي على عثمان وعلي.

وأما الكسائي فإنه قرأ على حمزة، وأما يعقوب فإنه قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الخراساني، وقرأ سلام على عاصم.

فذكرت قراءات هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها، وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية، أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير، ومالا يليق بحال التفسير، فأرجو أن يكون مباركاً على من أراده وبالله التوفيق.

(فصل في فضائل القرآن وتعليمه)

أنا عبد الواحد المليحي، أنا [أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح][2] أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد بن

(١) ساقط من المطبوع حاشية ابن كثير.
(٢) في الأصل (أ): أبو عبد الرحمن بن أبي شريح.

(عبيدة)[١] يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة: قلت: عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن الحجاج بن منهال عن شعبة[٢].

أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الصمد الترابي/ أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي ٣/أ
أنا أبو اسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشي، أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الشاشي ثنا حسين بن علي الجعفي قال: سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغُ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور[٣]. قال أبو عيسى: هذا (الحديث) لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، والحارث فيه مقال.

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان السمعاني أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا إسحاق بن عيسى قال: سمعت ابن لهيعة يقول: ثنا مشْرَح بن (هاعان)[٤] قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) في الأصل (أ): عبيد.

(٢) أخرجه البخاري: في فضائل القرآن ــ باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه: ٧٤/٩ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٢٧/٤ ــ ٤٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي: في فضائل القرآن ــ باب ما جاء في فضل القرآن (٢١٨/٨ ــ ٢٢١) وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال إذ كذبه الشعبي في رأيه، ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف (التقريب)، وأخرجه الطبراني مختصراً، قال الهيثمي: وفيه عمرو بن واقد وهو متروك. مجمع الزوائد ١٦٥/٧. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٣٨/٤.

(٤) في الأصل: هامان، والتصويب من التهذيب وشرح السنة، وفي سنن الدارمي: عاهان.

يقول: «لو كان هذا القرآن في إهاب ما مسته النار»(١) قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامه.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا جعفر ابن عون أنا إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: «[إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن](٢) هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فإن الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف»(٣) ورواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعاً.

أنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن متويه أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتب إليَّ أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد ابن الصندلي ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا علي بن عاصم عن ابراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بمعناه.

أنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن بامُويَة الأَصْبهاني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى القاضي الزُهْرِي بمكة أنا محمد بن اسماعيل بن سالم الصائغ أنا سليمان بن داود الهاشمي ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عامر بن وَاثِلَة أبي الطُّفيل أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعُسْفَان ــ وكان عمر استعمله على مكة ــ فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أَبْزَى قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل قارىء للقرآن عالم بالفرائض قاض فقال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يرفع بالقرآن

(١) رواه أحمد: ١٥١/٤، ١٥٥ عن عقبة بن عامر والدارمي: ٤٣٠/٢ وفي سنده عبد الله بن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه (التقريب) وله شاهد عند الطبراني من حديث عصمة بن مالك وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٣٦/٤.
قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى، وفيه ابن لهيعة، وفيه خلاف: ١٥٨/٧ وعن سهل بْن سعد: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار» قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك.
وفسر بعض رواة أبي يعلى الحديث بأن من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من الخنزير.

(٢) زيادة في نسخة (ب).

(٣) أخرجه الحاكم: ٥٥٥/١ وقال: تفرد به صالح بن عمر عن عبد الله بن مسعود، وهو صحيح، وتعقبه الذهبي بأن صالحاً ثقة خرّج له مسلم، لكن ابراهيم بن مسلم ضعيف. انظر: فيض القدير: ٥٤٦/١. الجرح والتعديل ١٣١/٢. تهذيب الكمال ٢٠٣/٢. الميزان ٦٥/١. التقريب. تهذيب التهذيب ١٦٤/١. الضعفاء والمتروكين ص٤٠.

أقواماً ويضع به آخرين»[١] صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب.

أنا أبو بكر بن محمد عبد الصمد الترابي المعروف بابن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنا جرير يعني ابن عبد الحميد عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[٢] قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه أنا أبو أيوب الدمشقي ثنا سعدان بن يحيى ثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي الحكم المليح الهذلي عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الانجيل المئين، وأعطيت مكان الزبور المثاني، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبيّ قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة»[٣] غريب.

(فصل في فضائل تلاوة القرآن)

أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة رضيَ الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران»[٤] صحيح. وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الإسناد: «الذي يقرأ القرآن

---

(١) رواه مسلم: في صلاة المسافرين ــ باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه برقم (٨١٧) ١/ ٥٥٩.
والمصنف في شرح السنة: ٤/ ٤٤٢.

(٢) رواه الترمذي: في فضائل القرآن ــ باب (رقم ١٨) ٨/ ٢٣١ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأحمد: ١/ ٢٢٣ عن ابن عباس والدارمي: في فضائل القرآن ــ باب: فضل من قرأ القرآن ٢/ ٤٢٩ وأخرجه الحاكم: وقال: صحيح الاسناد: ١/ ٥٥٤ وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان فيه لين (التقريب) والمصنف في شرح السنة: ٤/ ٤٤٣.

(٣) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني عن واثلة بن الأسقع بنحوه (مجمع الزوائد: ٧/ ١٥٨) وقال ابن كثير: هذا حديث غريب وسعيد بن بشير فيه لين.
وعن أبي أمامة: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطاني ربي السبع الطوال مكان التوراة» رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم ضعفه أحمد والنسائي ويحيى وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره (الميزان والتقريب). وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه البخاري: في التفسير ــ تفسير سورة عبس: ٨/ ٦٩١.
ومسلم: في صلاة المسافرين ــ باب: فضل الماهر بالقرآن ... برقم (٧٩٨) ١/ ٥٥٠.
والمصنف في شرح السنة: ٤/ ٤٢٩.

وهو ماهر مع السفرة الكرام البررة»

أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا أبو علي الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفان ثنا أبان بن يزيد ثنا قتادة عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُترُجَّة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»[1] صحيح أخرجه البخاري عن قتيبه عن أبي عوانة عن قتادة.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عاصم، يعنى ابن بهدلة، عن زر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ: وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[2] قال أبو عيسى هذا حديث صحيح حسن.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه، ثنا النضر بن شميل ثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي أمامة أنه حدثه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعاً لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صوافٍّ تُحاجَّان عن صاحبهما اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البَطَلَة»[3] صحيح.

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجوية ثنا
٣/ب أبو نعيم ثنا بشير بن مهاجر الغنوي/ثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة، ثم سكت

---

(١) رواه البخاري: في فضائل القرآن ـــ باب: فضل القرآن على سائر الكلام: ٦٥/٩ ـــ ٦٦.
ومسلم: في صلاة المسافرين ـــ باب: فضل الماهر بالقرآن برقم (٧٩٧) ٥٤٩/١.
والمصنف في شرح السنة: ٤٣١/٤ ـــ ٤٣٢.

(٢) رواه أبو داود: في الصلاة ـــ باب: كيف يستحب الترتيل في القراءة ١٣٦/٢. والترمذي: في ثواب القرآن ـــ باب: الذي ليس في جوفه قرآن: ٢٣٢/٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأحمد: ١٩٢/٢ عن عبد الله بن عمر.
وابن حبان: في موارد الظمآن برقم (١٧٩٠) ص ٤٤٢/٤٤٣.
والحاكم: ٥٥٢/١ ـــ ٥٥٣ وقال: صحيح ووافقه الذهبي، والمصنف في شرح السنة: ٤٣٥/٤.

(٣) رواه مسلم: في صلاة المسافرين ـــ باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٤) ٥٥٣/١.
والمصنف في شرح السنة: ٤٥٦/٤ ـــ ٤٥٧.

ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما تُظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن أظمأتك بالهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حُـلَّتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعودها مادام يقرأ، هذّاً كان أو ترتيلاً»(١) غريب.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو أيوب الدمشقي ثنا اسماعيل بن عياش ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كتبت له حسنة مضاعفة ومن قرأ آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة»(٢).

أخبرنا الإمام أبو علي حسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر (محمد)(٣) بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ثنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفاتٍ(٤) عِظام سمان؟ قلنا نعم قال: فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان»(٥) صحيح.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الأسود ثنا ابن لهيعه عن زبان هو ابن فايدٍ عن سهل، هو ابن معاذ الجهني، عن أبيه رضي الله عنه عن

---

(١) رواه أحمد: ٣٤٨/٥ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.
والمصنف في شرح السنة ٤٥٤/٤ وقال: هذا حديث حسن غريب. وأورده ابن كثير في التفسير ٣٤/١ وقال: وروى ابن حبان بعضه، وهذا إسناد حسن على شرط مسلم، فإن بشيراً أخرج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائي: ما به بأس، إلا أن الإمام أحمد قال: هو منكر الحديث.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد: روى ابن حبان منه طرفاً، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ١٥٩/١.

(٢) رواه أحمد: ٣٤١/٢ عن أبي هريرة، قال الحافظ العراقي: وفيه ضعف وانقطاع، وقال تلميذه الهيثمي: فيه عبّاد بن ميسرة، ضعفّه أحمد وغيره، ووثقه ابن معين مرة وضعفه أخرى، ووثقه ابن حبان، انظر: فيض القدير: ٥٩/٦، مجمع الزوائد: ١٦٢/٧ الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٧٣.

(٣) في ب: أحمد وهو خطأ، انظر: اللباب: ٨٤/٢.

(٤) الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها. ثم هي عشار، والواحدة خَلِفَة وعشراء.

(٥) رواه مسلم: صلاة المسافرين ـــ باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه برقم (٨٠٢) ٥٥٢/١.
والمصنف في شرح السنة: ٤٣٤/٤.

النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فأحكمه وعمل بما فيه أُلبس والداه يوم القيامه تاجاً ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به»(١).

أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا محمد بن عبد الله الصفَّار ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن خيثمة عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأل فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله عز وجل به فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به»(٢) رواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد عن سفيان عن الأعمش عن خيثمة عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال. وقال محمد بن اسماعيل هو خيثمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي وليس هو خيثمة بن عبد الرحمن.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣/٤٤٠ عن معاذ بن أنس الجهني وأبو داود في الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن: ٢/١٣٣.
والحاكم: ١/٥٦٧، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فاعترض الذهبي بقوله: «قلت: زبَّان ليس بالقوى».
وقال المنذري في مختصر السنن: سهل بن معاذ ضعيف، ورواه عنه زَبَّان بن فايد وهو ضعيف أيضاً ورواه الآجري في أخلاق أهل القرآن برقم (٢٢) ص٨١. وانظر تعليق المحقق عليه.

(٢) رواه الترمذي في ثواب القرآن ــ باب رقم (٢٠) ٨/٢٣٥، وقال: هذا حديث حسن، وخيثمة شيخ بصري يكنى: أبو نصر، قد روى عن أنس بن مالك أحاديث.
وأحمد: ٤/٤٣٢، عن عمران بن حصين.
والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٤٢، ونقل تحسين الترمذي له.

(فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم)

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا أبو اسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا أبو محمد عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق أنا الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»(١).

أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن البصري ثنا أبو الفضل العباس بن محمد الدوري أخبرنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانه عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»(٢).

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي حدثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه أنا ابراهيم بن خزيم أنا عبد بن حميد ثنا حبان بن هلال ثنا سهيل أخو حزم القطيعي، ثنا أبو عمران (الجوني)(٣) عن جندب ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»(٤) غريب.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه؛ ٢٧٧/٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وعزاه المناوي لأبي داوود والنسائي في الفضائل، ولعله في الكبرى، ورواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفاً؛ ٧٨/١، تحقيق شاكر.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٨/١.
وفيه عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، الكوفي، صدوق يهم، من السادسة.
ضعفه أحمد وأبو زرعة وقال النسائي: ليس بذاك القوي. انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٦٥، وميزان الاعتدال ٥٣٠/٢، الجرح والتعديل ٢٥/٦، تقريب التهذيب، تهذيب التهذيب ٩٤/٦ وغيرها.

(٢) أخرجه أحمد: ٢٦٩/١ عن ابن عباس.
والترمذي في التفسير ـــ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٧٧/٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
والطبري برقم (٧٣ ـــ ٧٧) وقال الشيخ شاكر: تدور هذه الأحاديث كلها على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وقد تكلموا فيه كما سبق.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٧/١، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) في الأصل الجوفي.

(٤) رواه أبو داود في العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم: ٢٤٩/٥، والترمذي في التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٧٩/٨، وقال: هذا حديث غريب. =

وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى «وفاكهة وأبًّا» (٣١ ــ عبس) فقال: وأي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة قال حماد: قلت لأيوب: ما معنى قول أبي الدرداء رضي الله عنه؟ فجعل يتفكر فقلت: هو أن ترى له وجوهاً فتهاب الإقدام عليه فقال: هو ذاك، هو ذاك.

قال شيخنا الإمام رحمه الله: قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قِبَلِ نفسه شيئاً من غير علم. فأما التأويل ــ وهو صرف الآية إلى معنى محتملٍ موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط ــ فقد رخص فيه لأهل العلم.

أما التفسير: وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل.

وأصل التفسير من التفسرة وهي: الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها.

واشتقاق التأويل من الأَوْل وهو الرجوع يقال: أوّلْتُه فآل أي: صرفته فانصرف.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن واصل بن حيان عن أبي هذيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حدّ مطلع ويروى لكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع»(١) واختلفوا في تأويله، قيل: الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله. وقيل: الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعلوا فيحل به ما حل بهم وقيل معنى الظهر

= وعزاه المنذري للنسائي وقال: سهيل بن أبي حزم: بصري، واسم أبي حزم مهران، وقد تكلم فيه الإمام أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم، ورمز السيوطي في الجامع الصغير لحسنه، قال المناوي: لعله لاعتضاده، وإلا ففيه سهيل بن عبد الله... فيض القدير: ١٩١/٦.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٩/١.

(١) رواه الطبري: ٢٢/١ ــ ٢٣ برقم (١٠، ١١) بإسنادين ضعيفين، أما أحدهما: فلانقطاعة بجهالة راويه وأما الآخر: فمن أجل ابراهيم الهجري. فهو ضعيف، ضعفه ابن معين والنسائي وقال أبو حاتم: ليس بالقوي الجرح والتعديل ١٣١/٢، تهذيب الكمال ٢٠٣/٢، الضعفاء والمتروكين ص٤٠ ميزان الاعتدال ٦٥/١ تهذيب التهذيب ١٦٤/١، تقريب التهذيب.
والفقرة الأولى منه عند البخاري في فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: ٢٣/٩.
ومسلم في صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف برقم (٨١٨): ٥٦٠/١ .
ورواه أيضاً: ابن حبان برقم (٧٤)، قال الهيثمي: رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط باختصار آخره، ورجال أحدهما ثقات، مجمع الزوائد: ١٥٢/٧.

والبطن: التلاوة والتفهم، يقول: لكل آية ظاهر وهو أن يقرأها كما أنزلت قال الله تعالى: «ورتل القرآن ترتيلاً» (٤ ــ المزمل) وباطن وهو التدبر والتفكر قال الله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته» (٢٩ ــ ص) ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس، / والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وطيب الطعمه، وقوله لكل حرف حدّ أراد له حدٌّ في التلاوة والتفسير لا يجاوز، ففي التلاوة لا يجاوز المصحف، وفي التفسير لا يجاوز المسموع، وقوله لكل حد مطلع أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه ويقال: المطلع الفهم. وقد يفتح الله على المدبِّر والمتفكر في التأويل والمعاني مالا يفتح على غيره، وفوق كل ذي علم عليم. ٤/ أ

سورة فاتحة الكتاب

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني.

سميت فاتحة الكتاب: لأن الله بها افتتح القرآن. وسميت أم القرآن وأم الكتاب: لأنها أصل القرآن منها بدىء القرآن، وأم الشيء: أصله، ويقال لمكة: أم القرى لأنها أصل البلاد دحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصلاة، والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق العلماء. وسميت مثاني لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة، وقال مجاهد سميت مثاني لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة فذخرها لهم.

وهي مكية على قول الأكثرين. وقال مجاهد: مدنية وقيل: نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني والأول أصح، أنها مكية، لأن الله تعالى مَنَّ على الرسول ﷺ بقوله: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني» (٨٧ ــ الحجر) والمراد منها فاتحة الكتاب وسورة الحجر مكية فلم يكن يمنّ عليه بها قبل نزولها.

سُورَةُ الفَاتِحَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ قوله: بسم الله الباء أداة تخفض ما بعدها مثل: من وعن، والمتعلق به الباء محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: أبدأ بسم الله، أو قل: بسم الله. وأسقطت الألف من الاسم طلباً للخفة وكثرة استعمالها وطولت الباء قال القُتَيبي ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم، كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتّابه: طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما، ودوروا الميم. تعظيماً

لكتاب الله تعالى وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالاً على سقوط الألف، ألا ترى أنه لما كتبت الألف في «اقرأ باسم ربك» (١ ــ العلق) ردت الباء إلى صيغتها ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء.

والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى: «إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى» (٧ ــ مريم) أخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الأسم فقال: «يا يحيى» وقال: «ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها» (٤٠ ــ يوسف) وأراد الأشخاص المعبودة لأنهم كانوا يعبدون المسميات وقال: «سبح اسم ربك» (١ ــ الاعلى)، [وتبارك اسم ربك][(١)] (٧٨ ــ الرحمن) ثم يقال للتسمية أيضاً اسم فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى [فإن قيل ما معنى التسمية من الله لنفسه؟ قيل هو تعليم للعباد كيف يفتتحون القراءة][(٢)].

واختلفوا في اشتقاقه قال المبرد في البصريين: هو مشتق من السمو وهو العلو، فكأنه علا على معناه وظهر عليه، وصار معناه تحته، وقال ثعلب في الكوفيين: هو من الوسم والسمة وهي العلامة وكأنه علامة لمعناه والأول أصح لأنه يُصَغَّر على السُّمَيِّ ولو كان من السمة لكان يُصَغَّر على الوسيم كما يقال في الوعد وعيد ويقال في تصريفه سميت ولو كان في الوسم لقيل: وَسِمْتُ. قوله تعالى: «الله» قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاص لله عز وجل لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمرو. وقال جماعة هو مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: من أله إلاهة أي عبد عبادة وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويذرك والإهتك» (١٢٧ ــ الأعراف) أي عبادتك ــ معناه أنه مستحق للعبادة دون غيره وقيل أصله إله قال الله عز وجل: «وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق» (٩١ ــ المؤمنون) قال المبرد: هو من قول العرب ألهت إلى فلان أي سكنت إليه قال الشاعر:

* ألهت إليها والحوادث جمةٌ

فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، ويقال: ألهتُ إليه، أي فزعت إليه قال الشاعر :

* ألهت إليها والركائب وُ قَّفٌ

وقيل أصل الإله ولاه فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح واشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يَوْلَهُونَ إليه أي يفزعون إليه في الشدائد، ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه، وقيل هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك.

(١) من نسخة (ب).
(٢) ساقط من (أ).

قوله ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. واختلفوا فيهما منهم من قال: هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر (تطميعاً)[1] لقلوب الراغبين. وقال المبرد: هو إنعام بعد إنعام، وتفضل بعد تفضل، ومنهم من فرق بينهما فقال: الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص. فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق. والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص ولذلك قيل في الدعاء: يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من تصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيماً ولا يدعى غير الله رحمن. فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله. وقيل هي ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق، فهي على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة (فعل)[2].

واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك. وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها من الفاتحة وليست من سائر السور وأنها كتبت للفصل وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن.

واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات فالآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم) وابتداء الآية الأخيرة (صراط الذين) ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداؤها (الحمد لله رب العالمين) وابتداء الآية الأخيرة (غير المغضوب عليهم) واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن، وبما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: أخبرني أُبي عن سعيد بن جبير (قال)[3] «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» (٨٧ ـــ الحجر) هي أم القرآن قال أُبي وقرأها عليَّ سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» الآية السابعة قال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة، قال ابن عباس: فذخرها لكم فما أخرجها لأحد قبلكم[4].

ومن لم يجعلها من الفاتحة احتج بما ثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن أحمد ثنا أبو عيسى اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: « قمت وراء أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم فكلهم كان لايقرأ «بسم

---

(١) في الأصل: تعظيماً.

(٢) في الأصل: الفعل.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) أخرجه الشافعي في المسند: ١/٧٩ـــ٨٠ (ترتيب المسند للسندي) والمصنف في شرح السنة: ٣/٥٠. وانظر: تلخيص الحبير لابن حجر: ١/٢٣٢.

٤/ب الله الرحمن الرحيم إذا افتتح الصلاة»[١] قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ / لا يعرف ختم سورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم[٢].

وعن ابن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم[٣] وقال الشعبي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في بدء الأمر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزلت «وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها» (٤١ ــ هود) فكتب بسم الله حتى نزلت «قل ادعوا الله. أو ادعوا الرحمن» (١١٠ ــ الاسراء) فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» (٣٠ ــ النمل) فكتب مثلها.

قوله ﴿الحمد لله﴾ لفظه خبر كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه تعليم الخلق تقديره قولوا الحمد لله والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة. يقال حمدت فلاناً على ماأسدى إليَّ من النعمة وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، فالحمد أعم من الشكر إذ لا يقال شكرت فلاناً على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً. وقيل: الحمد باللسان قولاً: والشكر بالأركان فعلاً قال الله تعالى «وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً» (١١١ ــ الإسراء) وقال «اعملوا آل داود شكراً» (١٣ ــ سبأ).

قوله ﴿لله﴾ اللام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد.

قوله ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لمالك الدار: رب الدار: ويقال: رب الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح، يقال: ربَّ فلان الضيعة يَرُبُّها إذا أتمها وأصلحها فهو ربٌّ مثل طب، وبر. فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم، ولا يقال للمخلوق هو الرب معرَّفاً إنما يقال رب كذا مضافاً، لأن الألف واللام للتعميم وهو لايملك الكل.

والعالمين جمع عالم، لا واحد له في لفظه واختلفوا في العالمين قال ابن عباس: هم الجن والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب قال الله تعالى: «ليكون للعالمين نذيراً» (١ ــ الفرقان) وقال قتادة ومجاهد والحسن: هم جميع المخلوقات. قال الله تعالى: «وقال فرعون وما رب العالمين، قال رب السموات والأرض وما بينهما» (٢٣ ــ ٢٤الشعراء) واشتقاقه من العلم والعلامة سموا به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيدة: هم أربع أمم: الملائكة، والإنس، والجن، والشياطين، مشتق من العلم، ولا يقال للبهائم عالم لأنها لا تعقل، واختلفوا في مبلغهم قال سعيد بن المسيب لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال مقاتل بن حيان: لله ثمانون ألف عالم أربعون ألفاً في البحر وأربعون ألفاً في البر. وقال وهب: لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها، وما

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب العمل في القراءة: ٨١/١، والمصنف في شرح السنة ٥٣/٣ـــ٥٤، وهو عند مسلم في الصلاة برقم (٣٩٩).
(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل ص (١٢٣)، وصححه الحاكم على شرطهما: ٢٣١/١. وانظر: تلخيص الحبير: ٢٣٣/١، الدر المنثور: ٢٠/١.
(٣) أخرجه الواحدي في الوسيط: ١٣/١، وفي أسباب النزول ص (٥٤) وعزاه السيوطي أيضاً للبيهقي في الشعب، انظر: الدر المنثور: ٢٠/١.

العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء. وقال كعب الأحبار: لا يحصي عدد العالمين أحد إلا الله قال الله تعالى: «وما يعلم جنود ربك إلا هو» (٣١ ــ المدثر).

قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب: ﴿مالك﴾ وقرأ الآخرون ﴿مَلِكِ﴾ قال قوم: معناهما واحد مثل فرهين وفارهين، وحذرين وحاذرين ومعناهما الرب يقال رب الدار ومالكها. وقيل المالك والملك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله. قال أبو عبيدة: مالك أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الأشياء. ولأنه لا يكون مالكاً لشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه. وقال قوم: ملك أولى لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً ولأنه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى: «فتعالى الله الملك الحق» (١١٤ – طه) «الملك القدوس» (٢٣ – الحشر) قال مجاهد: الدين الحساب، قال الله تعالى: «ذلك الدين القيم» (٣٦ – التوبة) أي الحساب المستقيم و «ملك الناس» (سورة الناس) قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقال قتادة: الدين الجزاء. ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعاً يقال: كما تدين تدان.

قال محمد بن كعب القرظي: ملك يوم لا ينفع فيه إلا الدين، وقال يمان بن (رباب)[1]: الدين القهر. يقال دنته فدان أي قهرته فذل، وقيل: الدين الطاعة أي يوم الطاعة. وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكاً للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: «الملك يومئذ الحق للرحمن» (٢٦ – الفرقان) وقال: «لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار» (١٦ – غافر) وقال: «والأمر يومئذ لله» (١٩ – الانفطار) وقرأ أبو عمرو: «الرحيم ملك» بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكناً أو متحركاً إلا أن يكون الحرف الأول مشدداً أو منوناً أو منقوصاً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن من غير المثلين فإنه لا يدغمهما، وإدغام المتحرك يكون في الإدغام الكبير وافقه حمزة في إدغام المتحرك في قوله «بيت طائفة» (٨١ – النساء)، «والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً» (١–٣ الصافات) «والذاريات ذرواً» (١ – الذاريات) أدغم التاء فيما بعدها من الحروف، وافقه الكسائي وحمزة في إدغام الصغير، وهو إدغام الساكن في المتحرك إلا في الراء عند اللام والدال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة ــ وبرواية خلاد وخلف ــ الدال عند السين والصاد والزاي، ولا إدغام لسائر القراء إلا في أحرف معدودة.

قوله: ﴿إياك نعبد﴾ إيّا كلمة ضمير خُصَّت بالإضافة إلى المضمر ويستعمل مقدماً على الفعل فيقال: إياك أعني، وإياك أسأل ولا يستعمل مؤخراً إلا منفصلاً. فيقال: ما عنيت إلا إياك.

قوله: ﴿نعبد﴾ أي نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي مذلل.

---

(١) في ب: ريان.

﴿وإياك نستعين﴾ نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فإن قيل لم قدم ذكر العبادة على الاستعانةِ والاستعانةُ تكون قبل العبادة؟ فلهذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل، ونحن بَحمد الله نجعل التوفيق (والاستعانة)[1] مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقال: الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيلها.

قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ اهدنا أرشدنا وقال علي وأبي بن كعب: ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود إليك أي دم على ما أنت عليه. وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة ــ الصراط ــ وسراط بالسين رواه أويس عن يعقوب وهو الأصل سمي سراطاً لأنه يسرط السابلة ويقرأ بالزاي وقرأ حمزة باشمام الزاي وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام وهو قول مقاتل. وقال ابن مسعود
٥/ أ رضي الله عنه: هو القرآن / وروي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً «الصراط المستقيم كتاب الله»[2] وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: طريق الجنة. وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة. وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم. [وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحباه][3] وأصله في اللغة الطريق الواضح.

قوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أي مننت عليهم بالهداية والتوفيق قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين» (٦٩ – النساء) الآية وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن غيروا دينهم. وقال عبد الرحمن ابن زيد: هم النبي ﷺ ومن معه. وقال أبو العالية: هم آل الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأهل بيته وقال شهر ابن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

قرأ حمزة: عليهُم ولديهُم وإليهُم بضم هاءاتها، ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنية وجمعاً إلا قوله (بين أيديهن وأرجُلهن) (١٢ – الممتحنة) وقرأ الآخرون بكسرهما، فمن ضم الهاء ردها إلى الأصل لأنها مضمومة عند الانفراد، ومن (كسرها)[4] فلأجل الياء الساكنة والكسرة أخت الياء وضَمَّ ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمعٍ مشبعاً في الوصل إذا لم يَلْقها ساكن فإن لقيها ساكن فلا يشبع، ونافع يخيرٌ، ويضم ورش عند ألف

(١) في أ و ب (الاستطاعة).
(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ١٧١/١ ــ ١٧٢، وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري.
(٣) ساقط من ب.
(٤) في ب: كسر.

القطع، فإذا تلقته ألفُ وصلٍ ـ وقبل الهاء كسر أو ياء ساكنة ـ ضم الهاء والميم حمزة والكسائي وكسرهما أبو عمرو وكذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله والآخرون يقرؤون بضم الميم وكسر الهاء في الكل لأجل الياء أو لكسر ما قبلها وضم الميم على الأصل.

قوله تعالى ﴿غير المغضوب عليهم﴾ يعني غير صراط الذين غضبت عليهم، والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة، وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين.

﴿ولا الضالين﴾ أي وغير الضالين عن الهدى. وأصل الضلال الهلاك والغيبوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب. وغير هاهنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف كما يقال: فلان غير محسن ولا مجمل. فإذا كان غير بمعنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا، ولا يجوز في الكلام: عندي سوى عبد الله ولازيد.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين. وقيل: المغضوب عليهم هم اليهود والضالون: هم النصارى لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: «من لعنه الله وغضب عليه» (٦٠ ـ المائدة) وحكم على النصارى بالضلال فقال: «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل» (٧٧ ـ المائدة) وقال سهل بن عبد الله: غير المغضوب (عليهم)(١) بالبدعة، ولا الضالين عن السنة.

والسنة للقارىء أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة «آمين» بسكتة مفصولة عن الفاتحة وهو مخفف ويجوز (عند النحويين)(٢) ممدوداً ومقصوراً ومعناه: اللهم اسمع واستجب. وقال ابن عباس وقتادة: معناه كذلك يكون. وقال مجاهد هو اسم من أسماء الله تعالى. وقيل: هو طابع الدعاء. وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالا: أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قال الامام ـ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ـ فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين وإن الإمام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»(٣) صحيح.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ساقط من ب.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين: ٢/٢٦٢ ورواه أحمد: ٢/٢٣٣ عن أبي هريرة، والنسائي في الافتتاح باب جهر الإمام

(فصل في فضل (الفاتحة)[1]

أنا أبو الحسين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكيّالي أنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا خالد مخلد القطواني حدثني محمد ابن جعفر بن أبي كثير هو أخو اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: «مر رسول الله ﷺ على أُبَيٍّ بن كعب وهو قائم يصلي فصاح به فقال: تعال يا أُبَيّ فعجل أُبَيّ في صلاته، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك؟ أليس الله يقول: «ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» (٢٤ ــ الأنفال) قال أبي: لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت مصلياً. قال: أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور (ولا في القرآن)[2] مثلها؟ فقال أبي: نعم يا رسول الله فقال: لا تخرج في باب المسجد حتى تَعلَّمها والنبي ﷺ يمشي يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أبي: السورة يا رسول الله. فوقف فقال: نعم كيف تقرأ في صلاتك ؟ فقرأ أبي أم القرآن فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنها لهي السبع المثاني (التي)[3] آتاني الله عز وجل»[4] هذا حديث حسن صحيح.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الأحوص عن عمار ابن رزيق عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينا رسول الله ﷺ عنده جبريل إذ سمع نقيضاً من فوقه فرفع جبريل عليه السلام بصره إلى السماء فقال: هذا باب

= بآمين: ١٤٤/٢. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٦١/٣.
وفي نسخة (أ) زيادة: (وما تأخر).

(١) في ب: فاتحة الكتاب.
(٢) ساقط من (أ).
(٣) ساقط من (أ) وفي ب: الذي.
(٤) رواه الترمذي في فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٧٨/٨ ــ ١٨٠.
وأحمد في المسند: ٤١٢/٢ ــ ٤١٣ عن أبي بن كعب.
ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم باختصار عن أبي هريرة عن أبي، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم (انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣٦٧/٢) وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٤٦/٤-٤٤٧ وأخرج نحوه عن أبي سعيد بن المعلّى: البخاري في التفسير: ١٥٦/٨.

فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك. فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ولن تقرأ حرفاً منهما إلا أعطيته»(١) صحيح [أخرجه مسلم عن الحسن بن ربيع عن أبي الأحوص](٢).

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول. قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج(٣) غير تمام». قال: قلت: يا أبا هريرة إني أحياناً أكون وراء الإمام فغمز ذراعي وقال: إقرأ بها يا فارسي في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ «اقرؤوا يقول العبد ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ / يقول الله حمدني عبدي، ٥/ب
يقول العبد ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ يقول الله أثنى علي عبدي، يقول العبد ﴿**مالك يوم الدين**﴾ يقول الله تعالى مجدني عبدي، يقول العبد: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ يقول الله تعالى: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد ﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»(٤) صحيح [أخرجه مسلم عن قتيبة عن مالك](٥).

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم (٨٠٦) باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة: ٥٥٤/١.
والنسائي في افتتاح الصلاة: ١٣٨/٢.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٦٦/٤. وقوله: «سمع نقيضاً» أي: صوتاً.

(٢) ساقط من ب.

(٣) في ب: فهي خداج ثلاثاً. وقوله: «خداج» أي: ناقصة.

(٤) رواه مسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة برقم (٣٩٥): ٢٩٦/١.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٧/٣.

(٥) ساقط من (ب).

سورة البقرة مدنية[1]
وهي مائتان وثمانون وسبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * آلم﴾ قال الشعبي وجماعة: آلم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وهي سرُّ القرآن. فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى. وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها. قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور، وقال علي: لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف (التهجي)[2] وقال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سراً وإن سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك. وقال جماعة هي معلومة المعاني فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص: الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق. وقيل في المص أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بين أنس في آلم: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب الألف آلاء الله واللام لطفه، والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال معنى آلم: أنا الله أعلم: ومعنى[3] آلمص : أنا الله أعلم وأفصل ومعنى آلر : أنا الله أرى، ومعنى آلمر : أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها كقولهم:

---

(١) البقرة: مائتان وثمانون وخمس وقيل ست وقيل سبع ــ الاتقان ــ المجلد الأول ــ ٢٣٥.
(٢) في ب: الهجاء.
(٣) في أ: المعنى.

قلت لها: قفي لنا قالت: قاف[١].

أي وقفت وعن سعيد بن جبير قال هي أسماء الله تعالى (مقطعة)[٢] لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم. ألا ترى أنك تقول آلر، وحم، ون، فتكون الرحمن، وكذلك سائرها إلا أنَّا لا نقدر على وصلها، وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن. وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء (السور)[٣]، وبيانه: أن القائل إذا قال: قرأتُ آلمَصَ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمص. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها (مبادىء)[٤] كتبه المنزلة، ومباني أسمائه الحسنى[٥].

قوله تعالى: ﴿**ذلك الكتاب**﴾ أي هذا الكتاب وهو القرآن، وقيل: هذا فيه مضمر أي هذا ذلك الكتاب. قال الفراء: كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال هذا (ذلك)[٦] الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل وعلى لسان النبيين من قبلك، وهذا للتقريب وذلك للتبعيد، وقال ابن كيسان: إن الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال (ذلك الكتاب) يعنى ما تقدم البقرة من السور لا شك فيه.

والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خَلْق وهذا الدرهم ضرب فلان أي مضروبه. وأصل الكَتْب: الضم والجمع ويقال للجند كتيبة لاجتماعها، وسمي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى حرف.

قوله تعالى: ﴿**لا ريب فيه**﴾ أي لاشك فيه أنه من عند الله عز وجل وأنه الحق والصدق، وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى «فلا رفث ولا فسوق» (١٩٧ ــ البقرة) أي لا ترفثوا ولا تفسقوا، قرأ ابن كثير: فيه بالإشباع في الوصل وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلاً ما لم يلقها ساكن ثم إن كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسرة ياء وإن كان غير ياء يشبعها بالضم واواً ووافقه حفص في قوله «فيه مهانا» (٦٩ ــ الفرقان) (فيشبعه)[٧].

قوله تعالى: ﴿**هدى للمتقين**﴾ يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائي، زاد

(١) هذا الرجز للوليد بن عقبة، وتمامه: «لا تحسبي أنَّا نسينا الإيجاف». انظر: تفسير الطبري: ٢١٢/١، تفسير الواحدي: ٢٦/١.
(٢) في هامش (أ): مقطعة غير مؤلفة.
(٣) في الأصل: السورة.
(٤) في المطبوع: مباني.
(٥) انظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري: ١/٢٠٥ ــ ٢٢٤، تفسير الواحدي: ١/ ٢٥ ــ ٢٦.
(٦) ساقط من (ب).
(٧) في ب: فأشبعه.

حمزة والكسائي عند الياء وزاد حمزة عند الواو والآخرون لا يدغمونها ويخفي أبو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين (هدى للمتقين) أي هو هدى أي رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل هو نصبٌ على الحال أي هادياً تقديره لا ريب في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدي به الإنسان، للمتقين أي للمؤمنين. قال ابن عباس رضي الله عنهما: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء. وأصله الحجز بين الشيئين ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده.

وفي الحديث: «كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ»(١) أي إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزاً بيننا وبين العدو، فكأن المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار(٢): حدثني عن التقوى فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك قال: نعم. قال فما عملت فيه قال: حذرت وشمرت: قال كعب: ذلك التقوى. وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك مالا بأس به حذراً لما به بأس وقال عمر بن عبد العزيز: التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير. وقيل هو الاقتداء بالنبي ﷺ وفي الحديث: «جماع التقوى في قوله تعالى «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» (٩٠ ــ النحل) الآية» وقال ابن عمر: التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من أحد. وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المتقون بالهدى.

قوله تعالى: ﴿**الذين يؤمنون**﴾ موضع الذين خُفِضَ نعتاً للمتقين. يؤمنون: يصدقون [ويترك الهمزة أبو عمرو وورش، والآخرون يهمزونه وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن إلا أحرفاً معدودة](٣).

وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى «وما أنت بمؤمن لنا» (١٧ ــ يوسف) [أي بمصدق لنا](٤) وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسمي الإقرار والعمل إيماناً؛ لوجهٍ من المناسبة، لأنه من شرائعه.

والإسلام: هو الخضوع والانقياد، فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً، إذا لم يكن معه تصديق، قال الله تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» (١٤ ــ الحجرات) وذلك لأن

---

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين (١٧٧٦) عن البراء: ١٤٠١/٣ .
وأخرجه المصنف في شرح السنة ٣٣/٤.
(٢) انفرد ابن كثير بأن المسؤول هو أبي بن كعب ــ حاشية ابن كثير.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ب).

الرجل قد يكون مستسلماً في الظاهر غير مصدق في الباطن. وقد يكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر.

وقد اختلف جواب النبي ﷺ عنهما حين سأله جبريل عليه السلام وهو ما أخبرنا أبو طاهر محمد ابن علي بن محمد بن علي بن محمد بن بويه الزراد البخاري: أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ثنا أبو أحمد عيسى/ بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا كهمس بن ٦ / أ
الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر، يعني بالبصرة، معبداً الجهني فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقوله هؤلاء فلقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فعلمت أنه سيكل الكلام إلي فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلَنا ناس يتقفرون هذا العلم ويطلبونه يزعمون أن لا قدر إنما الأمر أُنُف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم إني منهم بريء وإنهم مني بُرَآءُ والذي نفسي بيده لو أن (لأحدهم)(١) مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال:

حدثنا عمر بن الخطاب قال: «بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ [وركبته تمس(٢) ركبته] فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً فقال: صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه. ثم قال: فما الإيمان قال: أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسوله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره فقال: صدقت. ثم قال: فما الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك قال: صدقت ثم قال: فأخبرني عن الساعة فقال ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل قال: صدقت قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر قال: صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لي رسول الله ﷺ: يا عمر هل تدري من الرجل؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه»(٣).

---

(١) في الأصل: لأحدٍ.
(٢) في الأصل: يمس ركبته.
(٣) أخرجه البخاري في الايمان، باب سؤال جبريل عن الايمان والإسلام: ١١٤/١.
ومسلم في الايمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان برقم ٨ و ٩: ٣٦/١ ــ ٣٧.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٨/١ ــ ٩.

فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث إسماً لما ظهر من الأعمال، والإيمان إسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدّين، ولذلك قال ذاك جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم.

والدليل على أن الأعمال من الإيمان ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن علي بن الشاه ثنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان ثنا بشر بن موسى ثنا خلف بن الوليد عن جرير الرازي عن سهل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»(١).

وقيل: الإيمان مأخوذ من الأمان، فسمي المؤمن مؤمناً لأنه يؤمِّن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمِّن العباد من عذابه(٢).

قوله تعالى ﴿**بالغيب**﴾: والغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب [كما قيل للعادل عدل وللزائر زور. والغيب ما كان مغيباً عن العيون قال ابن عباس: الغيب هاهنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك مثل الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان. وقيل الغيب هاهنا: هو الله تعالى، وقيل: القرآن، وقال الحسن: بالآخرة وقال زر بن حبيش وابن جريج: بالوحي. نظيره: (أعنده علم الغيب) (٣٥ — النجم) وقال ابن كيسان: بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ [وما سبقونا به](٣) فقال عبد الله: إن أمر محمد كان بيِّناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ ﴿**الم ذلك الكتاب**﴾ إلى قوله ﴿**المفلحون**﴾. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش يومنون بترك الهمزة وكذلك أبو جعفر بترك كل همزة ساكنة إلا في أنبئهم ونبئهم ونبئنا ويترك أبو عمرو كلها إلا أن تكون علامة للجزم نحو نبئهم وأنبئهم وتسؤهم وإن نشأ وننسأها ونحوها أو يكون خروجاً من لغة إلى أخرى نحو مؤصدة ورئياً. ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء الفعل إلا تؤوي وتؤويه ولا يترك من عين الفعل: إلا الرؤيا وبابه، إلا ما كان على وزن فعل. مثل: ذئب](٤).

قوله تعالى: ﴿**ويقيمون الصلاة**﴾ أي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها، وأركانها وهيئاتها

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب أمور الإيمان: ١/ ٥٠.
ومسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها برقم (٥٧): ١/ ٦٣ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١/ ٣٤.

(٢) راجع بالتفصيل فيما يتعلق بمباحث الإيمان كتاب «الايمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من حاشية ابن كثير ومثبت على حاشية الخازن ص(٢٥) .

يقال: قام بالأمر، وأقام الأمر إذا أتى به معطىً حقوقه، والمراد بها الصلوات الخمس ذكر بلفظ (الوحدان)[1] كقوله تعالى: «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق» (٢١٣ ـ البقرة) يعني الكتب.

والصلاة في اللغة الدعاء، قال الله تعالى: «وصلِّ عليهم» (١٠٣ ـ التوبة) أي ادع لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء. وقيل في قوله تعالى «إن الله وملائكته يصلون على النبي» (٥٦ ـ الأحزاب) الآية إن الصلاة من الله في هذه الآية الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء.

قوله تعالى: ﴿**ومما رزقناهم**﴾ (أي)[2] أعطيناهم والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والعبد وأصله في اللغة الحظ والنصيب ﴿**ينفقون**﴾ يتصدقون. قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، ومنه نَفاق السوق ؛ لأنه تخرج فيه السلعة عن اليد، ومنه نفقت الدابة إذا خرجت روحها، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

قوله تعالى: ﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك**﴾ يعني القرآن ﴿**وما أنزل من قبلك**﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويترك أبو جعفر وابن كثير وقالون (وأبو عمرو)[3] وأهل البصرة ويعقوب كل مدَّة تقع بين كل كلمتين. والآخرون يمدونها. وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿**وبالآخرة**﴾ أي بالدار الآخرة سميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿**هم يوقنون**﴾ أي يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان: وهو العلم. وقيل: الإيقان واليقين: علم عن استدلال. ولذلك لا يسمى الله موقناً ولا علمه يقيناً إذ ليس علمه عن استدلال.

قوله تعالى: ﴿**أولئك**﴾ أي أهل هذه الصفة وأولاء كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو: هم، والكاف للخطاب كما في حرف ذلك ﴿**على هدى**﴾ أي رشد وبيان وبصيرة ﴿**من ربهم، وأولئك هم المفلحون**﴾
أي الناجون / والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء أي باقون في النعيم المقيم ٦/ب
وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سمي الزراع فلاحاً لأنه يشق الأرض وفي المثل: الحديد بالحديد يفلح أي يشق فهم (مقطوع)[4] لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

---

(١) في (ب): الواحد.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في ب: المقطوع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ
اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ
مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾

قوله ﴿**إن الذين كفروا**﴾ يعني مشركي العرب قال الكلبي: يعني اليهود. والكفر هو الجحود وأصله من الكفر وهو الستر ومنه سمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته وسمي الزراع كافراً لأنه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده.

والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق . فكفر الإنكار: أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر الجحود هو: أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس (وكفر)[1] اليهود. قال الله تعالى: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» (٨٩ ــ البقرة) وكفر العناد هو: أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

وَلَقد عَلمْتُ بأنَّ دينَ مُحمَّدٍ ... مِن خَيْر أَدْيَانِ البَرِيَّة دينا
لولا المَلامَةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجدتَني سَمْحاً بذاكَ مُبيناً

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له.

قوله ﴿**سواء عليهم**﴾ أي: متساوٍ لديهم ﴿**أأنذرتهم**﴾ خوفتهم وحذرتهم والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير وكل منذر مُعلم وليس كل معلم منذراً وحقق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي الهمزتين في أأنذرتهم وكذلك كل همزتين تقعان في أول الكلمة والآخرون يليِّنون الثانية ﴿**أم**﴾ حرف عطف على الاستفهام ﴿**لم**﴾ حرف جزم لا تلي إلا الفعل لأن الجزم يختص بالأفعال ﴿**تنذرهم لا يؤمنون**﴾ وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال ﴿**ختم الله**﴾ طبع الله ﴿**على قلوبهم**﴾ فلا تعي خيراً ولا تفهمه.

---

(١) من ب.

وحقيقة الختم الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه مافيه، ومنه الختم على الباب. قال أهل السنة: أي حكم على قلوبهم بالكفر، لما سبق من علمه الأزلي فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها. ﴿**وعلى سمعهم**﴾: أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وأراد على أسماعهم كما قال: على قلوبهم وإنما وحَّده لأنه مصدر، والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. ﴿**وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ هذا ابتداء كلام. غشاوة أي: غطاء، فلا يرون الحق. وقرأ أبو عمرو والكسائي أبصارهم بالامالة وكذا كل ألف بعدها راء مجرورة في الأسماء كانت لام الفعل يميلانها ويميل حمزة منها ما يتكرر فيه الراء كالقرار ونحوه. زاد الكسائي إمالة جبارين والجوار والجار وبارئكم ومن أنصاري ونسارع وبابه. وكذلك يُميل هؤلاء كل ألف بمنزلة لام الفعل، أو كان علماً للتأنيث، إذا كان قبلها راء، فعلم التأنيث مثل: الكبرى والأخرى. ولام الفعل: مثل ترى وافترى، يكسرون الراء فيها.

﴿**ولهم عذاب عظيم**﴾ أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى. والعذاب كل ما يعنيٍّ الإنسان ويشق عليه. قال الخليل: العذاب ما يمنع الانسان عن مراده، ومنه: الماء العذب، لأنه يمنع العطش.

قوله: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله**﴾ نزلت في المنافقين(1) عبد الله بن أُبي بن سلول، ومعتب بن قشير، وجدٍّ بن قيس وأصحابهم حيث أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا من النبي ﷺ وأصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود، والناس جمع انسان سمي به لأنه عهد إليه فنسي كما قال الله تعالى «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي» (١١٥ ــ طه) وقيل: لظهوره من قولهم آنست أي أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به ﴿**وباليوم الآخر**﴾ أي بيوم القيامه . قال الله تعالى: ﴿ **وما هم بمؤمنين يخادعون الله** ﴾ أي يخالفون الله وأصل الخدع في اللغة الإخفاء ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر والخدع من الله في قوله (وهو خادعهم) (١٨٢ ــ النساء) أي يظهر لهم ويعجل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة. وقيل: أصل الخدع: الفساد، معناه يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمروا من الكفر.

وقوله: (وهو خادعهم) أي: يفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يصيرٌهم إليه من عذاب الآخرة فإن قيل ما معنى قوله ﴿**يخادعون الله**﴾ والمفاعلة للمشاركة وقد جلَّ الله تعالى عن المشاركة في المخادعة؟ قيل: قد ترد المفاعلة لا على مغنى المشاركة كقولك عافاك الله وعاقبت فلاناً، وطارقت النعل. وقال الحسن: معناه يخادعون رسول الله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله**﴾ (٥٧ – الأحزاب) أي أولياء الله، وقيل: ذِكْرُ الله هاهنا تحسين والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى «فأن لله خمسه وللرسول» (٤١ ــ الأنفال) وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم ﴿**والذين آمنوا**﴾ أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنا

(١) انظر: الطبري: ٢٦٩/١، تفسير ابن كثير: ٤٨/١.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

وهم غير مؤمنين. ﴿وما يخدعون﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وما يخادعون كالحرف الأول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد. وقرأ الباقون: وما يخدعون على الأصل.

﴿إلا أنفسهم﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله تعالى يطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى ﴿وما يشعرون﴾ أي لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم ﴿في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق وأصل المرض الضعف. وسمي الشك في الدين مرضاً لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن.

﴿فزادهم الله مرضاً﴾ لأن الآيات كانت تنزل تترى، آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً وذلك معنى قوله تعالى «وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم» (١٢٥ — التوبة) وقرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالإمالة وزاد حمزة إمالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب وطاب وحاق وضاق، والآخرون لا يميلونها ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿بما كانوا يكذبون﴾ ما للمصدر أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر. قرأ الكوفيون يكذبون بالتخفيف أي بكذبهم (إذ)[1] قالوا آمنا وهم غير مؤمنين.

﴿وإذا قيل﴾ قرأ الكسائي: «قيل» و«غيض» و«جيء» و«حيل» و«سيق» و«سيئت» بروم أوائلهن الضم — ووافق ابن عامر في «سيق» و«حيل» و«سيىء» و«سيئت» — ووافق أهل المدينة في: سيء وسيئت لأن أصلها قول بضم القاف وكسر الواو، مثل قتل وكذل في أخواته فأشير إلى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة وقرأ الباقون بكسر أوائلهن، استثقلوا الحركة على الواو فنقلوا كسرتها إلى فاء ٧/أ
الفعل وانقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها / ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني للمنافقين، وقيل لليهود أي قال لهم المؤمنون ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن. وقيل معناه لا تكفروا، والكفر أشد فساداً في الدين ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ يقولون هذا القول كذباً كقولهم آمنا وهم كاذبون ﴿ألا﴾ كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب ﴿إنهم هم المفسدون﴾ أنفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان ﴿ولكن لا يشعرون﴾ أي لا يعلمون أنهم مفسدون لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح. وقيل: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

(١) في الأصل: إذا.

وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ
كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ
لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

﴿**وإذا قيل لهم**﴾ أي للمنافقين وقيل لليهود ﴿**آمنوا كما آمن الناس**﴾ عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والأنصار ﴿**قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**﴾ أي الجهال فإن قيل كيف يصح النفاق مع (المجاهرة)[1] بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء قيل أنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين. فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال ﴿**ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**﴾ أنهم كذلك فالسفيه خفيف العقل رقيق الحلم من قولهم: ثوب سفيه أي رقيق وقيل السفيه الكذاب الذي يتعمد (الكذب)[2] بخلاف ما يعلم.

قرأ أهل الكوفة والشام (السفهاء ألا) بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والآخرون يحققون الأولى ويلينون الثانية في المختلفتين طلباً للخفة فإن كانتا متفقتين مثل: هؤلاء، وأولياء، وأولئك، وجاء أمر ربك ـــ قرأها أبو عمرو والبزي عن ابن كثير بهمزة واحدة وقرأ أبو جعفر وورش والقواش ويعقوب بتحقيق الأولى وتليين الثانية وقرأ قالون بتخفيف الأولى وتحقيق الثانية لأن ما يستأنف أولى بالهمزة مما يسكت عليه.

﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا**﴾ يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار ﴿**قالوا آمنا**﴾ كإيمانكم ﴿**وإذا خلوا**﴾ رجعوا. ويجوز أن يكون من الخلوة ﴿**إلى**﴾ بمعنى الباء أي بشياطينهم وقيل: إلى بمعنى مع كما قال (الله تعالى)[3] «ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم» (٢ ـــ النساء) أي مع أموالكم ﴿**شياطينهم**﴾ أي رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد الله بن السوداء بالشام. ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له.

---

(١) في الأصل: المهاجرة.
(٢) زيادة من ب.
(٣) زيادة من ب.

والشيطان: المتمرد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء وأصله البعد، يقال بئر شطون أي: بعيدة العمق. سمي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده من الخير. وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين ﴿**قالوا إنا معكم**﴾ أي: على دينكم ﴿**إنما نحن مستهزؤن**﴾ بمحمد ﷺ وأصحابه بما نظهر من الإسلام

قرأ أبو جعفر مستهزون ويستهزون وقل استهزوا وليطفوا وليواطوا ويستنبونك وخاطين وخاطون ومتكن ومتكون فمالون والمنشون بترك الهمزة فيهن ﴿**الله يستهزىء بهم**﴾ أي يجازيهم جزاء استهزائهم سمي الجزاء باسمه لأنه في مقابلته كما قال الله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠ ــ الشورى) قال ابن عباس: هو أن يفتح لهم باب من الجنة فإذا انتهوا إليه سد عنهم، وردوا إلى النار وقيل هو أن يضرب للمؤمنين نور يمشون به على الصراط فإذا وصل المنافقون إليه حيل بينهم وبين المؤمنين كما قال الله تعالى: «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» (٥٤ ــ سبأ) قال الله تعالى: «فضرب بينهم بسور له باب» الآية (١٣ ــ الحديد) وقال الحسن معناه الله يُظْهِر المؤمنين على نفاقهم (**ويمدهم**﴾ يتركهم ويمهلهم والمد والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلا أن المد أكثر ما يأتي في الشر والإمداد في الخير قال الله تعالى في المد «ونمد له من العذاب مداً» (٧٩ ــ مريم) وقال في الإمداد «وأمددناكم بأموال وبنين» (٦ ــ الاسراء) «وأمددناهم بفاكهة» (٢٢ ــ الطور) ﴿**في طغيانهم**﴾ أي في ضلالتهم وأصله مجاوزة الحد. ومنه طغى الماء ﴿**يعمهون**﴾ أي يترددون في الضلالة متحيرين ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان ﴿**فما ربحت تجارتهم**﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم أضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها كما تقول العرب: ربح بيعك وخسرت صفقتك ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾ من الضلالة، وقيل مصيبين في تجارتهم ﴿**مثلهم**﴾ شبههم، وقيل: صفتهم. والمثل: قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو أحد أقسام القرآن السبعة ﴿**كمثل الذي**﴾ يعني الذين بدليل سياق الآية. ونظيره «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون» (٣٣ ــ الزمر) ﴿**استوقد**﴾ أوقد ﴿**ناراً فلما أضاءت**﴾ النار ﴿**ما حوله**﴾ أي حول المستوقد. وأضاء: لازم ومتعد يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاءه غيره وهو هاهنا متعد ﴿**ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾ قال ابن عباس وقتاده ومقاتل والضحاك والسدي نزلت في المنافقين.

يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك إذا طفيت ناره فبقي في ظلمة طائفاً متحيراً فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف. وقيل: ذهاب نورهم في القبر. وقيل: في القيامه حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم. وقيل: ذهاب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبي ﷺ فضرب النار مثلاً ثم لم يقل

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾

أطفأ الله نارهم لكن عبر بإذهاب النور عنه لأن النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم. وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة وقال عطاء ومحمد بن كعب: نزلت في اليهود. وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال: ﴿**صمٌّ**﴾ أي هم صم عن الحق لا يقبلونه وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا ﴿**بكمٌ**﴾ خرس عن الحق لا يقولونه أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق ﴿**عميٌ**﴾ أي لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له ﴿**فهم لا يرجعون**﴾ عن الضلالة إلى الحق.

﴿**أو كصيب**﴾ أي كأصحاب صيب وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين بمعنى آخر إن شئت مثّلهم بالمستوقد وإن شئت بأهل الصيب وقيل / أو بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله تعالى: (أو ٧/ب
يزيدون) بمعنى ويزيدون والصيب المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب فيعل من صاب يصوب أي نزل من السماء أي من السحاب قيل هي السماء بعينها والسماء كل ما علاك فأظلك وهي من أسماء الأجناس يكون واحداً وجمعاً ﴿**فيه**﴾ أي في الصيب وقيل في السماء أي من السحاب ولذلك ذكَّره وقيل السماء يذكر ويؤنث قال الله تعالى: «السماء منفطر به» (١٨ ــ المزمل) وقال «إذا السماء انفطرت» (١ ــ الانفطار) ﴿**ظلمات**﴾ جمع ظلمة ﴿**ورعد**﴾ هو الصوت الذي يسمع من السحاب ﴿**وبرق**﴾ وهو النار التي تخرج منه.

قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين رضي الله عنهم: الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به الملك السحاب. وقيل الصوت زجر السحاب وقيل تسبيح الملك. وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكه. وقال مجاهد الرعد اسم الملك ويقال لصوته أيضاً رعد[١] والبرق

---

(١) الأخبار التي ذكرت لم يذكرها ابن كثير ولا السيوطي في الدر المنثور وإنما ذكر بعضها القرطبي وأكثرها لايخلو من مقال كما في تعليق الأستاذ محمود شاكر على الطبري عند تفسير قوله تعالى ﴿ **أوكصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** ﴾ الآية تفسير الطبري: ٣٣٨/١. =

مصع[1] ملك يسوق السحاب وقال شهر بن حوشب: الرعد ملك يزجي السحاب فإذا تبددت ضمها فإذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق، وقيل الرعد صوت انحراف الريح بين السحاب والأول أصح.

﴿**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق**﴾ جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها أو يغشى عليه. ويقال لكل عذاب مهلك: صاعقة، وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء.

روي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»[2].

قوله ﴿**حذر الموت**﴾ أي مخافة الهلاك ﴿**والله محيط بالكافرين**﴾ أي عالم بهم وقيل جامعهم. وقال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم. وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: «إلا أن يحاط بكم» (٦٦-يوسف) أي تهلكوا جميعاً. ويُميل أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب والخفض ولا يميلان: (أول كافر به)(٤١-البقرة).

﴿**يكاد البرق**﴾ أي يقرب، يقال: كاد يفعل إذاقرب ولم يفعل ﴿**يخطف أبصارهم**﴾ يختلسها والخطف استلاب بسرعة ﴿**كلما**﴾ كل حرف جملة ضم إلى ما الجزاء فصار أداة للتكرار ومعناهما متى ما ﴿**أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا**﴾ أي وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها أن الساري (لا يمكنه)[3] المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توقده، فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر القرآن لأنه حياة الجَنان كما ان المطر حياة الأبدان، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة.

= ومادام لم يرد دليل على ما ذكر فيتوقف في ذلك لأن هذه الظواهر الكونية وما بعدها مرتبطة بنواميس وسنن صار بعضها مفسراً عند علماء هذا المجال. وانظر: الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة ص٤١٤ ـــ ٤١٧.

(١) في النهاية لابن الأثير ـــ وقد نقل كلام مجاهد، أي يضرب السحاب ضربة فَيُرَى البرقُ يلمع. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٣٧/٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ما يقول إذا سمع الرعد، برقم (٣٥١٤): ٤١٢/٩ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأحمد: ١٠٠/٢، والبخاري في الأدب المفرد ص٢١٢، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٢٩٨) والدولابي في الكنى: ١١٧/٢، كلهم من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر عن سالم ... وأبو مطر: لم يوثقه غير ابن حبان، ومع ذلك فقد صححه الحاكم: ٢٨٦/٢ ووافقه الذهبي. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة. (ص٥١٨) وانظر: شرح السنة: ٣٩٣/٤ تعليق الأستاذ الأرناؤوط، والكلم الطيب بتخريج الألباني ص(٨٨).

(٣) في الأصل: لا يمكنها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ وَإِن كُنتُمۡ فِي
رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ
وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾

والكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه لأن الإيمان عندهم كفر والكفر موت ﴿**يكاد البرق يخطف أبصارهم**﴾ أي القرآن يبهر قلوبهم. وقيل هذا مثل ضربه الله للإسلام فالمطر الإسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق ما فيه من الوعد والوعيد ﴿**يجعلون أصابعهم في آذانهم**﴾ يعني أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذراً من الهلاك ﴿**والله محيط بالكافرين**﴾ جامعهم يعني لا ينفعهم هربهم لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم. يكاد البرق يعنى دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة.

﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه**﴾ يعني أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة. وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم ﴿**وإذا أظلم عليهم قاموا**﴾ يعني: رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا أي وقفوا كما قال الله تعالى «ومن الناس من يعبد الله على حرف» (١١ ــ الحج) ﴿**ولو شاء الله لذهب بسمعهم**﴾ أي بأسماعهم ﴿**وأبصارهم**﴾ الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر. ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾: قادر. قرأ عامر وحمزة شاء وجاء حيث كان بالإمالة.

قوله تعالى ﴿**ياأيها الناس**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ياأيها الناس خطاب أهل مكة، وياأيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة(١) وهو هاهنا عام إلا من حيث أنه لا يدخله الصغار والمجانين .

﴿**اعبدوا**﴾ وحِّدوا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ﴿**ربكم الذي خلقكم**﴾ الخلق: اختراع الشيء على غير مثال سبق ﴿**والذين من قبلكم**﴾ أي وخلق الذين من قبلكم ﴿**لعلكم تتقون**﴾ لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بأن

(١) انظر: الكافي الشاف: لابن حجر (ص٥).

تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال: «فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى» (٤٤ ــ طه) أي ادعواه إلى الحق وكونا على رجاء التذكر، وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء، قال سيبويه: لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب. ﴿**الذي جعل لكم الأرض فراشاً**﴾ أي بساطاً وقيل مناماً وقيل وطاء أي ذللها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها قال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: إن ذلك عظيم. ثم أيُّ؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قلت: ثم أيُّ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[1] والجعل هاهنا بمعنى الخلق ﴿**والسماء بناء**﴾ وسقفاً مرفوعاً. ﴿**وأنزل من السماء**﴾ أي من السحاب ﴿**ماء**﴾ وهو المطر ﴿**فأخرج به من الثمرات**﴾ من ألوان الثمرات وأنواع النبات ﴿**رزقاً لكم**﴾ طعاماً لكم وعلفاً لدوابكم ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً**﴾ أي أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله. قال أبو عبيدة: النِدُّ الضد وهو من الأضداد والله تعالى بريء من المثل والضد. ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ أنه واحد خالق هذه الأشياء.

﴿**وإن كنتم في ريب**﴾ أي (وإن)[2] كنتم في شك، لأن الله تعالى علم أنهم شاكُّون ﴿**مما نزلنا**﴾ يعني القرآن ﴿**على عبدنا**﴾ محمد ﴿**فأتوا**﴾ أمر تعجيز ﴿**بسورة**﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر من أسأرت أي أفضلت، حذفت الهمزة، وقيل: السورة اسم للمنزلة الرفيعة / ومنه سور البناء ٨/ أ
لارتفاعه سميت سورة لأن القارىء ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكماله سور القرآن ﴿**من مثله**﴾ أي مثل القرآن «ومن» صلة، كقوله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» (٣٠ ــ النور) وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى محمد ﷺ يعني: من مثل محمد ﷺ أمي لا يحسن الخط والكتابة [قال محمود هاهنا من مثله دون سائر السور، لأن من للتبعيض وهذه السورة أول القرآن بعد الفاتحة فأدخل من ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن، ولو أدخل من في سائر السور كان التحدي واقعاً على جميع سور القرآن، ولو أدخل في سائر السور كان التحدي واقعاً على بعض السور][3].

﴿**وادعوا شهداءكم**﴾ أي واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونها ﴿**من دون الله**﴾ وقال مجاهد: ناساً يشهدون لكم ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أن محمداً ﷺ يقوله من تلقاء نفسه فلما تحداهم عجزوا فقال ﴿**فإن لم تفعلوا**﴾ فيما مضى ﴿**ولن تفعلوا**﴾ أبداً فيما بقي. وإنما قال ذلك لبيان الإعجاز وأن القرآن

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى «**فلا تجعلوا لله انداداً**» ٤٩١/١٣.
ومسلم في الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب.. برقم (٨٦) ٩٠/١.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٨٢/١.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) ساقط من المطبوع على هامش ابن كثير وغيره.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

كان معجزة للنبي ﷺ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله. ﴿**فاتقوا النار**﴾ أي فآمنوا واتقوا بالإيمان النار. ﴿**التي وقودها الناس والحجارة**﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهاباً، وقيل: جميع الحجارة وهو دليل على عظمة تلك النار وقيل: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (٩٨ ـــ الأنبياء) ﴿**أعدت**﴾ هيئت ﴿**للكافرين**﴾.

قوله تعالى: ﴿**وبشر الذين آمنوا**﴾ أي أخبر والبشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين من أهل الطاعات قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي أخلصوا الأعمال كما قال «فليعمل عملاً صالحا» (١١٠ ـــ الكهف) أي خالياً عن الرياء. قال معاذ: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء. العلم، والنية، والصبر، والاخلاص. ﴿**أن لهم جنات**﴾ جمع الجنة، والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سميت بها لاجتنانها وتسترها بالأشجار. وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم.

﴿**تجري من تحتها**﴾ أي من تحت أشجارها ومساكنها ﴿**الأنهار**﴾ أي المياه في الأنهار لأن النهر لا يجري وقيل (من تحتها) أي بأمرهم لقوله تعالى حكاية عن فرعون «وهذه الأنهار تجري من تحتي» (٥١ ـــ الزخرف) أي بأمري والأنهار جمع نهر سمي به لسعته وضيائه. ومنه النهار. وفي الحديث «أنهار الجنة في غير أخدود»[1] ﴿**كلما**﴾ متى ما ﴿**رزقوا**﴾ أطعموا ﴿**منها**﴾ أي من الجنة من ثمرة أي ثمرة و ﴿**من**﴾ صلة ﴿**رزقاً**﴾ طعاماً ﴿**قالوا هذا الذي رزقنا من قبل**﴾ وقبل رفع على الغاية. قال الله تعالى: «لله الأمر من قبل ومن بعد» (٤ ـــ الروم) قيل: من قبل في الدنيا وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون، مختلفة في الطعم، فإذا رزقوا ثمرة بعد آخرى ظنوا أنها الأولى ﴿**وأتوا به**﴾ بالرزق ﴿**متشابهاً**﴾ قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهاً في الألوان، مختلفاً في الطعوم. وقال الحسن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٩٦/١٣، وهنّاد في الزهد: ١٧١/١، والطبري في التفسير: ٣٨٤/١. والمروزي في زوائد الزهد ص (٥٢٤) وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في البعث وصححه عن ابن مسعود انظر: الدر المنثور: ٩٤/١، تفسير ابن كثير: ١٧٧/٤.

وقتادة: متشابهاً. أي يشبه بعضها بعضاً في الجودة، أي كلها خيار لا رذالة فيها. وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب. وقيل متشابهاً في الاسم مختلفاً في الطعم. قال: ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون، يلهمون الحمد والتسبيح، كما تلهمون النَّفَس، طعامهم الجشاء، ورشحهم المسك»(١).

قوله تعالى ﴿**ولهم فيها**﴾ في الجنان ﴿**أزواج**﴾ نساء وجواري يعني من الحور العين ﴿**مُطهرة**﴾ من الغائط، والبول، والحيض، والنفاس، والبصاق، والمخاط والمني، والولد، وكل قذر. قال ابراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد. وقال الحسن: هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا. وقيل: مطهرة عن مساوىء الأخلاق ﴿**وهم فيها خالدون**﴾ دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

أنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف الفَرَبري، أنا محمد بن إسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد، أنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك ومجامرهم الألُوَّة(٢) وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»(٣).

أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل هو ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن الكواكب في السماء لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها برقم (٢٨٣٥) ٢١٨٠/٤.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٥.

(٢) أي بخورهم العود غير مطراة / النهاية ٦٣/١.

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٣١٨/٦، ومسلم في الجنة وصفة أهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة، برقم (٢٨٣٤): ٢١٧٨/٤ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١١/١٥.

(٤) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة نساء أهل الجنة: ٢٣٩/٧ ــ ٢٤١، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وعطية =

أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي المروزي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني غن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولَتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(١) [صحيح أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن معاوية بن عمر عن أبي إسحاق عن حميد](٢).

أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أنا أبو بكر الجوربذي أنا أحمد بن الفرج الحمصي أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامه بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة، وإن الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أبدٍ في دار / سليمة وفاكهة خضرة، وحبرة،ونعمة في محلة عالية بهية» قالوا: نعم يارسول الله نحن ٨/ب
المشمرون لها قال: «قولوا إن شاء الله» قال القوم: إن شاء الله(٣).

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم»(٤).

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى ابن خالد أنا إسحاق الحنظلي أنا أبو معاوية أنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعيد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لسوقاً ليس فيه بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا

= العوفي ضعيف، وبقية رجاله ثقات. انظر ميزان الاعتدال ٧٩/٣ وذكره الهيثمي عن ابن مسعود وأبي سعيد وقال: رواه الترمذي باختصار، ورواه الطبراني في الأوسط واسناد ابن مسعود صحيح، وفي اسناد أبي سعيد: عطية، والأكثر على تضعيفه، وروى البزار حديث ابن مسعود فقط. مجمع الزوائد: ٤١١/١٠ ــ ٤١٢.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٥.

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده جيد. مجمع الزوائد: ٤١٨/١٠.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب صفة الجنة برقم (٤٣٣٢): ١٤٤٨/٢، وصححه ابن حبان في صفة الجنة (ص ٦٥١) من موارد الظمآن.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٣/١٥ وقال محققه: الضحاك المعافري: لم يوثقه غير ابن حبان، وشيخه سليمان بن موسى الأموي الدمشقي مختلف فيه.

(٤) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وإسناده حسن. ورواه أحمد عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن أنس، وإسناده جيد. وفي الصحيح بعضه.
مجمع الزوائد: ٣٩٨/١٠ ــ ٣٩٩.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

اشتهى الرجل صورة دخل فيها، إن فيها لمجتمع الحور العين ينادين، بصوت لم يسمع الخلائق مثله: نحن الخالدات فلا نبيد أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، فطوبى لمن كان لنا وكنا له أو نحن له»[(١)] ورواه أبو عيسى عن هناد وأحمد بن منيع عن أبي معاوية مرفوعاً وقال: هذا حديث غريب.

أنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري أنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون وأنتم والله لقد زدتم بعدنا حسناً وجمالاً»[(٢)].

قوله تعالى ﴿**إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها**﴾ سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له» (٧٣ ــ الحج) وقال: «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً» (٤١ ــ العنكبوت) قالت اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة[(٣)]؟ وقيل: قال المشركون: إنا لا نعبد إلهاً يذكر مثل هذه الأشياء فأنزل الله تعالى ﴿**إن الله لا يستحيي**﴾[(٤)] أي لا يترك ولا يمنعه الحياء ﴿**أن يضرب مثلاً**﴾ يذكر شبهاً، ﴿**ما بعوضة**﴾ ما: صلة، أي مثلاً بالبعوضة، وبعوضة نصب بدل عن المثل.

---

(١) أخرجه أحمد مرفوعاً: ١٥٦/١ عن علي، والترمذي مختصراً في صفة الجنة باب ما جاء في سوق الجنة: ٢٦٤/٧ وقال: هذا حديث حسن غريب. وهنّاد في الزهد: ٩٢/١ وابن أبي شيبة: ١٠٠/١٣.
وفيه عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي: قال أحمد: ليس بشيء، منكر الحديث، وقال يحيى: متروك، وقال ابن حجر: ضعيف من السابعة. (تقريب).
وضعفه المنذري، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (فيض القدير للمناوي: ٤٦٨/٢) وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٦/١٥.
(٢) رواه مسلم في الجنة، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم، برقم (٢٨٣٣): ٢١٧٨/٤ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٧/١٥ وقال هذا حديث صحيح.
(٣) انظر: الطبري: ٤٠٠/١، أسباب النزول للواحدي ص (٥٩)، الوسيط للواحدي: ٦٤/١.
(٤) المرجع السابق.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ
وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ
سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

والبعوض صغار البق سميت بعوضة كأنها بعض البق ﴿**فما فوقها**﴾ يعنى الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل ﴿**فأما الذين آمنوا**﴾ بمحمد والقرآن ﴿**فيعلمون أنه**﴾ يعني: المثل هو ﴿**الحق**﴾ الصدق ﴿**من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً**﴾؟ أي بهذا المثل فلما حذف الألف واللام نصبه على الحال والقطع ثم أجابهم فقال ﴿**يضل به**﴾ أي بهذا المثل ﴿**كثيراً**﴾ من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالاً ﴿**ويهدي به**﴾ أي بهذا المثل ﴿**كثيراً**﴾ من المؤمنين فيصدقونه، والإضلال: هو الصرف عن الحق إلى الباطل. وقيل: هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا هلك ﴿**وما يضل به إلا الفاسقين**﴾ الكافرين وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها قال الله تعالى: «ففسق عن أمر ربه» (٥٠ ــ الكهف) أي خرج ثم وصفهم فقال:

﴿**الذين ينقضون**﴾ يخالفون ويتركون وأصل النقض الكسر ﴿**عهد الله**﴾ أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: «ألست بربكم؟ قالوا بلى» (١٧٣ ــ الأعراف) وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» (٨١ ــ آل عمران) الآية وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويبينوا نعته ﴿**من بعد ميثاقه**﴾ توكيده. والميثاق: العهد المؤكد ﴿**ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾ يعنى الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الرسل عليهم السلام لأنهم قالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون «لا نفرق بين أحد من رسله» (٢٨٥ ــ البقرة) وقيل: أراد به الأرحام ﴿**ويفسدون في الأرض**﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾ المغبونون، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب ﴿**كيف تكفرون بالله**﴾ بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿**وكنتم أمواتاً**﴾ نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿**فأحياكم**﴾ في الأرحام والدنيا ﴿**ثم يميتكم**﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿**ثم يحييكم**﴾ للبعث ﴿**ثم إليه ترجعون**﴾ أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قرأ يعقوب «تَرْجِعون» في كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل.

قوله تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ لكي تعتبروا وتستدلوا وقيل لكي تنتفعوا ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء. وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء. وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء ﴿فسواهن سبع سموات﴾ خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدع ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون وهو وهي بسكون الهاء إذا كان قبل الهاء واو أو فاء أو لام، زاد الكسائي وقالون: ثم هو وقالون «أن يملَّ هو» (٢٨٢ ــ البقرة).

قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك﴾ أي وقال ربك وإذ زائدة وقيل معناه واذكر إذ قال ربك وكذلك كل ماورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وإذ وإذا حرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضياً كقوله تعالى «وإذ يمكر بك الذين» (٣٠ ــ الأنفال) يريد وإذ مكروا وإذا جاء (إذا) مع الماضي كان معناه مستقبلاً كقوله: «فإذا جاءت الطامة» (٣٤ ــ النازعات) «إذا جاء نصر الله» (١ ــ النصر) أي يجيء ﴿للملائكة﴾ جمع ملك وأصله مألك من المَأْلَكة والأَلُوكَةِ والأَلُوكِ، وهي: الرسالة فقلبت فقيل مَلْأَك ثم حذفت الهمزة طلباً للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها إلى اللام فقيل مَلَك. وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فغبروا فعبدوا دهراً طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خزان الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علماً فهبطوا إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال (وبطون الأودية)[1] وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة فأعطى الله إبليس ملك الأرض، وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب
٩/ أ فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه[2] فقال الله تعالى / له ولجنده ﴿إني

(١) زيادة من ب.
(٢) ذكر ذلك أيضاً الواحدي في التفسير: ٧٤/١، وانظر تفسير ابن كثير: ١٣١/١ ــ ١٣٣ و ١٣٨ ــ ١٤١، ففيه بعض الروايات، =

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾

﴿جاعل﴾ خالق. ﴿في الأرض خليفة﴾ أي بدلاً منكم ورافعكم إلي، فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة.

والمراد بالخليفة هاهنا آدم سماه خليفه لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه[1] ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ بالمعاصي. ﴿ويسفك الدماء﴾ بغير حق أي كما فعل بنو الجان فقاسوا الشاهد على الغائب وإلا فهم ما كانوا يعلمون الغيب ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق «وصلاة البهائم وغيرهما»[2] سوى الآدميين، وعليها يرزقون.

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا حبان بن هلال أنا وهيب أنا سعيد الجريري عن أبي عبد الله الجسري عن عبادة بن الصامت عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل قال: «مااصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده»[3] وقيل: ونحن نصلي بأمرك، قال ابن عباس: كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة ﴿ونقدس لك﴾ أي نثني عليك بالقدس والطهارة وقيل: ونطهر أنفسنا لطاعتك وقيل: وننزهك. واللام صلة وقيل: لم يكن هذا في الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه ﴿قال﴾ الله ﴿إني أعلم مالا تعلمون﴾ من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذريته من يطيعني ويعبدني من الأنبياء والأولياء والعلماء وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني، وهو إبليس، وقيل إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم. قرأ أهل الحجاز والبصرة إني أعلم بفتح الياء وكذلك كل ياء إضافة استقبلها ألف مفتوحة إلا في مواضع معدودة ويفتحون في بعض المواضع عند الألف المضمومة والمكسورة (وعند غير الألف)[4] وبين القراء في تفصيله اختلاف.

قوله: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون

= وقد ضعفها ابن كثير رحمه الله ونقل ذلك عنه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري: ٥٠٥/١.

(١) ولابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة» ١٥١/١ كلام مفيد وتفصيل رشيد حول خلافة الله في أرضه فليراجع لفائدته .

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء باب فضل سبحان الله وبحمده برقم (٢٧٣١): ٢٠٩٣/٤ والترمذي في الدعوات، باب أي الكلام أحب إلى الله. ٥٢/١٠ وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) في ب لأجل ألف.

قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله تعالى علمه أسماء الأشياء وذلك أن الملائكة قالوا: لما قال الله تعالى: «إني جاعل في الأرض خليفة»: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا وإن كان فنحن أعلم منه لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره. فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلاً كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: علَّمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء قال أهل التأويل: إن الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة[1]. ﴿**ثم عرضهم على الملائكة**﴾ إنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومالا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والإناث بلفْظ الذكور وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة فالكناية راجعة إلى الشخوص فلذلك قال عرضهم ﴿**فقال أنبئوني**﴾ أخبروني ﴿**بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ في أني لا أخلق خلقاً إلا وكنتم أفضل وأعلم منه فقالت الملائكة إقراراً بالعجز: ﴿**قالوا سبحانك**﴾ تنزيهاً لك ﴿**لا علم لنا إلا ما علمتنا**﴾ معناه فإنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا ﴿**إنك أنت العليم**﴾ بخلقك ﴿**الحكيم**﴾ في أمرك والحكيم له معنيان: أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل ومنه حَكَمَةُ الدابة لأنها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم ﴿**قال**﴾ الله تعالى:

﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء باسمه وذكر الحكمة التي لأجلها خلق ﴿**فلما أنبأهم بأسمائهم قال**﴾ الله تعالى ﴿**ألم أقل لكم**﴾ يا ملائكتي ﴿**إني أعلم غيب السماوات والأرض**﴾ ما كان منهما وما يكون لأنه قد قال لهم « إني أعلم مالا تعلمون» (٣٠ — البقرة) ﴿**وأعلم ما تبدون**﴾ قال الحسن وقتادة: يعني قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿**وما كنتم تكتمون**) قولكم لن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منا، قال ابن عباس رضي الله عنهما هو أن إبليس مرّ على

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/٤٨٥، الوسيط للواحدي: ١/٧٧.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
٣٤ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ
عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال: لأمر ما خلق هذا ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال: إنه خلق لا يتماسك لأنه أجوف ثم قال للملائكة الذين معه أرايتم إن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكنَّه ولئن سلط علي لأعصينه فقال الله تعالى: **﴿وأعلم ما تبدون﴾** يعنى ما تبديه الملائكة من الطاعة **﴿وما كنتم تكتمون﴾** يعنى إبليس من المعصية.

وقوله تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾** قرأ أبو جعفر «للملائكةُ اسجدوا» بضم التاء على جوار ألف اسجدوا وكذلك قرأ «قال ربُّ أحكم بالحق» (١١٢ ــ الأنبياء) بضم الباء وضعفه النحاة جداً ونسبوه إلى الغلط فيه واختلفوا في أن هذا الخطاب مع أي الملائكة فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض. والأصح: أنه مع جميع الملائكة لقوله تعالى: «فسجد الملائكة كلهم أجمعون» (٣٠ ــ الحجر) وقوله: (اسجدوا) فيه قولان: الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة، وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل «وخَرُّوا له سُجَّداً» (١٠٠ ــ يوسف) ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض، إنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

وقيل: معنى قوله **﴿اسجدوا لآدم﴾** أي إلى آدم فكان آدم قبلة، والسجود لله تعالى، كما جُعلت الكعبة قبلةً للصلاة والصلاة لله عز وجل.

﴿فسجدوا﴾ يعني: الملائكة **﴿إلا إبليس﴾** وكان اسمه عزازيل بالسريانية، وبالعربية: الحارث، فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل إبليس، لأنه أبْلَسَ من رحمة الله تعالى أي يَئِسَ.

واختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى «إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه»

(٥٠ ــ الكهف) فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، والأول أصح[١] لأن خطاب السجود كان مع الملائكة، وقوله ﴿كان من الجن﴾ أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة. وقال سعيد بن جبير: من الذين يعملون في الجنة، وقال: قوم من الملائكة الذين يصوغون حليّ أهل الجنة، وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جناً لاستتارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم. والدليل عليه قوله تعالى «وجعلوا بينه وبين الجنة
٩/ب نسباً»(١٥٨ــ الصافات) وهو قولهم الملائكة / بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية.

قوله: ﴿أبى﴾ أي امتنع فلم يسجد ﴿واستكبر﴾ أي تكبر عن السجود (لآدم)[٢] ﴿وكان﴾ أي: صار ﴿من الكافرين﴾ وقال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا ابن الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي أنا جرير ووكيع وأبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: ياويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأُمرت بالسجود فعصيت فلي النار»[٣]

قوله تعالى ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ وذلك أن آدم لم يكن له في الجنة من يجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراء من شقه الأيسر، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، خلقها الله عز وجل من غير أن أحس به آدم ولا وجد له ألماً، ولو وجد ألماً لما عطف رجل على امرأة قط فلما هبَّ من نومه رآها جالسة عند رأسه (كأحسن ما في)[٤] خلق الله فقال لها: من أنت؟ قالت زوجتك خلقني الله لك تسكن إلي وأسكن إليك[٥] ﴿وكلا منها رغداً﴾ واسعاً كثيراً ﴿حيث شئتما﴾ كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ يعني للأكل، وقال بعض العلماء: وقع

---

(١) انظر الطبري: ٥٠٢/١ ــ ٥٠٨ والوسيط في تفسير القرآن للواحدي ٨٢/١.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم (١٣٣) ٨٧/١ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤٧/٣.
(٤) في ب: كأحسن ما خلقها الله.
(٥) تذكر معظم كتب التفسير هذه القصة عند تفسير هذه الآية، ويقول أبو حيان في البحر المحيط: ١٥٦/١ «وفي هذه القصة زيادات ذكرها المفسرون، لا نطوّل بذكرها، لأنها ليست مما يتوقف عليها مدلول الآية ولا تفسيرها». ونلحظ أن هذه الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها وحجبها عنا، ليس بين أيدينا ما يدل عليها من النصوص الصحيحة.. فأين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حيناً من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو ابليس؟ كيف قال الله تعالى لهم ذلك؟ وكيف أجابوه؟ وكيف تم خلق حواء؟ .. إلخ .. إلخ هذا كله يحتاج إلى نص ثابت. وغالب ما يروى من آثار حولها لا يخلو من مقال أو هو من الاسرائيليات، فحسبنا ما جاءت به النصوص، ونكل علم ما وراءها إلى الله سبحانه. وانظر: في ظلال القرآن: ٥٩/١.

النهي على جنس من الشجر. وقال آخرون: على شجرة مخصُوصة، واختلفوا في تلك الشجرة، قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة وقال ابن مسعود: هي شجرة العنب. وقال ابن جريج: شجرة التين، وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كل شيء، وقال علي رضي الله عنه: شجرة الكافور[1] ﴿فتكونا﴾ فتصيرا ﴿من الظالمين﴾ أي الضارين بأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم، وضع الشيء في غير موضعه.

﴿فأزلهما﴾ استزل ﴿الشيطان﴾ آدم وحواء أي دعاهما إلى الزلة. وقرأ حمزة: فأزالهما، أي نحّاهما «الشيطان» فَيْعالٌ من شطن، أي: بَعُد، سُمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة، ﴿عنها﴾ عن الجنة ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل ليوسوس (إلى)[2] آدم وحواء فمنعته الخزنة فأتى الحية وكانت صديقةً لإبليس وكانت من أحسن الدوابِّ، لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة فسألها إبليس أن تُدخله فمَها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة، وقال الحسن: إنما رآهما على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال: لو أن خلداً، فاغتنم ذلك منه الشيطان فأتاه من قِبَلِ الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما، وهو أول من ناح فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة. فوقع ذلك في أنفسهما فاغتمَّا ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد؟ فأبى أن يقبل منه، وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فاغترَّا وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها.

وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل[3].

---

(١) قال ابن جرير الطبري في التفسير: «الصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة. فأنى يأتي ذلك؟ وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائزٌ أن تكون واحدة منها، وذلك علمٌ، إذا علم لم ينفع العالم به علْمه، وإن جهله جاهل لم يضرّه جهله به»، وكذلك رجح الإبهام الرازي في تفسيره وغيره من المفسرين وهو الصواب. انظر: تفسير الطبري بتحقيق محمود شاكر: ٥٢٠/١ ــ ٥٢١، تفسير ابن كثير: ١٤٦/١.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) هذا الخلاف في كيفية وسبب أكل آدم من الشجرة المنهي عنها، والذي أكثر المفسرون من القصص حوله، لم يثبت فيه خبر صحيح، وهو من علم الغيب الذي يحتاج إلى نقل ثابت بشأنه، ولعل هذه القصص مأخوذه من الإسرائيليات، وكون آدم شرب الخمر فكان في غير عقله، غير صحيح، لأن خمر الجنة لا غول فيها، والصحيح انه نسي وأكل كما أخبر الله تعالى عنه، انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٩/١ والمحرر الوجيز لابن عطية: ٢٥٤/١ ــ ٤٥٦، والبحر المحيط لأبي حبان: ١٦١/١، وقد فنّد الشيخ محمد أبو شهبة الروايات الاسرائيلية في تفسير هذه الآية «فأزلهما الشيطان» انظر كتابه: «الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ٢٥٠/١-٢٥١.

قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً. قال ابن عباس وقتادة: قال الله عز وجل لآدم: ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى يا رب وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً، قال: فبعزتي لأهبطنَّك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كداً فأهبطا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغداً فعُلِّم صنعة الحديد، وأُمر بالحرث فحرث فيها وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء. قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس: إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله عز وجل: ما حملك على ما صنعت قال يارب زَيَّنَتْهُ لي حواء قال: فإني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً ودميتها[1] في الشهر مرتين، فرنت[2] حواء عند ذلك فقيل: عليك الرنة وعلى بناتك[3]، فلما أكلا (تهافتت)[4] عنهما ثيابُهما وبدتْ سوآتُهما وأخرجا من الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿**وقلنا اهبطوا**﴾ أي انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس والحية، فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، وحواء بجدة وإبليس بالأيلة والحية بأصفهان[5] ﴿**بعضكم لبعض عدوّ**﴾ أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس؛ قال الله تعالى: «إن الشيطان لكما عدو مبين». (٢٢ ــ الأعراف).

أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار أنا أحمد بن محمد الصفَّار حدثنا منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا مَعْمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال عكرمة: لا أعلمه إلا رفع الحديث، أنه كان يأمر بقتل الحيّات وقال: من تركهن خشية أو مخافة ثائر فليس منا[6] وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث: ما سالمناهن منذ حاربناهن [وروي أنه نهى عن ذوات البيوت، روى عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إن بالمدينة جِنّا قد أسلموا فإن رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»[7]][8].

---

(١) في ب: أدميتها.

(٢) صَوَّتت .

(٣) أخرجه عن ابن عباس: الحاكم في المستدرك ٣٨١/٢ وذكره الواحدي في الوسيط بسنده عن ابن عباس: ٨٥/١ ــ ٨٦، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٣٢/١ لابن منيع وابن أبي الدنيا في كتاب البكاء وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس.

(٤) في ب سقطت.

(٥) في ذلك آثار عن السدي والحسن بأسانيد لا تثبت.
انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٧/١ بتخريج الوادعي.

(٦) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب قول الله تعالى: «**وبث فيهما من كل دابة**» : ٣٤٧/٦ ومسلم في الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب... برقم (١١٩٨) عن ابن عمرو بروايات مختلفة: ٨٥٦/٢.

(٧) أخرجه مسلم في السلام ــ باب قتل الحيات وغيرها، برقم (٢٢٣٦): ١٧٥٦/٤ عن أبي سعيد بلفظ: «إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان».

(٨) زيادة من ب.

قوله تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ موضع قرار ﴿ومتاع﴾ بُلْغةٌ ومستمتع ﴿إلى حين﴾ إلى انقضاء آجالكم ﴿فتلقى﴾ تلقى والتلقي: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلم ﴿ آدم من ربه كلمات﴾ قراءة العامة: آدمُ برفع الميم وكلماتٍ بخفض التاء. قرأ ابن كثير: آدمَ بالنصب، كلماتٌ برفع التاء يعني جاءت الكلماتُ آدمَ من ربه، وكانت سبب توبته. واختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن: هي قوله «ربنا ظلمنا أنفسنا» الآية. وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هي قوله لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربِّ عملتُ سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت (التواب الرحيم)[١].

لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين[٢] وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم قال يارب أرأيت ماأتيت أشيء ابتدعتهُ من تلقاء نفسي أم شيء قَدَّرته عليَّ قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك. قال يارب فكما قدرته قبل أن تخلقني فاغفر لي[٣] .

وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء، قال ابن عباس بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة
١٠/أ مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم / حواء مائة سنة ، وروى المسعودي عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالوا: لو أن دموع جميع أهل الأرض جمعت (لكانت)[٤] دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة قال. شهر بن حوشب: بلغني أن آدم لما (هبط)[٥] إلى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى[٦] .

(١) في ب الغفور.

(٢) قال ابن جرير الطبري، رحمه الله، بعد أن ساق الأقوال ونسبها لقائليها: «وهذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه، وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقَّى آدم كلماتٍ، فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب، بقيله اياهن وعمله بهن، إلى الله من خطيئته، معترفاً بذنبه متنصلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه.

والذي يدل عليه كتاب الله: أن الكلمات التي تلقاهنّ آدم من ربه، هنَّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلاً بقيلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله «ربنا ظلمنا أنفسنا» وليس ما قاله من خالف قولنا هذا ــ من الأقوال التي حكيناها ــ بمدفوع قوله، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها، فيجوز لنا إضافته إلى آدم، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه». تفسير الطبري: ٥٤٦/١، وانظر: التفسير الوسيط للواحدي ٨٧/١، ابن كثير: ١٤٩/١. الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة ص٢٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٩/١، الطبري: ٥٤٥/١، الوسيط للواحدي: ٨٧/١.

(٤) في (أ) لكان.

(٥) في (ب) أهبط.

(٦) انظر: الدر المنثور: ١٤١/١-١٤٢.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله: ﴿**فتاب عليه**﴾ فتجاوز عنه ﴿**إنه هو التواب**﴾ يقبل توبة عباده ﴿**الرحيم**﴾ بخلقه.

وقوله تعالى: ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعاً**﴾ يعني هؤلاء الأربعة. وقيل: الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والهبوط (الآخر)[1] من السماء الدنيا إلى الأرض ﴿**فإما يأتينكم**﴾ أي فإن يأتكم ياذرية آدم ﴿**مني هدى**﴾ أي رشد وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسول ﴿**فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ قرأ يعقوب: فلا خوف بالفتح في كل القرآن والآخرون بالضم والتنوين فلا خوف عليهم فيما [يستقبلون هم][2] ﴿**ولا هم يحزنون**﴾ على ما خلفوا. وقيل: لاخوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة ﴿**والذين كفروا**﴾ (يعني جحدوا)[3] ﴿**وكذبوا بآياتنا**﴾ بالقرآن ﴿**أولئك أصحاب النار**﴾ يوم القيامة ﴿**هم فيها خالدون**﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

قوله تعالى: ﴿**يا بني اسرائيل**﴾ يا أولاد يعقوب. ومعنى إسرائيل: عبد الله، وإيل هو الله تعالى، وقيل صفوة الله، وقرأ أبو جعفر: إسرائيل بغير همز ﴿**اذكروا**﴾ احفظوا، والذكر: يكون بالقلب ويكون باللسان وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر لأن في الشكر ذكراً وفي الكفران نسياناً، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها ﴿**نعمتي**﴾ أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع[4] كقوله تعالى «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» (٣٤ ــ ابراهيم) ﴿**التي أنعمت عليكم**﴾ أي على أجدادكم وأسلافكم. قال قتادة: هي النعم التي خصت بها بنو اسرائيل: من فلق البحر وإنجائهم من فرعون بإغراقه وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المن والسلوى وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى، وقال غيره: هي جميع النعم التي لله عز وجل

(١) في ب: الثاني.
(٢) في ب فيما يستقبلهم.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) انظر: تفسير الواحدي ١/٩٠، القرطبي: ١/٣٣١.

على عباده ﴿وأوفوا بعهدي﴾ أي بامتثال أمري ﴿أوفِ بعهدكم﴾ بالقبول والثواب.

قال قتادة ومجاهد: أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة «ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً إلى أن قال ـــ لأكفِّرنَّ عنكم سيئاتكم» (١٢ ـــ المائدة) فهذا قوله أُوْفِ بعهدكم. وقال الحسن هو قوله «وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماآتيناكم بقوة» (٦٣ ـــ البقرة) فهو شريعة التوراة، وقال مقاتل هو قوله «وإذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله» (٨٣ ـــ البقرة) وقال الكلبي عهد الله إلى بني اسرائيل على لسان موسى: إني باعث من بني اسماعيل نبياً أمياً فمن اتبعه وصدَّق بالنور الذي يأتي به غفرتُ له ذنبه وأدخلتُه الجنة وجعلت له أجرين اثنين: وهو قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبيِّنُنَّه للناس» (١٨٧ ـــ آل عمران) يعني أمر محمد ﷺ.

﴿وإياي فارهبون﴾ فخافوني في نقض العهد. وأثبت يعقوب الياءآت المحذوفة في الخط مثل فارهبوني، فاتقوني، واخشوني، والآخرون يحذفونها على الخط ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ يعني القرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ أي موافقاً لما معكم يعني: التوراة، في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي ﷺ، نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم[1] ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي بالقرآن يريد من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت قبل اليهود بمكة، معناه: ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فيتابعكم اليهود على ذلك فتبوؤا بآثامكم وآثامهم ﴿ولا تشتروا﴾ أي: ولا تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ ببيان صفة محمد ﷺ ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي عَرَضاً يسيراً من الدنيا وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وجهالهم يأخذون منهم كل عام شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا إن هم بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه فاختاروا الدنيا على الآخرة ﴿وإياي فاتقون﴾ فاخشوني ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ أي لا تخلطوا، يقال لبس الثوب يَلبس لُبساً، ولَبسَ عليه الأمر يَلبِسُ لَبْساً أي خلط. يقول: لا تخلطوا الحق الذي، أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد ﷺ.

والأكثرون على أنه أراد: لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية[2].

وقال مقاتل: إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد ﷺ وكتموا بعضاً ليصدقوا في ذلك فقال: ولا تلبسوا الحق الذي تقرون به بالباطل يعني بما تكتمونه، فالحق: بيانُهم، والباطل: كتمانُهم وتكتموا الحق أي لاتكتموه، يعني: نعت محمد ﷺ.

(١) انظر: تفسير الواحدي: ٩٢/١.

(٢) عن قتادة قال: لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله. انظر: الدر المنثور: ١٥٥/١، واقرأ بحثاً بعنوان «إن الدين عند الله الإسلام» في العدد (١٦) من مجلة البحوث الإسلامية. الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿**وأنتم تعلمون**﴾ أنه نبي مرسل ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة والزكاة مأخوذة من زكا الزرع إذا نما وكثر. وقيل: من تزكى أي تطهر، وكلا المعنيين موجود في الزكاة، لأن فيها تطهيراً وتنمية للمال ﴿**واركعوا مع الراكعين**﴾ أي صلوا مع المصلين: محمد ﷺ وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع لأنه ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، فكأنه قال: صلوا صلاة ذات ركوع، قيل: إعادته بعد قوله ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ لهذا، أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين. وقيل: هذا حث على إقامة الصلاة جماعة كأنه قال لهم: صلوا مع المصلين الذين سبقوكم بالإيمان.

﴿**أتأمرون الناس بالبر**﴾ أي بالطاعة، نزلت في علماء اليهود، وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ: اثبت علي دينه فإن أمره حق وقوله صدق. وقيل: هو خطاب لأحبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ ﴿**وتنسون أنفسكم**﴾ أي تتركون أنفسكم فلا تتبعونه ﴿**وأنتم تتلون الكتاب**﴾ تقرؤون التوراة فيها نعته وصفته ﴿**أفلا تعقلون**﴾ أنه حق فتتبعونه؟.

والعقل مأخوذ من عقال الدابة، وهو ما يشدُّ به ركبة البعير فيمنعه من الشرود، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون

الكتاب»[1].

أخبرنا عبد الواحد / المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل ١٠/ب
أنا علي بن عبد الله أنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال: قال أسامة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه (أي تنقطع أمعاؤه) في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه[2] فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» وقال شعبة عن الأعمش «فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه»[3].

﴿واستعينوا﴾ على ما يستقبلكم من أنواع البلاء وقيل: على طلب الآخرة ﴿بالصبر والصلاة﴾ أراد حبس النفس عن المعاصي. وقيل: أراد: الصبر على أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر الصوم، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهده في الدنيا، والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى على، أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة، كما قال الله تعالى: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» (١٣٢ ــ طه) ﴿وإنها﴾ ولم يقل وانهما رداً للكناية إلى كل واحد منهما أي وإن كل خصلة منهما. كما قال: «كلتا الجنتين آتت أكلها» (٣٣ ــ الكهف) أي كل واحدة منهما. وقيل: معناه ﴿واستعينوا بالصبر﴾ وإنه لكبير وبالصلاة وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصاراً، وقال المؤرّج[4]: رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم كقوله تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها» (٣٤ ــ التوبة) رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم. وقيل: رد الكناية إلى الصلاة لأن الصبر داخل فيها. كما قال الله تعالى: «والله ورسوله أحق أن يرضوه» (٦٢ ــ التوبة) ولم يقل يرضوهما لأن رضا الرسول داخل في رضا الله تعالى.

وقال الحسين بن الفضل: «رد الكناية إلى الاستعانة ﴿لكبيرة﴾ أي: لثقيلة ﴿إلا على الخاشعين﴾

---

(١) أخرجه أحمد عن أنس بن مالك: ١٢٠/٣ و ٢٣١ و ٢٣٩.
وابن حبان برقم (٣٥) من موارد الظمآن والمصنف في شرح السنة: ٣٥٣/١٤ وقال: هذا حديث حسن. وفي سنده علي بن زيد بن جدعان: ضعيف (التقريب: ٣٧/٢ ميزان الاعتدال: ١٢٨/٣) وباقي رجاله ثقات.
وأخرجه ابن حبان من طريق أخرى لا بأس بها فيتقوى بها الحديث.
وأخرجه الواحدي في التفسير الوسيط: ٩٦/١ باختلاف يسير عن أنس أيضاً.

(٢) الرَّحى: الطاحون.

(٣) رواه البخاري: في بدء الخلق ــ باب صفة النار وأنها مخلوقة: ٣٣١/٦.
ومسلم: في الزهد ــ باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله برقم (٢٩٨٩) ٢٢٩٠/٤ ــ ٢٢٩١.
والمصنف في شرح السنة: ٣٥٢/١٤.

(٤) مُؤَرِّج السَّدُوسي: مؤرج بن عمرو بن الحارث من بني سدوس بن شيبان أبو فيد عالم بالعربية والانساب من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد من أهل البصرة كان له اتصال بالمأمون العباسي ورحل معه إلى خراسان فسكن مدة بمرو وانتقل إلى نيسابور من كتبه: جماهير القبائل وحذف نسب قريش، وغريب القرآن، وكتاب الامثال، والمعاني (الأعلام: ٣١٨/٧).

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

يعني: المؤمنين، وقال الحسن: الخائفين وقيل: المطيعين وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع السكون قال الله تعالى: «وخشعت الأصوات للرحمن» (١٠٨ ــ طه) فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

﴿**الذين يظنون**﴾ يستيقنون [أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون وأنهم راجعون إلى الله تعالى، أي: يصدقون بالبعث، وجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه](١).

والظن من الأضداد يكون شكاً ويقيناً وأملاً، كالرجاء يكون خوفاً وأملاً وأمناً ﴿**أنهم ملاقوا**﴾ معاينو ﴿**ربهم**﴾ في الآخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه ﴿**وأنهم إليه راجعون**﴾ فيجزيهم بأعمالهم.

﴿**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين**﴾ أي عالمي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء، لكن يحصل به الشرف للأبناء ﴿**واتقوا يوماً**﴾ واخشوا عقاب يوم ﴿**لا تجزي نفس**﴾ لا تقضي نفس ﴿**عن نفس شيئاً**﴾ أي حقاً لزمها وقيل: لا تغني، وقيل: لا تكفي شيئاً من الشدائد ﴿**ولا يقبل منها شفاعة**﴾ قرأ ابن كثير ويعقوب بالتاء لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون بالياء لأن الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة، فالتذكير على المعنى، والتأنيث على اللفظ، كقوله تعالى: «قد جاءتكم موعظة من ربكم» (٥٧ ــ يونس) وقال في موضع آخر «فمن جاءه موعظة من ربه» (٢٧٥ ــ البقرة) أي لا تقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة ﴿**ولا يؤخذ منها عدل**﴾ أي فداء وسمي به لأنه مثل المفديّ والعدل: المثل ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ يمنعون من عذاب الله.

﴿**وإذ نجيناكم**﴾ يعني: أسلافكم وأجدادكم فاعتدها مِنَّةً عليهم لأنهم نجوا بنجاتهم ﴿**من آل فرعون**﴾: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد مصعب بن الريان وكان من القبط العماليق وعمّر أكثر من اربعمائة سنة ﴿**يسومونكم**﴾ يكلفونكم ويذيقونكم، ﴿**سوء العذاب**﴾ أشد العذاب وأسوأه وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالإبل السائمة في البرية، وذلك أن فرعون جعل بني

(١) ساقط من ب.

إسرائيل خدماً وخولاً[١] وصنفهم في الأعمال فصنف يبنون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية.

وقال وهب: كانوا أصنافاً في أعمال فرعون، فذوو القوة ينحتون السواري[٢] من الجبال حتى قرحت[٣] أعناقهم وأيديهم ودبرت[٤] ظهورهم من قطعها ونقلها، وطائفة ينقلون الحجارة، وطائفة يبنون له القصور، وطائفة منهم يضربون اللَّبِن ويطبخون الآجر، وطائفة نجارون وحدادون، والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم، فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غُلَّت يمينه إلى عنقه شهراً، والنساء يغزلن الكتان وينسجن، وقيل: تفسيره ذكر ما بعده، ﴿يذبحون أبناءكم﴾ فهو مذكور على وجه البدل من قوله ــ يسومونكم سوء العذاب ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يتركونهن أحياء، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه؟ فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل فقال لهن: لا يسقطنَّ على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت، ووكَّل بالقوابل، فكن يفعلن ذلك حتى قيل: إنه قتل في بني إسرائيل اثنى عشر ألف صبي في طلب موسى، وقال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين ألف وليد. قالوا: وأسرع الموت في مشيخه بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل أفتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا؟ فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها، وموسى في السنة التي يذبحون فيها.

﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ قيل: البلاء المحنة، أي في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء النعمة أي في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر وقال: الله تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» (٣٥ ــ الأنبياء).

﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ قيل: معناه فرقنا لكم وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه وسمي البحر بحراً لاتساعه، ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتسع في جريه، وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلاً فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح،

---

(١) همَ حَشَمُ الرجل وأتباعه، واحدهم خائل: وهو مأخوذ من التخويل: التمليك، وقيل من الرعاية.
(٢) الاسطوانات.
(٣) جرحت.
(٤) دبرت ظهورهم، مأخوذ من دبرت الدابة: قرحت ظهرها.

١١/أ وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم، وكل ولد زنا في بني إسرائيل / من القبط إلى القبط حتى رجع كل إلى أبيه، وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم واشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا وطلعت الشمس، وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل، لا يعدُّون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بين رجل وامرأة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفاً(١).

وعن عمرو بن ميمون قال: كانوا ستمائة ألف فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخه بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسدَّ علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي: أنشُد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف عليه السلام إلا أخبرني به؟ ومن لم يُعْلِم به فُصُمَّت أذناه عن قولي! وكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي (فأمره)(٢) الله تعالى بإيتائها سؤلها فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال: نعم قالت: إنه في جوف الماء في النيل فادع الله حتى يحسر عنه الماء، فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام، فحفر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مرمر، وحمله حتى دفنه بالشام، ففتح لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على ساقتهم(٣) وهارون على مقدمتهم، ونذر(٤) بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم

(١) نقل ابن خلدون في مقدمة تاريخه أن المسعودي وكثيراً من المؤرخين ذكروا أن موسى عليه السلام أحصى بني اسرائيل في التيه، بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة، من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف ويزيدون. ثم فنَّد ذلك لجملة أسباب:
أ ــ إن في ذلك ذهولاً عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش، لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة.
ب ــ ثم إن هل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها، وُبعْدِها، إذا اصطفَّت، عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أزيد، فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفين ؟ وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر ؟.
ح ــ وأيضاً: فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لا تسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم.
د ــ وأيضاً فالذي بين موسى واسرائيل انما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون، والمدة بينهما على ما نقله المسعودي مائتان وعشرين سنة، ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال مثل هذا العدد. انظر: مقدمة ابن خلدون، ١٣/١ ــ ١٦، طبعة دار الكتاب العربي.
(٢) في الأصل: فأمر.
(٣) على مؤخرتهم: أي يقدمهم أمامه ويمشي خلفهم تواضعاً.
(٤) أي: علم.

أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك، فوالله ما صاح ديك تلك الليلة، فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات[1] [وقال محمد بن كعب رضي الله عنه: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات[2]][3] وكان فرعون يكون في الدهم[4] وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف، وكان بين يديه مائة ألف ناشب، ومائة ألف أصحاب حراب، ومائة ألف أصحاب الأعمدة، فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة فنظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين فقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا! والبحرُ أمامنا إنْ دخلناه غرقنا؟ قال الله تعالى: «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال موسى كلا إن معي ربي سيهدين» (٦١ ــ ٦٢ الشعراء).

فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يُطِعْهُ فأوحى الله إليه أن كَنِّه فضربَهُ وقال: انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يَبَساً فخاضت بنو إسرائيل البحر، كل سبط في طريق، وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا وقال كل سبط: قد قتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء: أن تشبّكي، فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى «وإذ فرقنا بكم البحر».

﴿فأنجيناكم﴾ من آل فرعون والغرق ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منغلقاً قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أَبَقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل: قالوا له إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل موسى، وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل على فرس أنثى وديق[5] فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من أمره شيئاً وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول جملة خلفه في البحر، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر، وخرج جبريل من

(١) جمع الشية: وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس.
(٢) هذه الأخبار من الاسرائيليات، لا يعتمد عليها في تفسير كتاب الله تعالى، ولا يتوقف فهمه عليها، والأولى أن نضرب عنها صفحاً.
(٣) ساقطة من (أ).
(٤) هو العدد الكثير، وهو أيضاً: الخيل السوداء.
(٥) فرس وديق: مريدة للفحل، تشتهيه. وقد أورد الطبري في تفسيره هذه الرواية وفي تاريخه أيضاً.

وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

البحر، وهمَّ أولهم بالخروج فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وغرقَّهم أجمعين، وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم، طرفٌ من بحر فارس، قال قتادة: بحر من وراء مصر يقال له إساف، وذلك بمرأى من بني إسرائيل فذلك قوله تعالى: ﴿**وأنتم تنظرون**﴾ إلى مصارعهم وقيل: إلى هلاكهم.

﴿**وإذ واعدنا**﴾ هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم: عافاك الله، وعاقبت اللص، وطارقت النعل. وقال الزجاج: كان من الله الأمر ومن موسى القبول، فلذلك ذكر بلفظ المواعدة، وقرأ أهل البصرة (وإذ وعدنا) من الوعد ﴿**موسى**﴾ اسم عبري عُرِّب وهو بالعبرانية (مو) الماء (وش) الشجر، سمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سيناً في العربية ﴿**أربعين ليلة**﴾ أي انقضاؤها: ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، وقرن التاريخ بالليل دون النهار لأن شهور العرب وضعت على سير القمر، والهلال إنما يهل بالليل وقيل: لأن الظلمة أقدم من الضوء، وخلق الليل قبل النهار، قال الله تعالى: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار» (٣٧ — يس) وذلك أن بني إسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر[١] لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما، فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وماتذرون، وواعدهم أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشراً من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حُيي ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرمى واسمه ميخا، وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان، وقال ابن عباس: اسمه موسى بن مظفر[٢]، وقال قتادة: كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، وكان منافقاً أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فلما رأى جبرائيلَ على ذلك الفرس ورأى

---

(١) والوجه أن يقال: ودخلوا الأرض المقدسة.
(٢) في ب: ظفر.

مواضع قدم الفرس تخضرُّ في الحال قال: إن لهذا شأناً فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبرائيل عليه السلام. قال عكرمة: ألقي في روعه أنه إذا ألقي في شيء غَيَّره، وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حُلياً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم، فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلي في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى قال السامري لبني إسرائيل: إن الحلي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم، فاحفروا حفرة فادفنوها فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه.

وقال السدي: إن هارون عليه السلام أمرهم أن يُلقوها في حفيرة، حتى يرجع موسى ففعلوا، / فلما اجتمعت الحُلي صاغها السامري عجلاً في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبرائيل عليه السلام، فخرج عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون، وخار خورة، وقال السدي: كان يخور ويمشي فقال السامري «هذا إلهكم وإله موسى فنسي» (٨٨ ــ طه) أي فتركه هاهنا وخرج يطلبه. ١١/ب

وكانت بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضت عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة.

وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري عكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه وقيل: كلهم عبدوه إلا هارون مع اثنى عشر ألف رجل، وهذا أصح، وقال الحسن: كلهم عبدوه إلا هارون وحده فذلك قوله تعالى ﴿**ثم اتخذتم العجل**﴾ أي إلهاً ﴿**من بعده**﴾ أظهر ابن كثير وحفص الذال من أخذت واتخذت والآخرون يدغمونها ﴿**وأنتم ظالمون**﴾ ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها ﴿**ثم عفونا عنكم**﴾ محونا ذنوبكم ﴿**من بعد ذلك**﴾ من بعد عبادتكم العجل ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية قال الحسن: شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» (١١ ــ الضحى) قال الفضيل: شكر كل نعمة أن لا يعصي الله بعد تلك النعمة وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر.

حكي أن موسى عليه السلام قال: إلهي أنعمت علي النعم السوابغ، وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك، قال الله تعالى: يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه شيء من علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو مني، وقال داود عليه السلام: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً، كما جعل اعترافه بالعجر عن معرفته معرفة.

قوله تعالى: ﴿**وإذ آتينا موسى الكتاب**﴾ يعني التوراة ﴿**والفرقان**﴾ قال مجاهد: هو التوراة أيضاً

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

ذكرها باسمين، وقال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب والواو زائدة، يعني: الكتاب المفرق بين الحلال والحرام، وقال يمان بن رباب: أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال «وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم» ﴿**لعلكم تهتدون**﴾ بالتوراة.

﴿**وإذ قال موسى لقومه**﴾ الذين عبدوا العجل ﴿**يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم**﴾ ضررتم بأنفسكم ﴿**باتخاذكم العجل**﴾ إلهاً قالوا: فأي شيء نصنع؟ قال: ﴿**فتوبوا**﴾ فارجعوا ﴿**إلى بارئكم**﴾ خالقكم قالوا: كيف نتوب؟ قال ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾ يعني ليقتل البريء منكم المجرم ﴿**ذلكم**﴾ أي القتل ﴿**خير لكم عند بارئكم**﴾ فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية[1] محتبين[2] وقيل لهم: من مدَّ حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأُصْلَتَ القوم عليهم الخناجر، فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتل دعا موسى وهارون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالا: يارب هلكت بنو اسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى.

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: كان عدد القتلى سبعين ألفاً فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول في الجنة، فكان من قتل منهم شهيداً، ومن بقي مكفَّراً عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى ﴿**فتاب عليكم**﴾ أي ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم ﴿**إنه هو التواب**﴾ القابل التوبة ﴿**الرحيم**﴾ بخلقه.

قوله تعالى: ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**﴾ وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلاً

(١) جمع فناء: وهو سعة أمام البيت، وقيل ما امتد من جوانبه.
(٢) الاحتباء: أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره.

من قومه من خيارهم، فقال لهم: صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربه، فقالوا لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربنا، فقال لهم: أفعل، فلما دنا موسى إلى طور سيناء من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله، فدخل في الغمام وقال للقوم: ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجداً، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونهم الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله: أني أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة[1] أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيّري، فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا: له «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» معاينة وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال جهرة ليعلم أن المراد منه العيان ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ أي الموت، وقيل: نار جاءت من السماء فأحرقتهم ﴿وأنتم تنظرون﴾ أي ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت. وقيل: تعلمون، والنظر يكون بمعنى العلم، فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: ماذا أقول لبني اسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ «لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا» (١٥٥ ــ الأعراف) فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلاً بعد رجل بعدما ماتوا يوماً وليلة، ينظر بعضهم إلى بعض، كيف يحيون فذلك قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم﴾ أحييناكم، والبعث: إثارة الشيء عن محله يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث ﴿من بعد موتكم﴾ قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة.

﴿لعلكم تشكرون * وظللنا عليكم الغمام﴾ في التيه يقيكم حر الشمس، والغمام من الغم وأصله التغطية والستر سمي السحاب غماماً لأنه يغطي وجه الشمس وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كنّ يسترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غماماً أبيض رقيقاً أطيب من غمام المطر، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن لهم قمر ﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ أي في التيه، الأكثرون على أن المنّ هو الترنجبين، وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجاج: جملة المن ما يمن الله به من غير تعب.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف / أنا محمد بن اسماعيل ١٢/ أ
أنا أبو نعيم أنا سفيان عن عبد الملك هو ابن عمير عن عمرو بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»[2].

---

(١) ذو بكّة: أي ذو قوة.

(٢) رواه البخاري: في تفسير سورة البقرة باب: وظللنا عليكم الغمام: ٨/١٦٣ وفي تفسير سورة الأعراف وفي الطب.
ومسلم: في الأشربة ــ باب: فضل الكمأة ومداواة العين بها برقم (٢٠٤٩) ٣/١٦١٩.
والمصنف في شرح السنة: ١١/٣٣٢ ــ ٣٣٣.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قالوا فكان هذا المن كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج، لكل إنسان منهم صاع، فقالوا: يا موسى قتلنا هذا المنُّ بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني، وقيل: هو السماني بعينه، بعث الله سحابة فمطرت السماني في عرض ميل وطول رمح في السماء، بعضه على بعض والسلوى: العسل، فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوماً وليلة وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت.

﴿**كلوا**﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا ﴿**من طيبات**﴾ حلالات ﴿**ما رزقناكم**﴾ ولا تَدَّخروا لغدٍ، ففعلوا، فقطع الله ذلك عنهم، ودوَّد وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى: ﴿**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ أي وما بخسوا بحقنا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعامُ ولم يَخْنَزِ اللحم(١)، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»(٢).

﴿**وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية**﴾ سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، ومنه المقراة: للحوض، لأنها تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق، وقيل: بلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الرملة

---

(١) ينتن.
(٢) رواه البخاري: في الأنبياء ـ باب: قول الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر: ٦/٤٣٠.
مسلم: في الرضاع ـ باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر برقم (١٤٧٠) ٢/١٠٩٢.
والمصنف في شرح السنة: ٩/١٦٤.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

والأردن وفلسطين وتدمر، وقال مقاتل: إيليا، وقال ابن كيسان: الشام ﴿**فكلوا منها حيث شئتم رغداً**﴾ موسعاً عليكم ﴿**وادخلوا الباب**﴾ يعني باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب ﴿**سجداً**﴾ أي ركعاً خُضَّعاً منحنين، وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله تعالى ﴿**وقولوا حطة**﴾ قال قتادة: حط عنا خطايانا، أُمروا بالاستغفار، قال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنها تحط الذنوب، ورفعها على تقدير: قولوا مسألتنا حطة ﴿**نغفر لكم خطاياكم**﴾ من الغفر وهو الستر، فالمغفرة تستر الذنوب، وقرأ أهل المدينة و(نافع)[1] بالياء وضمها وفتح الفاء، وقرأها ابن عامر بالتاء وضمها وفتح الفاء، وفي الأعراف قرأ جميعاً ويعقوب بالتاء وضمها، وقرأ الآخرون فيهما بنصب النون وكسر الفاء ﴿**وسنزيد المحسنين**﴾ ثواباً من فضلنا ﴿**فبدّل**﴾ فغيَّر ﴿**الذين ظلموا**﴾ أنفسهم وقالوا ﴿**قولاً غير الذي قيل لهم**﴾ وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة، فقالوا بلسانهم: حطانا سمقاثاً أي حنطة حمراء، استخفافاً بأمر الله تعالى، وقال مجاهد: طوّطيء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فأبَوْا أن يدخلوها سجداً فدخلوا على أستاههم مخالفة في الفعل كما بدّلوا القول وقالوا قولاً غير الذي قيل لهم.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا اسحاق بن نصر أنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة»[2].

﴿**فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء**﴾ قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً ﴿**بما كانوا يفسقون**﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

﴿**وإذ استسقى موسى**﴾ طلب السقيا ﴿**لقومه**﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل فأوحى الله إليه كما قال: ﴿**فقلنا اضرب بعصاك**﴾ وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً واسمها عليق حملها آدم عليه

---

(١) زيادة من ب.

(٢) رواه البخاري: في أحاديث الأنبياء ٦/٤٣٦ مسلم: في التفسير برقم (٣٠١٥) ٤/٢٣١٢.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى﴾

السلام من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام فأعطاها موسى عليه السلام.

قال مقاتل: اسم العصا بنعته قوله تعالى ﴿الحجر﴾ اختلفوا فيه قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً لكل سبط عين، وكانوا اثنى عشر سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وقال الآخرون: كان حجراً معيناً بدليل أنه عُرِّف بالألف واللام، قال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً على قدر رأس الرجل كان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، وقال عطاء: كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل: كان الحجر رخاماً، وقيل: كان من الكَذَّان[1] فيه اثنتا عشرة حفرة، ينبع من كل حفرة عين ماء عذب، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء، وكان يسقي كل يوم ستمائة ألف، وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل ففرَّ بثوبه ومرّ به على ملأ من بني اسرائيل حين رَمَوْه بالأُدْرة[2] فلما وقف أتاه جبريل فقال: إن الله تعالى يقول: ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فرفعه ووضعه في مخلاته، قال عطاء: كان يضربه موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة فيعرق ثم يتفجر الأنهار، ثم تسيل. وأكثر أهل التفسير يقولون: انبجست وانفجرت واحد، وقال أبو عمرو بن العلاء: انبجست عرقت وانفجرت، أي: سالت، فذلك قوله تعالى:

﴿فانفجرت﴾ أي فضرب فانفجرت أي سالت منه ﴿اثنتا عشرة عيناً﴾ على عدد الأسباط ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه ﴿كلوا واشربوا من رزق الله﴾ أي وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى، واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ والعيث: أشدُّ الفساد يقال عثى يعثي عيثاً، وعثا يعثو عثواً وعاث يعيث عيثاً.

قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾ وذلك أنهم أجمعوا وسئموا من أكل المن والسلوى، وإنما قال ﴿على طعام واحد﴾ وهما اثنان لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبّر
١٢/ب عن الواحد بلفظ الاثنين، كقوله تعالى / «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» (٢٢ ـــ الرحمن) وإنما يخرج من

(١) الحجر الرخو كأنه مدر وربما كان نَخِراً.
(٢) انتفاخ الخصْية.

هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

المالح دون العذب وقيل: كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكانا كطعام واحد وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم: كانوا يعجنون المن بالسلوى فيصيران واحداً ﴿**فادع لنا**﴾ فاسأل لأجلنا ﴿**ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها**﴾ قال ابن عباس: والفوم الخبز: وقال عطاء، الحنطة وقال القتيبي رحمه الله تعالى: الحبوب التي تؤكل كلها وقال الكلبي: ﴿**وعدسها وبصلها قال**﴾ لهم موسى عليه السلام ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى**﴾ أخسُّ وأردى ﴿**بالذي هو خير**﴾ أشرف وأفضل وجعل الحنطة أدنى في القيمة وإن كان هو خيراً من المن والسلوى، أو أراد أنها أسهل وجوداً على العادة، ويجوز أن يكون الخير راجعاً إلى اختيار الله لهم واختيارهم لأنفسهم ﴿**اهبطوا مصراً**﴾ يعني فإن أبيتم إلا ذلك فانزلوا مصراً من الأمصار، وقال الضحاك: هو مصر موسى وفرعون، والأول أصح، لأنه لو أراده لم يعرفه ﴿**فإن لكم ما سألتم**﴾ من نبات الأرض ﴿**وضربت عليهم**﴾ جعلت عليهم وألزموا ﴿**الذلة**﴾ الذل والهوان قيل: بالجزية، وقال عطاء بن السائب: هو الكستيج والزنار وزي اليهودية ﴿**والمسكنة**﴾ الفقر، سمي الفقير مسكيناً لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء، وقيل: الذلة هي فقر القلب فلا ترى في أهل الملل أذلَّ وأحرص على المال من اليهود.

﴿**وباءوا بغضب من الله**﴾ رجعوا ولا يقال باؤوا إلا بشر وقال أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدعاء: أبوء (لك)(١) بنعمتك علي وأبوء بذنبي، أي أُقرُّ ﴿**ذلك**﴾ أي الغضب ﴿**بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله**﴾ بصفة محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن ﴿**ويقتلون النبيين**﴾ تفرد نافع بهمز النبي وبابه، فيكون معناه المخبر من أنبأ ينبيء ونبأ ينبىء، والقراءة المعروفة ترك الهمزة، وله وجهان: أحدهما هو أيضاً من الإنباء، تركت الهمزة فيه تخفيفاً لكثرة الاستعمال، والثاني هو بمعنى الرفيع مأخوذة من النبّوة وهي المكان المرتفع، فعلى هذا يكون النبيين على الأصل ﴿**بغير الحق**﴾ أي بلا جرم فإن قيل: فلم قال: بغير الحق وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق؟ قيل ذكره وصفاً للقتل، والقتل تارة يوصف بغير الحق وهو مثل قوله تعالى: «قال رب احكم بالحق» (١١٢ ـــ الانبياء) ذكر الحق وصفاً للحكم لا أن حكمه ينقسم إلى الجور والحق، ويروى أن اليهود قتلت سبعين نبياً في أول النهار وقامت سوق بقتلهم في آخر النهار ﴿**ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

---

(١) ليست في الأصل.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا
فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا**﴾ يعني اليهود سموا به لقولهم: إنا هدنا إليك أي مِلنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا أي تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام، وعن دين موسى عليه السلام، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة ﴿**والنصارى**﴾ سموا به لقول الحواريين: نحن أنصار الله، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة، وقيل: لاعتزائهم إلى نَصِرَة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام.

﴿**والصابئين**﴾ قرأ أهل المدينة: والصابين والصابون بترك الهمزة والباقون بالهمزة، وأصله: الخروج، يقال: صبأ فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها، وصبأ ناب البعير إذا خرج، فهؤلاء سموا به لخروجهم من دين إلى دين، قال عمر وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر رضي الله عنه: ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب، وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم، وقال مجاهد: هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس، وقال الكلبي: هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤوسهم ويجبُّون[١] مذاكيرهم، وقال قتادة: قوم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة، ويصلون إلى الكعبة ويقرون بالله تعالى، أخذوا من كل دين شيئاً، قال عبد العزيز بن يحيى: انقرضوا[٢].

---

(١) يقطعونها.

(٢) وفي العراق في الوقت الحاضر أقليه من الصابئة وهم يعتقدون بالخالق عز وجل ويؤمنون باليوم الآخر ويدعون أنهم يتبعون تعاليم آدم عليه السلام وأن نبيهم يحيى جاء ينقي دين آدم مما علق به وعندهم كتاب يسمونه (الكانزابرا) أي صحف آدم ومن عباداتهم الصلاة وتقتصر على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض دون سجود ويؤدونها في اليوم ثلاث مرات قبل طلوع الشمس وعند زوالها وقبيل غروبها ويتوجهون في صلاتهم إلى النجم القطبي.
أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د/ عبد الكريم زيدان ص ١٤ ـــ ١٥ وانظر أقوال الفقهاء في حكم الصابئة في ابن كثير ١٨٩/١ ـــ ١٩٠ أحكام القرآن للجصاص ٩١/٣.

﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ فإن قيل: كيف يستقيم قوله ﴿من آمن بالله﴾ وقد ذكر في ابتداء الآية (إن الذين آمنوا)؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله ﴿إن الذين آمنوا﴾ على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم: هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار، وقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السني، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وبحيرا الراهب، ووفد النجاشي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ (وبايعه)(١)، ومنهم من لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة ﴿والذين هادوا﴾ الذين كانوا على دين موسى عليه السلام، ولم يبدلوا، والنصارى، الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك، قالوا: وهذان الاسمان لزماهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق، كالإسلام لأمة محمد ﷺ، والصابئون زمن استقامة أمرهم ﴿من آمن﴾ أي من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة، ويجوز أن يكون الواو مضمراً أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة، وقال بعضهم: إن المذكورين بالايمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم: الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصابئون بعض أصناف الكفار ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ من هذه الأصناف بالقلب واللسان ﴿وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم﴾ وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن (من) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ولا خوف عليهم﴾ في الدنيا ﴿و لا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ عهدكم يا معشر اليهود ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم، وهو قول مجاهد، وقيل: ما من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن، وقال الأكثرون: ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى: (قرآناً عربياً) وإنما هذا وأشباهه وقع وفاقاً بين اللغتين(٢)، وقال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم، وذلك لأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها للآصار(٣) والأثقال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ، فرفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل كالظلة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم، وقال عطاء عن ابن عباس رضي
١٣/ أ الله عنهما: رفع/الله فوق رؤوسهم الطور، وبعث ناراً من قبل وجوههم، وأتاهم البحر المالح من خلفهم

(١) في ب: تابعه.
(٢) انظر أقوال العلماء فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب، الاتقان للسيوطي ١٢٥/٢ .. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
(٣) جمع إصر: وهو هنا بمعنى العهد والميثاق، وقد يأتي بمعنى الإثم والعقوبة.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾

﴿**خذوا**﴾ أي قلنا لهم خذوا ﴿**ما آتيناكم**﴾ أعطيناكم ﴿**بقوة**﴾ بجد واجتهاد ومواظبة ﴿**واذكروا**﴾ وادرسوا ﴿**ما فيه**﴾ وقيل: احفظوه واعملوا به ﴿**لعلكم تتقون**﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، فإن قبلتم وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب لهم عنها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصار سنةً لليهود، ولا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم، ويقولون: بهذا السجود رفع العذاب عنا.

﴿**ثم توليتم**﴾ أعرضتم ﴿**من بعد ذلك**﴾ من بعد ما قبلتم التوراة ﴿**فلولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم ﴿**لكنتم**﴾ لصرتم ﴿**من الخاسرين**﴾ من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة وقيل: من المعذبين في الحال لأنه رحمهم بالإمهال.

قوله تعالى ﴿**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت**﴾ أي جاوزوا الحد، وأصل السبت: القطع، قيل: سمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال، والقصةفيه: أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرَّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لأمنها، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فإذا مضى السبت تغرقن ولزمن مَقْلَ[1] البحر، فلا يرى شيء منها فذلك قوله تعالى «إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم» (١٦٣ — الأعراف).

ثم ان الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر، وشرَّعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار، فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض، فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا يسوقون الحيتان إلى (الحياض)[2] يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل: كانوا ينصبون

---

(١) مقرُّ البحر واسفله.

(٢) زيادة من (ب).

الحبائل والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤوا على الذنب وقالوا: ما نرى السبت إلا وقد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملّحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية، وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنتين، فلعنهم داود عليه السلام، وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قردة لها أذناب يتعاوون، قال قتادة: صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا.

قال الله تعالى: ﴿فقلنا لهم كونوا قردة﴾ أمر تحويل وتكوين ﴿خاسئين﴾ مبعدين مطرودين، وقيل: فيه تقديم وتأخير أي كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات، والخسأ الطرد والإبعاد، وهو لازم ومتعد يقال: خَسَأْتُه خَسْأً فخسأ خُسُوءاً مثل: رجعته رجعاً فرجع رجوعاً ﴿فجعلناها﴾ أي جعلنا عقوبتهم بالمسخ ﴿نكالاً﴾ أي عقوبة وعبرة، والنكال اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه، ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع، وأصله من النِّكْل وهو القيد ويكون جمعه : أنكالاً ﴿لما بين يديها﴾ قال قتادة: أراد بما بين يديها يعني ما سبقت من الذنوب، أي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد ﴿وما خلفها﴾ ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم، و(ما) الثانية بمعنى مِنْ، وقيل: (جعلناها) أي جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها أي القرى التي كانت مبنية في الحال ﴿وما خلفها﴾ وما يحدث من القرى من بعد ليتعظوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فجعلناها وما خلفها، أي ما أعدَّ لهم من العذاب في الآخرة، نكالاً وجزاء لما بين يديها أي لما تقدم من ذنوبهم باعتدائهم في السبت ﴿وموعظة للمتقين﴾ : للمؤمنين من أمة محمد ﷺ فلا يفعلون مثل فعلهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ البقرة هي الأُنثى من البقر يقال: هي مأخوذة من البَقْر وهو الشق، سميت به لأنها تشقّ الأرض للحراثة .

والقصة[1] فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه

(١) القصة من الاسرائيليات، كما يظهر، ولا يقبل في تفسير كتاب الله إلا ما جاء برواية ثابتة. وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن قصّ قصة البقرة: وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدَّق ولا تكذب. فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم». تفسير ابن كثير ١٩٧/١ وانظر: الاسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي.

موته قتله ليرثه، وحمله إلى قرية أُخرى وألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناسٍ إلى موسى يدعي عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا، واشتبه أمر القتيل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول القَسَامة[(١)] في التوارة، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبيِّن لهم بدعائه، فأمرهم الله بذبح بقرة فقال لهم موسى: إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿**قالوا أتتخذنا هزواً**﴾ أي: تستهزىء بنا، نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة !! وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه، قرأ حمزة هُزْوا وكفْوًا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتثقيل، وبترك الهمزة حفص ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**أعوذ بالله**﴾ أمتنع بالله ﴿**أن أكون من الجاهلين**﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم (القوم)[(٢)] أن ذبح البقرة عَزْمٌ من الله عز وجل استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة، وذلك أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح له (ابن)[(٣)] طفل وله عِجْلَةٌ أتى بها إلى غيضة[(٥)] وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى تكبر، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عواناً[(٤)]، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان باراً بوالدته، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثه، فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إله ابراهيم واسماعيل واسحاق أن يردها عليك
١٣/ب / وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم بإله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب أن تأتي إليّ فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى فقالت: أيها الفتى البار بوالدتك اركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها، فقالت البقرة: بإله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبداً، فانطلِقْ فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك، فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له: إنك فقير لا مال لك فيشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة يومئذ ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله مَلَكاً ليُرِيَ خَلْقَه قُدْرَتَه وليختبر الفتى كيف بَرَّ بوالدته، وكان الله به

(١) الأيمان تقسم على أولياء القتيل الذين ادعوا الدم.
(٢) في الأصل: الناس.
(٣) من ب.
(٤) الشجر الملتف.
(٥) متوسط في السن بين الصغر والكبر.

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

خبيراً فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي فقال الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضىٰ أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني، فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك فقال: استأمرت أمك فقال الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستةٍ على أن أستأمرها فقال الملك: فإني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها، فأبى الفتى، فرجع إلى أمه فأخبرها، فقالت إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ (ففعل)[١] فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير، فأمسكوها، وقدّر الله تعالى على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فمازالوا يستوصفون موسى حتى وصف لهم تلك البقرة، مكافأة له على بره بوالدته فضلاً منه ورحمة (فذلك)[٢]:

قوله تعالى ﴿**قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي**﴾ أي (ماصفتها)[٣] ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**إنه يقول**﴾ يعني فسأل الله تعالى فقال: إنه، يعني أن الله تعالى يقول ﴿**إنها بقرة لا فارض ولا بكر**﴾ أي لا كبيرة ولا صغيرة، والفارض المسنة التي لا تلد، يقال منه: فرضت تفرض فروضاً، والبكر الفتاة الصغيرة التي لم تلد قط، وحذفت (الهاء)[٤]منهما للاختصاص بالإناث كالحائض ﴿**عوان**﴾ وسط نَصَفَ ﴿**بين ذلك**﴾ أي بين السنّين يقال عوّنت المرأةُ تعويناً: إذا زادت على الثلاثين، قال الأخفش (العوان: التي لم تلد قط، وقيل:)[٥] العوان التي نتجت مراراً وجمعها عُوْن ﴿**فافعلوا ما تؤمرون**﴾ من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال ﴿**قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال: إنه يقول: إنها بقرة صفراء فاقع لونها**﴾ قال ابن عباس: شديد الصفرة، وقال قتادة: صافٍ، وقال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع إنما يقال: أصفر فاقع، وأسود (حالك)[٦] وأحمر قانىء، وأخضر ناضر، وأبيض بقق للمبالغة، ﴿**تسر**

(١) من ب.
(٢) من ب.
(٣) في ب: سنها.
(٤) من ب.
(٥) ساقط من (ب) ومن المطبوع.
(٦) في الأصل كالح.

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿الناظرين﴾ : إليها يعجبهم حُسنها وصفاء لونها.

﴿قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمةٌ أم عاملة **﴿إن البقر تشابه علينا﴾** ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى: «أعجاز نخل منقعر» (٢٠ ــ القمر) وقال الزجاج: أي جنس البقر تشابه، أي التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه **﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾** إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ: «(والله)[١] لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد»[٢] **﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾** مذللة بالعمل يقال: رجل ذلول بَيِّن الذل، ودابة ذلول بيِّنةُ الذل **﴿تثير الأرض﴾** تقلبها للزراعة **﴿ولا تسقي الحرث﴾** أي ليست بساقية **﴿مسلمة﴾** بريئة من العيوب **﴿لا شية فيها﴾** لا لون لها سوى لون جميع جلدها قال عطاء: لا عيب فيها، وقال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد **﴿قالوا: الآن جئت بالحق﴾** أي بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بملء مَسْكِها ذهباً، **﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾** من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها، وقيل **﴿وما كادوا يفعلون﴾** من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها.

قوله عز وجل: **﴿وإذ قتلتم نفساً﴾** هذا أول القصة وإن كانت مؤخرةً في التلاوة، واسم القتيل (عاميل)[٣] **﴿فادّارأتم فيها﴾** أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأُدخلت الألف، مثل قوله: «اثاقلتم»، قال ابن عباس ومجاهد: معناه فاختلفتم، وقال الربيع بن أنس: تدافعتم، أي يحيل بعضكم على بعض من الدرء وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن نفسه **﴿والله مخرج﴾** أي مظهر **﴿ما كنتم تكتمون﴾** فإن القاتل كان يكتم القتل **﴿فقلنا اضربوه﴾** يعني القتيل **﴿ببعضها﴾** أي ببعض البقرة،

---

(١) في ب وايم الله.

(٢) الطبري: ٢/٢٠٥، ابن كثير: ١/١٩٩، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة. وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص(٨): أخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج مرفوعاً، وهو معضل.

(٣) معرفة الاسم ليس عليه دليل، والعلم به لا ينفع، والجهل به لا يضرُّ

واختلفوا في ذلك البعض، قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين: ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: بعَجْبِ الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى، ويُركَّب عليه الخَلْق، وقال الضحاك: بلسانها، وقال الحسين بن الفضل: هذا أَدَلُّ بها لأنه آلة الكلام، وقال الكلبي وعكرمة: بفخذها الأيمن، وقيل: بعضو منها لا بعينه، ففعلوا ذلك فقام القتيل حياً بإذن الله تعالى وأوداجه، أي عروق العنق، تشخب دماً وقال: قتلني فلان، ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث، وفي الخبر: «ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»[١] وفيه إضمار تقديره: فضرب فحيي ﴿**كذلك يحيي الله الموتى**﴾ كما أحيا عاميل، ﴿**ويريكم آياته لعلكم تعقلون**﴾ قيل تمنعون أنفسكم من المعاصي.

أما حكم هذه المسألة في الإسلام: إذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فإن كان ثَمَّ(لَوْثٌ)[٢] على إنسان ـــ واللوث: أن يغلب على القلب صدق المدعي، بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرقوا عن قتيل يغلب على القلب أن القاتل فيهم، أو وجد قتيل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم، فيغلب على القلب أنهم قتلوه ـــ فادعى الولي على بعضهم، يحلف المدعي خمسين يميناً على من يدعي عليه، وإن كان الأولياء جماعة تُوزَّع الأيمان عليهم، ثم بعدما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه إن ادعوا قَتْلَ خطأٍ، وإن ادعوا قتل عمد فمن ماله، ولا قود على قول الأكثرين وذهب بعضهم إلى وجوب القود، وهو قول عمر بن العزيز وبه قال مالك وأحمد، وإن لم يكن على المدعى عليه لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ثم هل يحلف يميناً واحدة أم خمسين يميناً؟ فيه قولان: (أحدهما) يميناً واحدة كما في سائر الدعاوي (والثاني) يحلف خمسين يميناً تغليظاً لأمر الدم، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: لا حكم للوث [ولا يزيد بيمين المدعي][٣] وقال: إذا وجد قتيل في محلَّة يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلِّفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الدية من سكانها، والدليل على أن البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث:

[ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن يحيى بن سعيد عن بشير ابن يسار][٤] عن سهل بن أبي حَثْمَةَ أن عبد الله بن سهل ومحُيِّصة بن مسعود خرجا إلى خيبر فتفرقا لحاجتهما فَقُتِلَ عبد الله بن سهل فانطلق هو وعبد الرحمن/ أخو المقتول وحويّصة بن مسعود إلى رسول الله ١٤/أ

---

(١) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢، وذكره ابن كثير: ١٩٤/١ بتحقيق الوادعي.
(٢) في الأصل: اللوث.
(٣) في ب: لايبدأ بيمين المدعي.
(٤) ساقط من الأصل، وهو في (ب).

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله ﷺ: «تحلفون خمسين يميناً وتستحقون دم صاحبكم أوقاتلكم» فقالوا يارسول الله لم نشهد ولم نحضر، فقال رسول الله ﷺ: «فتبرئكم يهود بخمسين يميناً» فقالوا يارسول الله كيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فعزم النبي ﷺ عقله من عنده(١) [وفي لفظ آخر فزعم أن النبي ﷺ عقله من عنده](٢) قال بشير بن يسار: قال سهل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مربد لنا، وفي رواية: لقد ركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مربد لنا» أخرجه مسلم عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب(٣).

وجه الدليل من الخبر: أن النبي ﷺ بدأ بأيمان المدعين لتقوي جانبهم باللَّوث، وهو أن عبد الله بن سهل وُجد قتيلاً في خيبر، وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وأهل خيبر، وكان يغلب على القلب أنهم قتلوه، واليمين أبداً تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه من حيث أن الأصل براءة ذمته وكان القول قوله مع يمينه.

قوله تعالى: ﴿**ثم قست قلوبكم**﴾ يبست وجفَّتْ، جفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه، وقيل: غَلُظَتْ، وقيل: اسودَّت، ﴿**من بعد ذلك**﴾ من بعد ظهور الدلالات. قال الكلبي: قالوا بعد ذلك: نحن لم نقتله، فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً لنبيهم منهم عند ذلك ﴿**فهي**﴾ أي في الغلظة والشدة ﴿**كالحجارة أو أشد قسوة**﴾ قيل: أو بمعنى بل وقيل: بمعنى الواو كقوله تعالى: «مائة ألف أو يزيدون» (١٤٧ ــ الصافات) أي: بل يزيدون أو ويزيدون، وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة، لأن الحديد قابل لِلِّين فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط، ثم فضَّل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿**وإنَّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار**﴾ قيل: أراد به (جميع)(٤) الحجارة، وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط ﴿**وإن منها لما يشقق فيخرج منه**

---

(١) رواه البخاري: في الجزية والموادعة ــ باب: الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره: ٦/٢٧٥.
ومسلم: في القسامة والمحاربين والقصاص والديات ــ باب القسامة برقم (١٦٦٩) ٣/١٢٩١.
والمصنف في شرح السنة: ١٠/٢١١ وما بعدها دون زيادة فعزم النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) وأخرجه مسلم من طرق أخرى عن يحيى بن سعيد في القسامة والمحاربين ٣/١٢٩٢.
(٤) زيادة من (ب).

﴿الماء﴾ أراد به عيوناً دون الأنهار ﴿وإن منها لما يهبط﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿من خشية الله﴾ وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود. فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم، فكيف (يخشى)[1]؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خلق علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جلَّ ذكره: «وإن من شيء إلا يسبح بحمده» (٤٤ ــ الاسراء» وقال «والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه» (٤١ ــ النور) وقال: «ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر» (١٨ ــ الحج) الآية، فيجب على (المؤمن)[2] الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى، ويروى أن النبي ﷺ كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل: انزل عني فإني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء: إليَّ يارسول الله» .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب النيسابوري أنا محمد بن اسماعيل الصائغ أنا يحيى بن أبي بكر أنا إبراهيم ابن طهمان عن سِماكِ بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن»[3] [هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يحيى بن أبي بكر. وصح عن أنس أن رسول الله ﷺ طلع على أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[4] وروي عن أبي هريرة يقول، صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ عيي فركبها فضربها فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا لحراثة الأرض» فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم!؟ فقال رسول الله ﷺ «فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثَمَّ» وقال: «بينما رجل في غنم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستنقذها، فقال الذئبُ: فمن لها يوم السبع؟ أي يوم القيامة، يوم لا راعي لها غيري» فقال الناس: سبحان الله ذئب

---

(١) في الأصل: يخشع.
(٢) في ب: المرء.
(٣) رواه مسلم: في الفضائل: باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة برقم (٢٢٧٧) ٤/١٧٨٢. والمصنف في شرح السنة: ٢٨٧/١٣، وعنه أصلحنا بعض الأغلاط في السند الذي سقط من الأصل.
(٤) رواه البخاري: في الجهاد ــ باب فضل الخدمة في الغزو ٨٣/٦ ــ ٨٤. وفي الأطعمة وفي الزكاة وفي الأنبياء. ومسلم: في الفضائل ــ باب: في معجزات النبي ﷺ برقم (١٣٩٢) ٤ /١٧٨٥. والمصنف في شرح السنة: ٢٥/١١.

يتكلم؟ فقال «أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم»[1]، وصح عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ على حراء وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ «اهدأ. أي: اسكن. فما عليكَ إلا نبي أو صديق أو شهيد»[2] صحيح أخرجه مسلم.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد يحيى بن أحمد بن علي الصانع أنا أبو الحسن علي بن اسحاق بن هشام الرازي أنا محمد بن أيوب بن ضريس البجلي الرازي أنا محمد بن الصباح عن الوليد ابن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد][3] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في نواحيها خارجاً من مكة بين الجبال والشجر، فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله»[4].

أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: «كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد، حتى نزل رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكنت»[5].

قال مجاهد: لا ينزل حجر من أعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله، ويشهد لما قلنا قوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» (٢١ — الحشر).

---

(١) رواه البخاري في الأنبياء: ٥١٢/٦، وفي الحرث والمزارعة، وفي فضائل أصحاب النبي، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم (٢٣٨٨) ١٨٥٧/٤.
والمصنف في شرح السنة: ٩٦/١٤ — ٩٧.

(٢) رواه البخاري: في فضائل أصحاب النبي — باب: مناقب عثمان بن عفان: ٥٣/٧.
ومسلم: في فضائل الصحابة — باب: من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما برقم (٢٤١٧) ١٤٨٠/٤.
والمصنف في شرح السنة: ١٢٧/١٤ بلفظ: فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ: اهدئي فما عليك إلا ....

(٣) زيادة من نسخة (ب) والمطبوع — ساقطة من (أ).

(٤) رواه الترمذي: في المناقب باب: الشجر والحجر يسلمان على النبي ٩٩/١٠—١٠٠ وقال: حسن غريب، والدارمي في المقدمة: ١٢/١.
والمصنف في شرح السنة: ٢٨٧/١٣ وقال هذا حديث غريب وفي سنده اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي وعباد بن أبي يزيد ضعيف ومجهول التقريب، ميزان الاعتدال ٣٧٨/٢.

(٥) رواه الترمذي: ١٠٠/١٠ — ١٠١ عن أنس، وقال حديث أنس هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
وابن ماجه: في اقامة الصلاة برقم (١٤١٤).
وأحمد: ٣٤٩/١ ومواضع أخرى، والدارمي في المقدمة — باب: ما أكرم الله النبي ﷺ بحنين المنبر: ١٦/١ وعند البخاري والنسائي بمعناه.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ
يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا
آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم
بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله عز وجل ﴿**وما الله بغافل**﴾ (بساهٍ)[١] ﴿**عما تعملون**﴾ وعيد وتهديد، وقيل: بتارك عقوبة ما تعملون؛ بل يجازيكم به، قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرون بالتاء.

قوله تعالى ﴿**أفتطمعون**﴾ أفترجون؟ يريد: محمداً وأصحابه ﴿**أن يؤمنوا لكم**﴾ تصدقكم اليهود بما تخبرونهم به ﴿**وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله**﴾ يعني التوراة ﴿**ثم يحرفونه**﴾ يغيرون ما فيها من الأحكام ﴿**من بعد ما عقلوه**﴾ علموه كما غيروا صفة محمد ﷺ وآية الرجم ﴿**وهم يعلمون**﴾ أنهم كاذبون، هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة[٢]، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك أنهم لما رجعوا ـــ بعد ما سمعوا كلام الله ـــ إلى قومهم رجع الناس إلى قولهم، وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق[٣].

﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا**﴾ قال ابن عباس والحسن وقتاده: يعني منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين ﴿**قالوا: آمنا**﴾ كإيمانكم ﴿**وإذا خلا**﴾ رجع ﴿**بعضهم إلى بعض**﴾ ـــ كعب ابن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود ـــ لأمرهم على ذلك ﴿**قالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم**﴾ بما قص الله عليكم في كتابكم: أن محمداً حق وقوله صدق. والفتاح القاضي.

وقال الكسائي: بما بيَّنه الله لكم [من العلم بصفة النبي ﷺ ونعته، وقال:][٤] الواقدي: بما أنزل الله عليكم، ونظيره: «لفتحنا عليهم بركات من السماء» (٤٤ ـــ الأنعام) أي أنزلنا، وقال أبو عبيدة: بما منَّ الله عليكم وأعطاكم ﴿**ليحاجوكم به**﴾ ليخاصموكم، يعني أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم

(١) زيادة من (ب).
(٢) أسباب النزول للواحدي ص٦٣.
(٣) أسباب النزول للواحدي ص٦٣.
(٤) ما بين القوسين جاء في نسخة ب تابعاً لكلام الكسائي.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

(عليكم)(١) فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه!! وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ: آمنوا به فإنه حق ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم ﴿عند ربكم﴾ في الدنيا والآخرة، وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض: [أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم، ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة قال بعضهم لبعض](٢) حين قال لهم النبي ﷺ: «يا إخوان القردة والخنازير» فقالوا: من أخبر محمداً بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم(٣)، ﴿أفلا تعقلون﴾

قال الله تعالى: ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾ يخفون ﴿وما يعلنون﴾ يبدون يعني اليهود.

وقوله تعالى: ﴿ومنهم أميون﴾ أي من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة، جمع أُميّ منسوب إلى الأم كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة.

[وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»(٤)](٥) وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ قرأ أبو جعفر: أماني بتخفيف الياء كل القرآن حذف إحدى الياءين (تخفيفاً)(٦)، وقراءة العامة بالتشديد، وهي جمع الأمنيّة وهي التلاوة، قال الله تعالى: «إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته» (٥٢ ـــ الحج) أي في قراءته، قال أبو عبيدة: [إلا تلاوته

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢ بتحقيق الشيخ شاكر، وذكره ابن كثير: ٢٠٧/١ بتحقيق الوادعي.
(٤) رواه البخاري: في الصوم ـــ باب: قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب: ١٣٦/٤.
ومسلم: في الصيام ـــ باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال برقم (١٠٨٠) ٧٦١/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٢٨/٦.
(٥) زيادة من نسخة ب، وفيها تقديم وتأخير في بعض العبارات تغيّر المعنى، فأصلحناها.
(٦) في المخطوطتين: استخفافاً.

وقراءته][1] عن ظهر القلب لايقرؤونه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظاً وقراءة لا يعرفون معناه. وقال ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتاب، وقال مجاهد وقتادة: إلا كذباً وباطلاً، قال الفراء: الأماني: الأحاديث المفتعلة، قال عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت (أي ما كذبت)[2]، وأراد بها الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم ثم / أضافوها إلى الله عز وجل من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره، ١٤/ب
وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمني، وهي أمانيهم الباطلة التي تمنوها على الله عز وجل مثل قولهم: «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» (١١١ ــ البقرة) وقولهم: «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة» (٨٠ ــ البقرة) وقولهم «نحن أبناء الله وأحباؤه» (١٨ ــ المائدة) فعلى هذا تكون (إلا) بمعنى (لكن) أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم ﴿وإن هم﴾ وما هم ﴿إلا يظنون﴾ وما هم إلا يظنون ظناً وتوهماً لا يقيناً، قاله قتادة والربيع، قال مجاهد: يكذبون.

قوله تعالى: ﴿فويل﴾ قال الزجاج: ويل كلمة يقولها كل واقع في هلكة، وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور، وقال ابن عباس: شدة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حرِّه.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رِشْدِيْن بن سعد [عن عمرو بن الحارث أنه حدث عن أبي السمح عن أبي الهيثم][3] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصَّعُود جبل من نار يتصعَّد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فهو كذلك»[4].

﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الايمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها: حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العينين، ربعة، فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤوا ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته فيكذبونه وينكرونه، قال الله تعالى: ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ يعني ماكتبوا

(١) في ب: إلا قراءة وتلاوة.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ساقط من «أ» وهو في «ب» وشرح السنة.

(٤) أخرجه الترمذي: في التفسير ــ سورة الأنبياء: ٥/٩ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة وأحمد: ٣/٧٥ وفي شرح السنة: ٢٤٧/١٥. (وفي سنده: رِشْدِين بن سعد ودرَّاج بن سمعان وكلاهما ضعيف).
انظر الضعفاء والمتروكين ص١٠٢ ، ١٠٧.
ميزان الاعتدال ٢٤/٢و٤٩. الجرح والتعديل ٤٤١/٣ ــ ٥١٣ تهذيب التهذيب ٢٠٨/٣ ــ ٢٧٧ التقريب ٢٣٥/١ ــ ٢٥١.

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن
يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿**وويل لهم مما يكسبون**﴾ من المآكل ويقال: من المعاصي.

﴿**وقالوا**﴾ يعني اليهود ﴿**لن تمسنا النار**﴾ [لن تصيبنا النار][1] ﴿**إلا أياماً معدودة**﴾ قدراً مقدَّراً ثم يزول عنا العذاب ويعقبه النعيم واختلفوا في هذه الآية، قال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون: هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نُعذَّب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة آيام. وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد فيها آباؤهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرٍ، فأقسم ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، فقال الله عز وجل تكذيباً لهم: ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**أتخذتم عند الله**﴾ ألِفُ استفهام دخلت على ألف الوصل، عند الله ﴿**عهداً**﴾؟ مَوْثِقاً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة ﴿**فلن يخلف الله عهده**﴾ ووعده قال ابن مسعود: عهداً بالتوحيد، يدل عليه قوله تعالى: «إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً» (٨٧ — مريم) يعني: قوله لا إله إلا الله ﴿**أم تقولون على الله مالا تعلمون**﴾ ثم قال ﴿**بلى**﴾ وبل وبلى: حرفا استدراك ومعناهما نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل ﴿**من كسب سيئة**﴾ يعني الشرك ﴿**وأحاطت به خطيئة**﴾ قرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع، والإحاطة الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة: هي الشرك يموت عليه، وقيل: السيئة الكبيرة. والاحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب، قاله عكرمة والربيع بن خيثم وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب، كلما أذنب ذنباً ارتفعت

(١) ساقط من أ.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ

(حتى تغشى)[١] القلب وهي الرين. قال الكلبي: أوبَقَتْهُ ذنوبه، دليله قوله تعالى «إلا أن يحاط بكم» (٦٦ ـــ يوسف) أي تهلكوا **﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾**.

قوله تعالى: **﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾** في التوراة، والميثاق العهد الشديد **﴿لا تعبدون إلا الله﴾** قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يعبُدون) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى «وقولوا للناس حسناً» معناه ألا تعبدوا فلما حذف أن صار الفعل مرفوعاً، وقرأ أبيّ بن كعب: لا تعبدوا إلا الله على النهي **﴿وبالوالدين إحساناً﴾** أي ووصيناهم بالوالدين إحساناً، براً بهما وعطفاً عليهما ونزولاً عند أمرهما، فيما لا يخالف أمر الله تعالى **﴿وذي القربى﴾** أي وبذي القرابة والقربى مصدر كالحسنى **﴿واليتامى﴾** جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له **﴿والمساكين﴾** يعني الفقراء **﴿وقولوا للناس حسناً﴾** صدقاً وحقاً في شأن محمد ﷺ فمن سألكم عنه فاصدقوه وبيِّنوا صفته ولا تكتموا أمره، هذا قول ابن عباس وسعيد ابن جبير وابن جريج ومقاتل، وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وقيل: هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: حَسَناً بفتح الحاء والسين أي قولاً حسناً **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم﴾** أعرضتم عن العهد والميثاق **﴿إلا قليلاً منكم﴾** وذلك أن قوماً منهم آمنوا **﴿وأنتم معرضون﴾** كإعراض آبائكم.

قوله عز وجل **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم﴾** أي لا تريقون دماءكم أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم، فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم، **﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾** أي لا يُخْرِجُ بعضكم بعضاً من داره، وقيل: لا تسيئوا جوار من جاوركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم **﴿ثم أقررتم﴾** بهذا العهد أنه حق وقَبِلْتُم **﴿وأنتم تشهدون﴾** اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتقرون بالقبول.

قوله عز وجل **﴿ثم أنتم هؤلاء﴾** يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء للتنبيه **﴿تقتلون أنفسكم﴾** أي (يقتل)[٢] بعضكم بعضاً **﴿وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم﴾** بتشديد الظاء أي تتظاهرون

(١) في الأصل حتى يقسو وفي ب حتى تغشى.
(٢) ساقط من الأصل.

تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ
وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

أدغمت التاء في الظاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله تعالى: «ولا تعاونوا» معناهما جميعاً: تتعاونون، والظهير: العون ﴿**بالإثم والعدوان**﴾ المعصية والظلم ﴿**وإن يأتوكم أسارى**﴾ وقرأ حمزة: أسرى، وهما جمع أسير، ومعناهما واحد ﴿**تفدوهم**﴾ بالمال وتنقذوهم وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب (تفادوهم) أي تبادلوهم، أراد: مفاداة الأسير بالأسير، وقيل: معنى القراءتين واحد.

ومعنى الآية قال السدي: إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه، فكانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون في حرب سنين؟ فيقاتل بنو قريظة وحلفاؤهم وبنو النضير وحلفاؤهم وإذا غلبوا أخربوا ديارهم وأخرجوهم منها، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيرهم العرب وتقول: كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم فيقولون: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن يستذل حلفاؤنا، فعيَّرهم الله تعالى بذلك فقال:

١٥/أ ﴿ **ثم أنتم / هؤلاء تقتلون أنفسكم** ﴾ وفي الآية تقديم وتأخير ونظمها (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) ﴿**وهو محرم عليكم إخراجهم**﴾ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم، فكأن الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال، وترك الاخراج، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداء أسراهم، فأعرضوا عن الكل إلا الفداء.

قال الله تعالى ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**﴾ قال مجاهد: يقول إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك ﴿**فما جزاء من يفعل ذلك منكم**﴾ يا معشر اليهود ﴿**إلا خزي**﴾ عذاب وهوان ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ فكان خزي قريظة القتل والسبي وخزي النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿**ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب**﴾ وهو عذاب النار ﴿**وما الله بغافل**

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ
فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن
قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ
ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

﴿عما تعملون﴾ قرأ ابن كثير ونافع (وأبو بكر)[1] بالياء، والباقون بالتاء قوله عز وجل: **﴿أولئك الذين اشتروا﴾** استبدلوا **﴿الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف﴾** يهون **﴿عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾** يمنعون من عذاب الله عز وجل.

قوله تعالى: **﴿ولقد آتينا﴾** أعطينا **﴿موسى الكتاب﴾** التوراة، جملة واحدة **﴿وقفينا﴾** وأتبعنا **﴿من بعده بالرسل﴾** رسولاً بعد رسول **﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾** الدلالات الواضحات وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة وقيل: أراد الإنجيل **﴿وأيدناه﴾** قوّيناه **﴿بروح القدس﴾** قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال والآخرون بضمها وهما لغتان مثل الرُّعْب والرُّعُب، واختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد بالروح الروح الذي نفخ فيه، والقدس هو الله أضافه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله، وناقة الله، كما قال: «فنفخنا فيه من روحنا» (١٢ ــ التحريم) [وروح منه][2] (١٧١ ــ النساء) وقيل: أراد بالقدس الطهارة، يعني الروح الطاهرة سمّى روحه قدساً، لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمراً من الله تعالى، قال قتادة والسدي والضحاك: روح القدس جبريل عليه السلام قيل: وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة لأنه لم يقترف ذنباً، قال الحسن: القدس هو الله وروحه جبريل قال الله تعالى: «قل نزله روح القدس من ربك بالحق» (١٠٢ ــ النحل)

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) زيادة من ب.

وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله (إلى السماء)[1] وقيل: سمي جبريل عليه السلام روحاً لَلطافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم به كان يحيي الموتى ويُري الناس به العجائب، وقيل: هو الانجيل جُعِل له روحاً كما (جعل القرآن روحاً لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه سبب لحياة القلوب)[2] قال تعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» (٥٢ ــ الشورى) فلما سمع اليهود ذكر عيسى عليه السلام قالوا: يا محمد لا مثل عيسى ــ كما تزعم ــ عملت، ولا كما تَقُصُّ علينا من الأنبياء فعلت، فأْتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً.

قال الله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم﴾ يا معشر اليهود ﴿رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾ تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان ﴿ففريقاً﴾ طائفة ﴿كذبتم﴾ مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وفريقاً تقتلون﴾ أي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوه من الأنبياء عليهم السلام ﴿وقالوا﴾ يعني اليهود ﴿قلوبنا غلف﴾ جمع الأغلف وهو الذي عليه غشاءٌ، معناه عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقولُ، قاله مجاهد وقتادة، نظيره قوله تعالى: «وقالوا قلوبنا في أكنَّةٍ» (٥ ــ فصلت) وقرأ ابن عباس غُلُف بضم اللام وهي قراءة الأعرج وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي: معناه أوعية لكل علم فلا تسمع حديثاً إلا تعيه إلا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه (خير)[3] لوعتْه وفهمتْه .

قال الله عز وجل ﴿بل لعنهم الله﴾ طردهم الله وأبعدهم عن كل خير ﴿بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾ قال قتادة: معناه لن يؤمن منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي فقليلاً يؤمنون، ونصب قليلاً [على الحال وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي فقليل يؤمنون ونصب قليلاً][4] بنزع الخافض، و (ما) صلة على قولهما، وقال الواقدي: معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً كقول الرجل للآخر: ما أقل ما تفعل كذا أي لا تفعله أصلاً ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ يعني القرآن ﴿مصدق﴾ موافق ﴿لما معهم﴾ يعني التوراة ﴿وكانوا﴾ يعني اليهود ﴿من قبل﴾ من قبل مبعث محمد ﷺ ﴿يستفتحون﴾ يستنصرون ﴿على الذين كفروا﴾ على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حَزَبَهم أمر ودهمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان، الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا يُنْصَرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج

(١) في الأصل: إلى موسى وفي (ب) إلى السماء.
(٢) في الأصل: كما جعل له القرآن روحاً مع نقص الآية: (وكذلك.......)
(٣) ساقط من الأصل.
(٤) ساقط من الأصل أ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم **﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾** يعني محمداً صلى الله عليه وسلم من غير بني اسرائيل وعرفوا نعته وصفته **﴿كفروا به﴾** بغياً وحسداً.

﴿فلعنة الله على الكافرين * بئسما اشتروا به أنفسهم﴾ بئس ونعم: فعلان ماضيان وُضعا للمدح والذم، لا يتصرفان تصرف الأفعال، معناه: بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق. وقيل: الاشتراء هاهنا بمعنى البيع والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم أي حين اختاروا الكفر (وبذلوا أنفسهم للنار)[1] **﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾** يعني القرآن **﴿بغياً﴾** أي حسداً وأصل البغي: الفساد ويقال بغى الجرح إذا فسد والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي طالب الظلم، والحاسد يظلم المحسود جهده، طلباً لإزالة نعمة الله تعالى عنه **﴿أن ينزل الله من فضله﴾** أي النبوة والكتاب **﴿على من يشاء من عباده﴾** محمد ﷺ، قرأ أهل مكة والبصرة ينزل بالتخفيف إلا (في سبحان الذي) في موضعين «وننزل من القرآن» (٨٢ ــ الإسراء) و «حتى تنزل» (٩٣ ــ الإسراء) فإن ابن كثير يشددهما، وشدَّد البصريون في الأنعام «على أن ينزل آية» (٣٧ ــ الأنعام) زاد يعقوب تشديد (بما ينزل) في النحل ووافق حمزة والكسائي في تخفيف (وينزل الغيث) في سورة لقمان وحم عسق، والآخرون يشددون الكل، ولم يختلفوا في تشديد «وما ننزله إلا بقدر» في الحجر (٢١) **﴿فباؤوا بغضب﴾** أي رجعوا بغضب **﴿على غضب﴾** قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال السدي: الأول بعبادة العجل والثاني بالكفر بمحمد ﷺ **﴿وللكافرين﴾** : الجاحدين بنبوة محمد ﷺ من الناس كلهم **﴿عذاب مهين﴾** مخز يهانون فيه.

قوله تعالى **﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾** يعني القرآن **﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾** يعني التوراة، يكفينا ذلك **﴿ويكفرون بما وراءه﴾** أي بما سواه من الكتب كقوله عز وجل «فمن ابتغى وراء ذلك» (٧ ــ المؤمنون) أي سواه، وقال أبو عبيدة: [بما وراءه][2] أي: بما سواه من الكتب **﴿وهو الحق﴾** يعني القرآن **﴿مصدقاً﴾** نصب على الحال **﴿لما معهم﴾** من التوراة **﴿قل﴾** لهم يا محمد **﴿فلم**

---

(١) في الأصل بذله.

(٢) وفي ب بما بعده.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾

تقتلون﴾ أي قَتَلْتُم ﴿**أنبياء الله من قبل**﴾ ولِمَ: أصله لِمَا فحذفت الألف فرقاً بين الجر والاستفهام كقولهم فيم وبم؟ ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

١٥/ب قوله عز وجل ﴿ **ولقدْ جاءكم موسى بالبينات** ﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة/ ﴿**ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا**﴾ أي استجيبوا وأطيعوا سميت الطاعة والإجابة سمعاً على المجاورة لأنه سبب للطاعة والإجابة ﴿**قالوا سمعنا**﴾ قولك ﴿**وعصينا**﴾ أمرك، وقيل: سمعنا بالأذن وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان فنسب ذلك إلى القول اتساعاً ﴿**وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**﴾ أي حب العجل، أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشراب اللون لشدة الملازمة يقال: فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحُمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن يُبْرَد العجل بالمبرد ثم يَذُرّه في النهر وأمرهم (بالشرب)(١) منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة(٢) الذهب على شاربه.

قوله عز وجل ﴿**قل بئسما يأمركم به إيمانكم**﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله أي بئس إيمان يأمركم بعبادة العجل ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ بزعمكم، وذلك أنهم قالوا: (نؤمن بما أنزل علينا) فكذبهم الله عز وجل.

[قوله تعالى ﴿**قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله**﴾ وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة مثل قولهم «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة» (٨٠ ــ البقرة) «ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو

---

(١) في (ب) بالشرب.
(٢) السُّحالة: بالضم: ما سقط من الذهب والفضة إذا بُرِدَ.

وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

نصارى» (١١١ — البقرة) وقولهم: «نحن أبناء الله وأحباؤه»][١] (١٨ — المائدة) فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال: قل لهم يا محمد (إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله) يعني الجنة عند الله **﴿خالصة﴾** أي خاصة **﴿من دون الناس فتمنوا الموت﴾** أي فأريدوه واسألوه لأن من علم أن الجنة مأواه حنَّ إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني **﴿إن كنتم صادقين﴾** في قولكم، وقيل: فتمنوا الموت أي ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة. وروي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لو تمنوا الموت لغَصَّ كل انسان منهم بريقه وما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات»[٢].

قال الله تعالى: **﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾** لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون وأراد (بما قدمت أيديهم) أي ما قدموه من الأعمال وأضافها إلى اليد [دون سائر الأعضاء][٣] لأن أكثر جنايات الانسان تكون باليد فأضيف إلى اليد أعماله وإن لم يكن لليد فيها عمل **﴿والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم﴾** اللام لام القسم والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود **﴿أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا﴾** قيل: هو متصل بالأول، وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تم الكلام بقوله (على حياة) ثم ابتدأ (من الذين أشركوا) وأراد بالذين أشركوا المجوس قاله أبو العالية والربيع سموا مشركين لأنهم يقولون بالنور والظلمة.

﴿يودُّ﴾ يريد ويتمنى **﴿أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾** يعني تعمير ألف سنة وهي تحية المجوس فيما بينهم يقولون عش ألف سنة وكل ألف نيروز ومهرجان، يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك **﴿وما هو بمزحزحه﴾** مباعده **﴿من العذاب﴾** من النار **﴿أن يعمر﴾** أي طول عمره لا ينقذه. [زحزحه وتزحزح][٤] من العذاب أو وزحزح: لازم ومتعد، ويقال زحزحته فتزحزح **﴿والله بصير بما يعلمون﴾** .

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) أخرجه الطبري موقوفاً على ابن عباس: ٢/٣٦٣، وقال الشيخ شاكر: ولكنه مرفوع بالروايات الأخر. وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٩): «وأخرج البيهقي في الدلائل من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لليهود: إن كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا: اللهم أمتنا. فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم إلا غصَّ بريقه ومات مكانه».

(٣) ساقط من ب.

(٤) ساقط من ب.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**قل من كان عدواً لجبريل**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن حبراً من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي ﷺ: أي مَلَك (نزل)[1] من السماء؟ قال (جبريل) قال: ذلك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك، إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وإنه عادانا مراراً وكان من أشد ذلك علينا، [أن الله تعالى أنزل على نبينا][2] أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلبه لقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدواً فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

وقال مقاتل: قالت اليهود: إن جبريل عدونا لأنه أمر بجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا، وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرضٌ بأعلى المدينة وممرّها على مدارس اليهود فكان إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم (كلاماً)[4] فقالوا له: ما في أصحاب محمد أحبَّ إلينا منك، إنهم يمرون علينا فيؤذوننا وأنت لا تؤذينا وإنا لنطمع فيك فقال عمر: والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ وأرى آثاره في كتابكم [وأنتم تكتمونها][5] فقالوا: من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل فقالوا: ذلك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة، وإن ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والمغنم[6] فقال لهم عمر: تعرفون جبريل وتنكرون محمداً؟ قالوا: نعم قال: فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من

---

(١) في ب يأتيك.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٩): هكذا ذكره الثعلبي والواحدي والبغوي، فقالوا: «روى ابن عباس: أن حبراً ...» ولم أقف له على سند، ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عنه.

وانظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي: ١٥٨/١، وأسباب النزول للواحدي أيضاً ص (٢٦).

(٤) ساقط من ب.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) في ب والسلم.

الله عز وجل؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره قال عمر: فإني أشهد أن من كان عدواً لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدواً لميكائيل فإنه عدو لجبريل، ومن كان عدواً لهما كان الله عدواً له، ثم رجع عمر إلى رسول الله ﷺ فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال «لقد وافقك ربك يا عمر» فقال عمر: لقد رأيتني بعد ذلك، في دين الله أصلب من الحجر[1].

قال الله تعالى ﴿**قل من كان عدواً لجبريل فإنه**﴾، يعني: جبريل ﴿**نزّله**﴾، يعنى: القرآن، كناية عن غير مذكور ﴿**على قلبك**﴾ يا محمد ﴿**بإذن الله**﴾ بأمر الله ﴿**مصدقاً**﴾ موافقاً ﴿**لما بين يديه**﴾ لما قبله من الكتب، ﴿**وهدىً وبشرى للمؤمنين**﴾.

قوله عز وجل: ﴿**من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال**﴾ خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في قوله ﴿**وملائكته**﴾ تفضيلاً وتخصيصاً، كقوله تعالى: «فيهما فاكهة ونخل ورمان» (٦٨ ــ الرحمن) خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة، والواو فيهما بمعنى: أو، يعني من كان عدواً لأحد هؤلاء فإنه عدو للكل، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل ﴿**فإن الله عدو للكافرين**﴾ قال عكرمة: جبر و ميك واسراف هي العبد بالسريانية، وايل هو الله تعالى ومعناهما عبد الله وعبد الرحمن. وقرأ ابن كثير جَبريل بفتح الجيم غير مهموز بوزن فعليل قال حسان:

وجبريـــل رسول الله فينـــا ... وروح القدس ليس له كفاء

وقرأ حمزة والكسائي بالهمز والاشباع بوزن سلسبيل، وقرأ أبو بكر بالاختلاس، وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز، وميكاييل قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص ميكال بغير همز قال جرير:

عَبدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ... وَبِجَبْرَئِيـلَ وَكَذَّبُـوا مِيْكَـالَا[2]

وقال آخـر:

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِيْنَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ ... فيهِ مَعَ النَّصْرِ جِبْرِيْلٌ وَمِيْكَالُ[3]

وقرأ نافع: بالهمزة والاختلاس، بوزن ميفاعل، وقرأ الآخرون: بالهمز والاشباع بوزن ميكائيل، وقال ابن صوريا: ما جئتنا بشيء نعرفه، فأنزل الله تعالى[4] ﴿**ولقد أنزلنا إليك آيات. بينات**﴾ واضحات

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢ ــ ٣٨٥. وعزاه ابن حجر للواحدي في أسباب النزول من رواية داود بن أبي هند عن الشعبي، وهو عنده في ص ٢٧ ــ ٢٨، وذكره أيضاً، في التفسير: ١٦٠/١ وانظر: الكافي الشاف ص (٩).

(٢) البيت لجرير، وهو في ديوانه ص ٤٥٠، ونقائض جرير والأخطل ص (٨٧)، وانظر: تفسير الطبري: ٣٨٨/٢، تفسير الواحدي: ١٥٩/١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨/٢، تفسير الواحدي: ١٥٩/١.

(٤) الأثر أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢ من طريق ابن اسحاق: وهو في السيرة النبوية لابن هشام: ١٩٦/٢ مع شرحها الروض الأنف. وانظر: الكافي الشاف ص (٩).

أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

مفصلات بالحلالِ والحرامِ والحدودِ والأحكامِ ﴿**وما يكفر بها إلا الفاسقون**﴾ الخارجون عن أمرِ الله عز وجل.

قوله تعالى ﴿**أوَ كُلَّما**﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام ﴿**عاهدوا عهداً**﴾ يعني اليهود عاهدوا لئن خرج محمد ليؤمِنُنَّ به، فلما خرج كفروا به.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما ذكرهم رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم (من الميثاق)[1] وعهد إليهم في محمد أن يؤمنوا، به قال مالك بن الصيف: والله ما عُهِدَ إلينا في محمد عهدٌ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2]، يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاردي «أو كلما عوهدوا» فجعلهم مفعولين، وقال عطاء:
١٦/أ هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود / أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير[3]، دليله قوله تعالى «الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم» (٥٦ ــ الأنفال)، ﴿**نبذه**﴾ طرحه ونقضه ﴿**فريق**﴾ طوائف ﴿**منهم**﴾ من اليهود ﴿**بل أكثرهم لا يؤمنون، ولما جاءهم رسول من عند الله**﴾ يعني محمداً ﴿**مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم**﴾ يعني التوراة وقيل: القرآن ﴿**كأنهم لا يعلمون**﴾ قال الشعبي: كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها، وقال سفيان بن عينية: أدرجوها في الحرير والديباج وحلوها بالذهب والفضة ولم يعملوا بها فذلك نبذهم لها[4].

قوله تعالى: ﴿**واتبعوا**﴾ يعني اليهود ﴿**ما تتلوا الشياطين**﴾ أي: ماتَلَتْ، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كنت تتلو أي تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه:

---

(١) ساقط من ب.
(٢) الأثر أخرجه الطبري: ٢/٤٠١، وهو في سيرة ابن هشام: ٢/١٩٦.
(٣) العبارة بنصها في الواحدي: ١/ ١٦٢ مع زيادة. وانظر: القرطبي: ٢/٤٠، البحر المحيط: ١/٣٢٣.
(٤) تفسير الواحدي ١/١٦٣، القرطبي: ١/١٦، القرطبي: ٢/٤١، البحر المتوسط: ١/٣٢٥.

حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ
وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ
مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟
لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

تتبع وتعمل به، وقال عطاء تحدث وتكلم به ﴿**على ملك سليمان**﴾ أي: ملكه وعهده.

وقصة الآية[(١)]: أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات[(٢)] على لسان آصف بن برخيا هذا ما علَّم آصف بن برخيا سليمان الملك، ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها وقالوا للناس: إنما ملكهم سليمان بها فتعلموه فأما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا من علم الله[(٣)]، وأما السِّفْلَة، فقالوا: هذا علم سليمان، وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائهم، وفشت الملامة على سليمان فلم يزل هذا حالهم وفعلهم حتى

---

(١) ساق ابن كثير رحمه الله جملة من الروايات في تفسير الآية ثم قال: «وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين: كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة، وأبي العالية والزهري، والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصَّها خلق من المفسرين، من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسطٍ ولا اطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن، على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال». تفسير ابن كثير: ١/٢٤٩ ـــ ٢٥٠.
وقال القاضي عياض رحمه الله عن هاروت وماروت.. «وما ذكر فيها أهل الأخبار ونَقَلَةُ المفسرين، وما روى عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما ـــ بمحبة المرأة وعقابهما على مافعلا، وما وقع من السحر: فاعلم ـــ أكرمك الله ـــ أن هذه الأخبار لم يُرْوَ منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس.
والذي منه في القرآن: اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضُهم فيه كثيرٌ من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم، كما نصَّه الله أول الآيات منها وافترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه.
وقد انطوت القصة على شُنَعٍ عظيمة، وها نحن نخبِّر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات، إن شاء الله» ثم ذكر مايزيِّف القصة ويبطلها من عدة وجوه انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ٢/٨٥٣ ـــ ٨٥٩.
وبعد أن ذكر ابن عطية في تفسيره الروايات عن القصة قال: «وهذا كله ضعيف وبعيد على ابن عمر رضي الله عنهما» انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ١/٤٢٠. وانظر أيضاً ما ذكره الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه في تفسيره: وابن العربي في أحكام القرآن: ١/٢٧ ـــ ٣٠، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢/٥٢. ومع ورود بعض الروايات في المسند للإمام أحمد أو غيره، فإنها روايات ضعيفة، لا تعارض الأخبار الصحيحة والقواعد المقررة عن عصمة الملائكة عليهم السلام وإن سكت عنها الإمام الطبري والثعلبي والبغوي. وانظر: لباب التفسير لمحمود بن حمزة الكرماني ١/٣٦٩. تحقيق د. ناصر بن سليمان العمر.

(٢) وهو أخذ كالسحر، وليس به، وإنما هو تشبيه وتلبيس. القاموس.

(٣) هكذا جاء في نسخة (أ) وفي ب (سليمان) وكذلك المطبوع، وهو الصحيح.

بعث الله محمداً ﷺ وأنزل عليه براءة سليمان، هذا قول الكلبي.

وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره، فيأتون الكهنة ويخلطون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها [فكُتِبَ ذلك](١) وفشا في بني إسرائيل أن الجن يعلمون الغيب، فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه، فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب، وخلف من بعدهم خلف، تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفراً من بني إسرائيل فقال: أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً قالوا: نعم فذهب معهم فأراهم المكان الذي تحت كرسيه، فحفروا فأقام ناحية فقالوا له: أدن وقال: لا أحضر، فإن لم تجدوه فاقتلوني، وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق، فحفروا وأخرجوا تلك الكتب، فقال الشيطان لعنه الله: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين والطير بهذا، ثم طار الشيطان عنهم، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، وأخذوا تلك الكتب (واستعملوها)(٢) فلذلك أكثر ما يوجد السحرفي اليهود، فلما جاء محمد ﷺ برأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل في عذر سليمان: ﴿وما كفر سليمان﴾ بالسحر، وقيل: لم يكن سليمان كافراً بالسحر ويعمل به ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ قرأ ابن عباس رضي الله عنه والكسائي وحمزة، «لكن» خفيفة النون، «والشياطين» رفع، وقرأ الآخرون ولكنَّ مشددة النون «والشياطين» نصب وكذلك «ولكن الله قتلهم» (١٧ ـــ الأنفال) «ولكن الله رمى» (١٧ ـــ الأنفال) ومعنى لكن: نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل.

﴿يعلمون الناس﴾ قيل: معنى السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى «وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك» (٤٩ ـــ الزخرف) أي العالم، والصحيح: أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة، وعليه أكثر الأمم، ولكن العمل به كفر، حكي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: السحر يخيل ويمرض وقد يقتل، حتى أوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان، يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه، فإذا تلقاه منه استعمله في غيره، وقيل: إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب، والأصح أن ذلك تخييل قال الله تعالى: «يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» (٦٦ ـــ طه) لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحمى ويغضبُ وربما يُحم منه،

(١) وفي (ب) فاكتتب الناس ذلك.
(٢) ساقطة من (ب).

وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الأبدان(١).

قوله عز وجل ﴿وما أنزل على الملكين ببابل﴾ أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين [أي إلهاماً وعلماً، فالإنزال بمعنى الإلهام والتعليم، وقيل: واتبعوا ما أنزل على الملكين](٢) وقرأ ابن عباس والحسن المِلِكين بكسر اللام، وقال ابن عباس: هما رجلان ساحران كانا ببابل، وقال الحسن: عِلجان(٣) لأن الملائكة لا يعلمون السحر.

وبابل هي بابل العراق سميت بابل لتبلبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود أي تفرقها، قال ابن مسعود: بابل أرض الكوفة، وقيل جبل دماوند، والقراءة المعروفة على الملكين بالفتح. فإن قيل كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة ؟ قيل: له تأويلان: أحدهما، أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه، والتعليم بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما.

والتأويل الثاني: وهو الأصح: أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقى يتعلم السحر منهما [ويأخذه عنهما ويعمل به](٤) فيكفر به، ومن سعد يتركه فيبقى على الايمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً، ففيه ابتلاء للمعلم [والمتعلم](٥) ولله أن يمتحن عباده بما شاء، فله الأمر والحكم.

قوله عز وجل ﴿هاروت وماروت﴾ اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملكين إلا أنهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما، وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس والمفسرون(٦): أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام فعيروهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليفة واخترتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركّبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال لهم الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أُهبطهما إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم، وقال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اختاروا ثلاثة فاختاروا عَزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت ـــ غُير إسمهما لما قارفا الذنب ـــ وعزائيل، فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق

(١) انظر تفصيل ذلك فيما بسطه ابن كثير من مسائل حول حقيقة السحر وحكم تعاطيه وتعلمه... في التفسير: ١/٢٥٢ ـــ ٢٦١، أحكام القرآن للجصاص: ١/٥٠ ـــ ٧٢.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) العِلج: الرجل الضخم من كفار العجم.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) راجع فيما سبق هامش (١) ص (١٢٧). وما قاله المحققون من المفسرين في رد هذا الروايات الاسرائيلية.

ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فأما عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء، فأقاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه، ولم يزل بعد ذلك مطأطئاً رأسه حياء من الله تعالى.

وأما الآخران: فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء، قال قتادة: فما مر عليهما شهر حتى افْتُتِنَا. قالوا جميعاً إنه اختصمت إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وكانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت: لا إلا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث
١٦/ب ومعها / قدح من خمر، وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة، فزنيا فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه، قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكباً ــ وقال بعضهم: جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للأخر: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي (من حب هذه)[1]؟ قال: نعم فقال: وهل لك أن تقضي لها على زوجها بما تقول؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها، فقالت: لا إلا أن تقتلاه فقال أحدهما: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها، فقالت: لا، إن لي صنماً أعبده، إن انتما صليتما معي له: فَعَلْتُ، فقال: أحدهما لصاحبه مثل القول الأول فقال صاحبه مثله، فصليا معها له فمسخت شهاباً.

قال ابن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي والسدي: إنها قالت لهما حين سألاها نفسها: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا: باسم الله الأكبر، قالت: فما أنتم تدركاني حتى تعلمانيه، فقال أحدهما لصاحبه: علمها فقال: إني أخاف الله رب العالمين، قال الآخر: فأين رحمة الله تعالى؟ فعلماها ذلك فتكلمت، فصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً، فذهب بعضهم إلى أنها الزهرة بعينها وأنكر الآخرون هذا وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بها فقال «فلا أقسم بالخنس الجواري الكنس» (١٥ ــ التكوير) والتي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها فلما بغت مسخها الله تعالى شهاباً، قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب

(١) ساقطة من ب.

همًّا بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلما ما حل بهما (من الغضب)[1] فقصدا إدريس النبي عليه السلام، فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقالا له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا، إلى ربك ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان.

واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود: هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة، وقال عطاء بن أبي رباح: رؤوسهما مصوبة تحت أجنحتهما، وقال قتادة (كبِّلا)[2] من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما، وقال مجاهد: جعلا في جب مُلِئت ناراً، وقال عمر بن سعد: منكوسان يُضربان بسياط من الحديد.

وروي أن رجلاً قصد هاروت وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما، مزرقة أعينهما، مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه قالا له: من أنت؟ قال: رجل من الناس، قالا: من أي أمة أنت؟ قال: من أمة محمد ﷺ قالا: أو قد بعث محمد ﷺ؟ قال: نعم قالا: الحمد لله، وأظهرا الاستبشار فقال الرجل: ومِمَّ استبشاركما؟ قالا: إنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا.

قوله تعالى: ﴿**وما يعلمان من أحد**﴾ أي أحداً، و «من» صلة ﴿**حتى**﴾ ينصحاه أولاً و ﴿**يقولا إنما نحن فتنة**﴾ ابتلاء ومحنة ﴿**فلا تكفر**﴾ أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختبار والامتحان، من قولهم: فَتَنْتُ الذهب والفضة إذا أذبتهما بالنار، ليتميز الجيدّ من الرديء، وإنما وحَّد الفتنة وهما اثنان، لأن الفتنة مصدر، والمصادر لا تثنى ولا تجمع، وقيل: إنهما يقولان «إنما نحن فتنة فلا تكفر» سبع مرات.

قال عطاء والسدي: فإن أبى إلا التعلم قالا له: إئت هذا الرماد (وأقبل عليه)[3] فيخرج منه نور ساطع في السماء فذلك نور المعرفة، وينزل شيء أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى، قال مجاهد: إن هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافة واحدة، ﴿**فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه**﴾ وهو أن (يؤخِّذ)[4] كل واحد عن

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) في ب كبّلا.

(٣) في ب قَبِّل عليه.

(٤) في أ يأخذ، ويقال: أخذه تأخيذاً، والتأخيذ: حبس السواحر أزواج النساء عن غيرهن من النساء، ويقال لهذه الحيلة: الأُخذة ــ بضم فسكون» [انظر: لسان العرب مادة: أخذ].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

صاحبه، ويُبَغِّضَ كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى: ﴿**وما هم**﴾ قيل أي: السحرة وقيل: الشياطين ﴿**بضارّين به**﴾ أي بالسحر ﴿**من أحد**﴾ أي أحداً، ﴿**إلا بإذن الله**﴾ أي: بعلمه وتكوينه، فالساحر يسحر والله يُكَوِّن.

قال سفيان الثوري: معناه إلا بقضائه وقدرته ومشيئته، ﴿**ويتعلمون ما يضرهم**﴾ يعني: أن السحر يضرهم ﴿**ولا ينفعهم، ولقد علموا**﴾ يعني اليهود ﴿**لمن اشتراه**﴾ أي اختار السحر ﴿**ما له في الآخرة من خلاق**﴾ أي في الجنة من نصيب ﴿**ولبئس ما شروا به**﴾ باعوا به ﴿**أنفسهم**﴾ حظَّ أنفسهم، حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾ فإن قيل: أليس قد قال «ولقد علموا لمن اشتراه» فما معنى قوله تعالى «لو كانوا يعلمون» بعدما أخبر أنهم علموا ؟ قيل: أراد بقوله «ولقد علموا» يعني الشياطين وقوله «لو كانوا يعلمون» يعني اليهود، وقيل: كلاهما في اليهود يعني: لكنهم لما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا ﴿**ولو أنهم آمنوا**﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿**واتقوا**﴾ اليهودية والسحر ﴿**لمثوبة من عند الله خير**﴾ لكان ثواب الله إياهم خيراً لهم ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾ .

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا**﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله، من المراعاة أي أَرْعِنَا سمعك، أي فَرِّغْ سمعك لكلامنا، يقال: أرعى إلى الشيء، ورعاه، وراعاه، أي أصغى إليه واستمعَهَ، وكانت هذه اللفظة (شيئاً)[1] قبيحاً بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم اسمع لا سمعت.

وقيل: هي من الرعونة إذا أرادوا ان يحمِّقوا إنساناً قالوا له: راعنا بمعنى ياأحمق ! فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسبُّ محمداً سراً، فأعلِنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ[2] ففطن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أو لستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى ﴿**لا**

---

(١) وفي ب سباً.

(٢) في اسباب النزول: سعد بن عبادة.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ
وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

تقولوا راعنا﴾ كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله ﷺ[1] **﴿وقولوا انظرنا﴾** أي انظر إلينا وقيل: انتظرنا وتأنَّ بنا، يقال: نظرت فلاناً وانتظرته، ومنه قوله تعالى «انظرونا نقتبس من نوركم» (١٣ — الحديد) قال مجاهد: معناها (فهِّمْنَاهُ)[2] **﴿واسمعوا﴾** ما تؤمرون به وأطيعوا **﴿وللكافرين﴾** يعني اليهود **﴿عذاب أليم﴾** .

قوله تعالى: **﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد ﷺ قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيراً، فأنزل الله تكذيباً لهم **﴿ما يود الذين﴾** أي ما يحب ويتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود **﴿ولا المشركين﴾** جره بالنسق على من **﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾** أي خير ونبوة، ومِنْ صلة **﴿والله يختص برحمته﴾** بنبوته **﴿من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾** والفضل ابتداء إحسان بلا علة.

وقيل: المراد بالرحمة الإسلام والهداية وقيل: معنى الآية إن الله تعالى بعث الأنبياء من ولد إسحاق فلما بعث النبي ﷺ من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم، (فنزلت الآية)[3] وأما المشركون فإنما لم تقع بودهم لأنه جاء بتضليلهم وعيب آلهتهم.

قوله عز وجل **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾** وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً ما يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه يقول [اليوم قولا ويرجع عنه غداً كما أخبر الله «وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم][4] بما ينزِّل قالوا: إنما أنت مفترٍ» (١٠١ — النحل) وأنزل **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾** فبين وجه الحكمة من النسخ بهذه الآية.

والنسخ في اللغة شيئان[5]:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢ / ٧٥، أسباب النزول للواحدي ص (٣١).
(٢) وفي ب فهمنا.
(٣) ساقطة من ب.
(٤) ساقط من أ.
(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٥/٤٢٤، مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (٤٩٠).

أحدهما: بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ.

والثاني: يكون بمعنى الرفع يقال: نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلتة. فعلى هذا يكون
١٧/ أ بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً وهو المراد من الآية / وهذا على وجوه، أحدها: أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقارب. وآية عدة الوفاة بالحول وآية التخفيف في القتال وآية الممتحنة ونحوها[(١)]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آية﴾ ما نثبت خطها ونبدل حكمها، ومنها أن ترفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم، ومنها أن ترفع تلاوته أصلاً عن المصحف وعن القلوب كما روي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن قوماً من الصحابة رضي الله عنهم قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال رسول الله ﷺ «تلك سورة رفعت تلاوتها وأحكامها»[(٢)]، وقيل: كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة، فرفع أكثرها تلاوة وحكماً، ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه، كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومصابرة الواحد العشر في القتال نسخت بمصابرة الاثنين، ومنها ما يرفع ولا يُقام غيره مقامه، كامتحان النساء. والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار.

أما معنى الآية فقوله ﴿ماننسخ من آية﴾ قراءة العامة بفتح النون وكسر السين من النسخ، أي: نرفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الإنساخ وله وجهان:

أحدهما: ان نجعله كالمنسوخ.

والثاني: أن نجعله نسخة له [يقال: نسخت الكتاب أي كتبته، وأنسخته غيري إذا جعلته نسخة له][(٣)] ﴿أو ننسها﴾ أي ننسها على قلبك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، نتركها لا ننسخها، قال الله تعالى «نسوا الله فنسيهم» (٦٧ ــ

---

(١) انظر تفضيل أحكام النسخ وما يتعلق به في: الرسالة للإمام الشافعي ص١٣٧ وما بعدها، والايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه. لُبَاب التفسير: ٣٨٢/١ ــ ٣٨٦ وعامة كتب أصول الفقه.

(٢) عزاه ابن كثير للطبراني بسنده عن سالم عن أبيه وقال: سليمان بن الأرقم ضعيف. وقال: وقد روى أبو بكر الأنباري عن أبي امامة مثله مرفوعاً: التفسير ١٥١/١ طبع بيروت، وحديث أبي أمامة فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف. وعن عمر قال: قرأ رجلان من الأنصار سورة أقرأهما رسول الله ﷺ وكانا يقرآن بها، فقاما يقرآن ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال رسول الله ﷺ: إنها مما نسخ أو نسي فألهوا عنها فكان الزهري يقرؤها (ما ننسخ من آية أو ننسها) بضم النون خفيفة. رواه الطبراني وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك (المجمع: ٣١٥/٦). وأخرج حديث أبي امامة بن سهل الواحدي أيضاً في التفسير: ١٧٢/١، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص٣٢ وتفسير القرطبي: ٦٣/٢، الدر المنثور: ٢٥٦/١.

(٣) زيادة في ب.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٩﴾

التوبة) أي تركوه فتركهم وقيل ﴿ننسها﴾ أي: نأمر بتركها، يقال: أُنسيت الشيء إذا أُمرت بتركه، فيكون النسخ الأول من رفع الحكم واقامة غيره مقامه، والإنساء يكون ناسخاً من غير اقامة غيره مقامه.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أو ننسأها بفتح النون الأول والسين مهموزاً أي نؤخرها فلا نبدلها يقال: نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله، وفي معناه قولان: أحدهما: نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم، والقول الثاني: قال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة أو ننسأها أي نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ ولا تنزل.

﴿**نأت بخير منها**﴾ أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أنَّ آية خيرٌ من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير ﴿**أو مثلها**﴾ في المنفعة والثواب فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر ﴿**ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**﴾؟ من النسخ والتبديل، لفظه استفهام، ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

﴿**ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم**﴾ يا معشر الكفار عند نزول العذاب ﴿**من دون الله**﴾ مما سوى الله ﴿**من ولي**﴾ قريب وصديق وقيل: من وال وهو القيم بالأمور ﴿**ولا نصير**﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

قوله: ﴿**أم تريدون أن تسألوا رسولكم**﴾ نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة فقال تعالى ﴿**أم تريدون**﴾ يعني أتريدون فالميم صلة وقيل: بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمداً ﷺ ﴿**كما سئل موسى من قبل**﴾ سأله قومه: أرنا الله جهرة وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا[1]، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، ففيه منعهم عن السؤالات المقبوحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ﴿**ومن يتبدل الكفر بالإيمان**﴾ يستبدل الكفر بالإيمان ﴿**فقد ضلَّ سواء السبيل**﴾ أخطأ وسط الطريق وقيل: **قصد** السبيل.

قوله تعالى: ﴿**ود كثير من أهل الكتاب**﴾ الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان

(١) قال الله تعالى: «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً، =

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾

وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت. فقالت اليهود: أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة: أما أنا فقد رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال رسول الله ﷺ «قد أصبتما الخير وأفلحتما» فأنزل الله تعالى «ود كثير من أهل الكتاب»[1] أي تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود ﴿**لو يردونكم**﴾ يا معشر المؤمنين ﴿**من بعد إيمانكم كفاراً حسداً**﴾ نصب على المصدر، أي يحسدونكم حسداً ﴿**من عند أنفسهم**﴾ أي من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿**من بعد ما تبين لهم الحق**﴾ في التوراة أن قول محمد ﷺ صدق ودينه حق ﴿**فاعفوا**﴾ فاتركوا ﴿**واصفحوا**﴾ وتجاوزوا، فالعفو: المحو، والصفح: الاعراض، وكان هذا قبل آية القتال ﴿**حتى يأتي الله بأمره**﴾ بعذابه: القتل والسبي لبني قريظة، والجلاء والنفي لبني النضير[2]، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال قتادة[3]: هو أمره بقتالهم في قوله «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ــ إلى قوله ــ وهم صاغرون» (٢٩ ــ التوبة) وقال ابن كيسان: بعلمه وحكمه فيهم حكَمَ لبعضهم بالإسلام ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾.

﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا**﴾ (تسلفوا)[4] ﴿**لأنفسكم من خير**﴾ طاعة وعمل صالح ﴿**تجدوه عند الله**﴾ وقيل: أراد بالخير المال كقوله تعالى «إن ترك خيراً» (١٨٠ ــ البقرة) وأراد من زكاة وصدقه ﴿**تجدوه عند الله**﴾ حتى الثمرة واللقمة مِثْلَ أُحُدٍ ﴿**إن الله بما تعملون بصير**﴾.

= أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ــ أو يكون لك بيت من زخرف أو ترق في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه. قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً» سورة الاسراء، الآيات (٩٠ ــ ٩٣). وانظر لباب التفسير لمحمود بن حمزة: ٣٩٠/١ ــ ٣٩١ .

(١) قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: لم أجده مسنداً، وهو في تفسير الثعلبي كذلك بلا سند ولا راو » . انظر الكافي الشاف ص١٠ وذكره مختصراً الواحدي في التفسير عن ابن عباس: ١٧٤/١ .

(٢) انظر: البحر المحيط: ٣٤٨/١ .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/٢ ــ ٥٠٤ والدر المنثور: ٢٦٢/١، وتفسير الواحدي: ١٧٥/١ .

(٤) زيادة من ب .

وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟
بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ
ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ
كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

قوله: ﴿**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً**﴾ أي يهودياً، قال الفراء: حذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية، وقال الأخفش: الهود: جمع هائد، مثل عائد وعُود، وحائل وحُول[(١)] ﴿**أو نصارى**﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا دين اليهودية، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا دين النصرانية.

وقيل: نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود فكذب بعضهم بعضاً، قال الله تعالى ﴿**تلك أمانيهم**﴾ أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**هاتوا**﴾ أصله آتوا ﴿**برهانكم**﴾ حجتكم على ما زعمتم ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ ثم قال رداً عليهم ﴿**بلى من أسلم وجهه**﴾ أي ليس الأمر كما قالوا، بل الحكم للاسلام وانما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿**لله**﴾ أي أخلص دينه لله وقيل: أخلص عبادته لله وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الإسلام: الاستسلام والخضوع، وخص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه ﴿**وهو محسن**﴾ في عمله، وقيل: مؤمن وقيل: مخلص ﴿**فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

قوله ﴿**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء**﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران[(٢)] وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ أتاهم أحبار اليهود: فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت

---

(١) الحائل: الناقة الحائل: التي حمل عليها الفحل فلم تلقح.

(٢) أخرج الطبري عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رافع بن حُرَيْملة: ماأنتم على شيء ! وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل . فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ماأنتم على شيء! وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما: « وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » إلى قوله « فيما كانوا فيه يختلفون » . تفسير الطبري: ٢/٥١٣ — ٥١٤، وانظر: تفسير الواحدي: ١/١٧٦، أسباب النزول للواحدي ص٣٣، تفسير ابن كثير: ١/٢٧٣، وفيه: رافع بن حرملة .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

لهم اليهود، ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى ﴿**وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب**﴾ [وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، قيل: معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب](١) ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل ﴿**كذلك قال الذين لا يعلمون**﴾ يعني: آباءهم الذين مضوا ﴿**مثل قولهم**﴾ قال مجاهد: يعني: عوامّ النصارى، وقال مقاتل: يعني مشركي العرب، كذلك قالوا في نبيهم محمد ﷺ وأصحابه: إنهم ليسوا على شيء من الدين.

وقال عطاء: أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام قالوا لنبيهم: إنه ليس على شيء(٢) ﴿**فالله يحكم بينهم يوم القيامة**﴾ يقضي بين المحق والمبطل ﴿**فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ من الدين.

قوله ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر**﴾ الآية نزلت في طيطوس بن اسبيسبانوس الرومي وأصحابه، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم، وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير، فكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال قتادة والسدي: هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى، طيطوس الرومي وأصحابه من أهل الروم(٣)، قال السدي: من أجل أنهم قتلوا يحيى بن زكريا، وقال قتاده: حملهم بعض اليهود على معاونة بختنصر البابلي (المجوسي)(٤) فأنزل الله تعالى (**ومن أظلم**) أي أكفر وأعتى ﴿**ممن منع مساجد الله**﴾ يعني بيت المقدس ومحاريبه(٥). ﴿**أن يذكر فيها اسمه وسعى**﴾

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٥١٧/٢، ابن كثير: ٢٧٣/١، الواحدي: ١٧٦/١ واختار الطبري أن الآية عامة تصلح للجميع، وليس ثم دليل قاطع يعيّن واحداً من هذه الأقوال، والحمل على الجميع أولى .

(٣) انظر الدر المنثور: ٢٦٤/١ ــ ٢٦٥، وتفسير ابن كثير: ٢٧٤/١، والطبري: ٥٢٠/٢ ــ ٥٢١.

(٤) زيادة من ب.

(٥) وأخرج ابن أبي حاتم أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: «ومن أظلم...»، انظر: لباب النقول للسيوطي: ص ٤٣٨ بهامش الجلالين. =

عمل ﴿في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يدخلها يعني بيت المقدس بعد عمارتها رومي إلا خائفاً / لو عُلِمَ به لقتل. وقال قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا ١٧/ب متنكر لو قدر عليه لعوقب، قال السدي: أخيفوا بالجزية. وقيل: هذا خبر بمعنى الأمر، أي أجهضوهم بالجهاد حتى لا يدخلها أحد (منهم)[1] إلا خائفاً من القتل والسبي أي ماينبغي ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ عذاب وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي والجزية للذمي، قال مقاتل (والكلبي)[2] تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية، ورومية، وعمورية[3] ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو النار، وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد: نزلت في مشركي مكة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا مَنَعوا من أن يعمُرهُ بذكرٍ فقد سعوا في خرابه ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ يعني أهل مكة يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم، ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ منادياً ينادي: «ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك»[4] فهذا خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكَّن مشرك من دخول الحرم، ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ الذل والهوان والقتل والسبي والنفي.

= ورجحه ابن كثير، وأخرج ابن جرير عن أبي زيد قال: هؤلاء المشركون ـــ حين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة، قال: وأولى التأويلات قول من قال: عنى الله عز وجل بقوله «ومن أظلم...» النصارى، انظر: تفسير الطبري ٥٢١/٢.

(١) زيادة في ب.

(٢) والكلبي زيادة في ب.

(٣) أخرج الإمام أحمد في المسند: ١٧٦/٢ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً، يعني قسطنطينية». وصححه الحاكم في المستدرك: ٥٠٨/٤، ٥٥٥، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٩/٦: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة.

و (رومِيَة): مخففة الياء المنقوطة من تحت ـــ هي مدينة رياسة الروم وعلمهم، من عجائب الدنيا بناء وسعة وكثرة خلق، وقد حكي فيها حكايات تأباها العقول وتستبعدها، انظر: مراصد الاطلاع للبغدادي: ٦٤٢/٢.

و (عَمّورية)، بفتح أوله وتشديد ثانيه: بلد ببلاد الروم، غزاه المعتصم ففتحه، كان من أعظم فتوح الإسلام، مراصد الاطلاع: ٩٦٣/٢.

و (قُسْطَنْطِينِيَّة) ويقال: قسطنطينة باسقاط ياء النسبة؛ كان اسمها بزنطية، فنزلها قسطنطين الأكبر، وبنى عليها سوراً وصارت دار مُلْكِ الروم وعاصمتهم، مراصد الاطلاع: ١٠٩٢/٣، وكتب الله تعالى فتحها للمسلمين على يد السلطان العثماني محمد الفاتح، الذي لُقِّب بذلك لفتحه القسطنطينية، في سنة (٨٥٧) هـ (١٤٥٣) م.

(٤) أخرجه البخاري: في الصلاة ـــ باب: ما يستر من العورة: ١ /٤٧٧ وفي الحج والمغازي والجهاد والتفسير.
ومسلم: في الحج ـــ باب: لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، برقم (١٣٤٧) ٢ /٩٨٢.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٧ /١٢١.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

قوله عز وجل ﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة، فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا وأنهم مخطئون في تحريهم فلما قدموا سألوا رسول الله عن ذلك فنزلت هذه الآية(١).

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أنا أبو اسحاق ابراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته في السفر حيث ما توجهت به»(٢).

قال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة، قال أبو العالية: لما صرفت القبلة إلى الكعبة عيرت اليهود المؤمنين وقالوا: ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٣)، وقال مجاهد والحسن: لما نزلت «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» (٦٠ ــ غافر) قالوا: أين ندعوه فأنزل الله عز وجل(٤) ﴿**ولله المشرق والمغرب**﴾ مُلكاً وخلقاً ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ يعني أينما تحولوا وجوهكم فثم أي: هناك (رحمة)(٥) الله، قال الكلبي: فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه» (٨٨ ــ القصص) أي إلا هو، وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حبان: فثم قبلة الله، والوجه والوجهة والجهة القبلة، وقيل: رضا الله تعالى.

﴿**إن الله واسع**﴾ أي غني يعطي في السعة، قال الفراء: الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء،

---

(١) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بمعناه.
انظر: لباب النقول للسيوطي بهامش الجلالين ص (٤٥)، وقال ابن كثير بعد أن ساق عدداً من الروايات في التفسير: ١/٢٧٩، وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشد بعضها بعضاً، وانظر: نصب الراية للزيلعي: ١/٣٠٥.
(٢) أخرجه البخاري: في الصلاة ــ باب: التوجه نحو القبلة حيث كان: ١/٥٠٣ عن جابر.
ومسلم: في صلاة السفر ــ باب: جواز صلاة النافلة على الدابة: برقم (٧٠٠) ١/٤٨٧ عن ابن عمر.
والمصنف في شرح السنة: ٤/١٨٨ عن نافع عن ابن عمر، وانظر: تفسير الطبري: ٢/٥٣٠.
(٣) انظر تفسير الواحدي: ١ /١٧٧.
(٤) انظر تفسير الطبري: ٢ /٥٣٤.
(٥) وجه الله في ب، وهو الأصح وذلك لعدم التأويل وهذا منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.
والبغوي رحمه الله منهجه عدم التأويل ويظهر أن هذا من الناسخ حيث أثبت الوجه في نسخه (ب) والله أعلم.

قال الكلبي: واسع المغفرة ﴿عليم﴾ بنياتهم حيثما صلوا ودعوا.

قوله تعالى:﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾ قرأ ابن عامر قالوا اتخذ الله بغير واو، وقرأ الآخرون بالواو [وقالوا اتخذ الله ولداً][1] نزلت في يهود المدينة حيث قالوا: «عزير ابن الله» وفي نصارى نجران حيث قالوا: «المسيح ابن الله»، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله[2] ﴿سبحانه﴾ نزّه وعظم نفسه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن عبد الرحمن بن أبي حسن عن نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً»[3].

قوله تعالى ﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ عبيداً ومِلْكاً ﴿كل له قانتون﴾ قال مجاهد وعطاء والسُّدي: مطيعون وقال عكرمة ومقاتل: مُقِرونَ له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت»[4]، واختلفوا في حكم الآية فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع الخلق لأن «كل» تقتضي الإحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء[5]، ثم سلكوا في الكفار طريقين: فقال مجاهد: يسجد ظلالهم لله على كره منهم قال الله تعالى: «وظلالهم بالغدوّ والآصال» (١٥ ـــ الرعد) وقال السدي: هذا يوم القيامة دليله [«وعنت الوجوه للحي القيوم» (١١١ ـــ طه) وقيل (قانتون) مذللون مسخرون لما خلقوا له][6].

---

(١) ساقط من أ.

(٢) انظر: الوسيط للواحدي ١/١٧٨، ١٧٩.

(٣) أخرجه البخاري، في التفسير ـــ باب: وقالوا: اتخذ الله ولداً ـــ ٨/١٦٨ وفي بدء الخلق.
والمصنف في شرح السنة: ١/٨١ من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة، بنحوه، وانظر: ابن كثير: ١/٢٨٢.

(٤) أخرجه مسلم: في صلاة المسافرين ـــ باب: أفضل الصلاة طول القنوت: برقم (٧٥٦ ، ٧٥٧) ١/٥٢٠.

(٥) قال الإمام الطبري في التفسير: «وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وِجْهَتَه، أن قوله: «كلٌّ له قانتون»، خاصّةٌ لأهل الطاعة، وليست بعامة، وغير جائز ادعاء خصوص في آيةٍ عامٍ ظّاهرها، إلا بحجة يجب التسليم لها، لما قد بيّنا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام».
وهذا خبر من الله جلّ وعزّ عن أن المسيح ـــ الذي زعمت النصارى أنه ابن الله ـــ مكذِّبُهم هو والسموات والأرض وما فيها، إما باللسان، وإما بالدِّلالة، وذلك أن الله، جل ثناؤه، أخبر عن جميعهم، بطاعتهم إياه، وإقرارهم له بالعبودية، عقب قوله: «وقالوا اتخذ الله ولداً»، فدلَّ ذلك على صحة ما قلنا»، تفسير الطبري: ٢/٥٣٩ ـــ ٥٤٠.

(٦) زيادة من ب.

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾
إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿**بديع السموات والأرض**﴾ أي مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق ﴿**وإذا قضى أمراً**﴾ أي قدَّره، وقيل: أحكمه وقدره [وأتقنه، وأصل القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمن مات: قضي عليه لفراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره][1] لأنه فرغ منه تقديراً وتدبيراً.

﴿**فإنما يقول له كن فيكون**﴾ قرأ ابن عامر كن فيكونَ بنصب النون في جميع المواضع إلا في آل عمران «كن فيكون، الحق من ربك» وفي سورة الأنعام «كن فيكون، قوله الحق» وإنما نصبها لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوباً [وافقه الكسائي في النحل ويس][2]، وقرأ الآخرون بالرفع على معنى فهو يكون، فإن قيل كيف قال (فإنما يقول له كن فيكون) والمعدوم لا يخاطب، قال ابن الأنباري: معناه فإنما يقول له أي لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو وإن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصحَّ الخطاب.

قوله تعالى: ﴿**وقال الذين لا يعلمون**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود، وقال مجاهد: النصارى، وقال قتادة: مشركو العرب ﴿**لولا**﴾ هلَّا ﴿**يكلمنا الله**﴾ عياناً بأنك رسوله وكل ما في القرآن «لولا» فهو بمعنى هلَّا، إلا واحداً، وهو قوله «فلولا أنه كان من المسبحين» (١٤٣ ــ الصافات) معناه فلو لم يكن ﴿**أو تأتينا آية**﴾ دلالة وعلامة على صدقك في ادعائك النبوة.

قال الله تعالى: ﴿**كذلك قال الذين من قبلهم**﴾ أي كفار الأمم الخالية ﴿**مثل قولهم، تشابهت قلوبهم**﴾ أي أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة وطلب المحال ﴿**قد بينّا الآيات لقوم يوقنون، إنا أرسلناك بالحق**﴾ أي بالصدق كقوله «ويستنبئونك أحقٌّ هو؟» (٥٣ ــ يونس) أي صدق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالقرآن دليله «بل كذبوا بالحق لما جاءهم» (٥ ــ ق) وقال ابن كيسان: بالإسلام وشرائعه، دليله قوله عز وجل: «وقل جاء الحق» (٨١ ــ الإسراء) وقال مقاتل: معناه لم

---

(١) زيادة من ب.

(٢) زيادة من ب.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

نرسلك عبثاً، إنما أرسلناك بالحق كما قال: «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق» (٨٥ ــ الحجر).

قوله عز وجل ﴿**بشيراً**﴾ أي مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم ﴿**ونذيراً**﴾ أي منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم، قرأ نافع ويعقوب ﴿**ولا تسأل**﴾ على النهي قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي» فنزلت هذه الآية(١)، وقيل: هو على معنى قولهم ولا تسأل عن شرِ فلان فإنه فوق ما تحسب وليس على النهي، وقرأ الآخرون «ولا تسألُ» بالرفع على النفي بمعنى ولست بمسؤول عنهم(٢) كما قال الله تعالى: «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب» (٢٠ ــ آل عمران)، ﴿**عن أصحاب الجحيم**﴾ والجحيم معظم النار.

قوله عز وجل ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع مِلتهم، قل إن هدى الله هو الهدى**﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه في أنه إن أمهلهم اتبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية(٣)، معناه وإنك إن هادنتهم فلا يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعللاً ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي ﷺ حين كان يصلي إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا في أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ﴿**ولن ترضى عنك اليهود**﴾ إلا باليهودية ﴿**ولا النصارى**﴾ إلا بالنصرانية(٤) والملة الطريقة ﴿**ولئن اتبعت أهواءهم**﴾ قيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة كقوله «لئن أشركت

---

(١) نقله ابن كثير عن عبد الرزاق بسنده عن محمد بن كعب القرظي، وقال: رواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن موسى بن عبيدة، وقد تكلموا فيه ــ ابن كثير: ١/٢٨٥ دار الأرقم.

قال ابن حجر في التقريب موسى بن عبيده بن نشيط الرَّبَذي ضعيف.

وقال الشيخ أحمد شاكر تعقيباً على روايتي الطبري: «هما حديثان مرسلان، فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي: تابعي، والمرسل لا تقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضاً لضعف راويهما: موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي: ضعيف جداً، مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري: ٢٩١/١/٤، والصغير: ١٧٢ ــ ١٧٣، وابن أبي حاتم: ١٥١/١/٤ ــ ١٥٢ فقال البخاري: «منكر الحديث، قاله أحمد بن حنبل، وقال علي بن المديني عن القطان: كنا نتقيه تلك الأيام».... انظر تفسير الطبري: ٥٥٨/٢ ــ ٥٥٩ بتعليق الشيخ شاكر، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد أيضاً وابن المنذر، وقال: هذا مرسل ضعيف الإسناد » الدر المنثور: ٢٧١/١ .

(٢) وهذا ما رجحه الإمام الطبري، ووجهه توجيهاً دقيقاً وجاء بحجة قوية انظر: التفسير: ٥٥٩/٢ ــ ٥٦١، مع تعليق الشيخ شاكر، وقارن تفسير ابن كثير: ٢٨٥/١، طبعة دار الأرقم.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٣٦٨/١.

(٤) انظر: لباب النقول للسيوطي بهامش الجلالين ص٤٨ ــ ٤٩، وقد عزاه في الدر المنثور للثعلبي.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

ليحبطن عملك» (٦٥ ــ الزمر) ﴿**بعد الذي جاءك من العلم**﴾ البيان بأن دين الله هو الإسلام والقبلة قبلة إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة ﴿**ما لك من الله من ولي ولا نصير، الذين آتيناهم الكتاب**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا(١)، وقال الضحاك: هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وسعية بن عمرو وتمام بن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا(٢)، وقال قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: هم المؤمنون عامة(٣) ﴿**يتلونه حق تلاوته**﴾ قال الكلبي: يصفونه في كُتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس، والهاء راجعة إلى محمد ﷺ، وقال الآخرون: هي عائدة إلى الكتاب، واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنــه: يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه، وقال الحسن: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه، وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه.

قوله ﴿**أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون * يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون**﴾/. ١٨/أ

قوله تعالى: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلمات فأتمهن**﴾ قرأ ابن عامر إبراهام بالألف في أكثر المواضع وهو اسم أعجمي ولذلك لا يُجر وهو إبراهيم بن تارخ بن ناخور وكان مولده بالسوس من أرض الأهواز وقيل بابل وقيل: كوفي، وقيل: [لشكر](٤)، وقيل حران، وكان أبوه نقله إلى أرض بابل أرض نمرودَ ابن

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٦٩/١، أسباب النزول للواحدي: ص (٣٧)، الوسيط: ١٨٤/١.
(٢) البحر المحيط: ٣٦٩/١، الطبري: ٥٦٤/٢ وهو ما رجحه، رحمه الله.
(٣) البحر المحيط: ٣٦٩/١، الطبري: ٥٦٤/٢.
(٤) في ب كسكر.

كنعان، ومعنى الابتلاء الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء، لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً.

واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام، فقال عكرمة وابن عباس رضي الله عنهما: هي ثلاثون سماهن شرائع الإسلام، ولم يُبْتَلَ بها أحد فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب له البراءة، فقال تعالى: «وإبراهيم الذي وفّى» (٣٧ ـ النجم) عشر في براءة «التائبون العابدون» إلى آخرها، وعشر في الأحزاب «إنَّ المسلمين والمسلمات»، وعشر في سورة المؤمنين في قوله: «قد أفلح المؤمنون» الآيات، وقوله (إلا المصلين) في سأل سائل(١).

وقال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما: ابتلاه الله بعشرة أشياء وهي: الفطرة خمس في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وخمس في الجسد: تقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء(٢).

وفي الخبر: «أن إبراهيم عليه السلام أول من قص الشارب، وأول من اختتن، وأول من قلم الأظافر، وأول من رأى الشيب، فلما رآه قال: يارب ما هذا؟ قال [سمة](٣): الوقار، قال: يارب زدني وقاراً»(٤) قال مجاهد: هي الآيات التي بعدها في قوله عز وجل «إني جاعلك للناس إماماً» (١٢٤ ـ البقرة) إلى آخر القصة، وقال الربيع وقتادة: مناسك الحج، وقال الحسن: ابتلاه الله بسبعة أشياء: بالكواكب والقمر والشمس، فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول، وبالنار فصبر عليها، وبالهجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها، قال سعيد بن جبير: هو قول إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان البيت «ربنا تقبل منا» (١٢٧ ـ البقرة) الآية فرفعاها بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله [والله أكبر](٥)، قال يمان بن رباب: هن محاجة قومه قال الله تعالى: «وحاجه قومه» إلى قوله تعالى ـ «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم» (٨٣ ـ الأنعام) وقيل هي قوله: «الذي خلقني فهو يهدين» (٧٨ ـ الشعراء) إلى آخر الآيات.

﴿**فأتمهنّ**﴾ قال قتادة: أداهنَّ، قال الضحاك: قام بهنَّ وقال: [نعمان](٦) عمل بهن.

قال الله تعالى: ﴿**قال: إني جاعلك للناس إماماً**﴾ يقتدى بك في الخير ﴿**قال**﴾ إبراهيم ﴿**ومن**

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٧٥/١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢٨٩/١، والبحر المحيط: ٣٧٥/١.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) قال القرطبي في التفسير: ٩٨/٢ وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ابراهيم عليه السلام أول من اختتن... إلخ. وانظر: الدر المنثور: ٢٨١/١.

(٥) وفي ب يمان.

(٦) ساقطة في ب.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿ذريتي﴾ أي ومن أولادي أيضاً فاجعل منهم أئمة يقتدى بهم في الخير ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿لا ينال﴾ لا يصيب ﴿عهدي الظالمين﴾ قرأ حمزة وحفص بإسكان الياء والباقون بفتحها أي من كان منهم ظالماً لا يصيبه، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي رحمتي، وقال السدي: نبوتي، وقيل: الإمامة، قال مجاهد: ليس لظالم أن يُطاع في ظلمه. ومعنى الآية لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالماً من ولدك، وقيل: أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرك كقوله تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن» (٨٢ ـ الأنعام).

قال الله تعالى ﴿وإذ جعلنا البيت﴾ يعني الكعبة ﴿مثابة للناس﴾ مرجعاً لهم، قال مجاهد وسعيد ابن جبير: يأتون إليه من كل جانب ويحجون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معاذاً وملجأ وقال قتادة وعكرمة: مجمعاً ﴿وأمنا﴾ أي مأمناً يأمنون فيه من إيذاء المشركين، فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون: هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى: «أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم» (٦٧ ـ العنكبوت).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضد شوكه ولا يُنفر صيده، ولا يُلتقط لقطته إلا من عرَّفها، ولا يُختلى خلاه» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم: فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر»(١).

قوله تعالى ﴿واتخذوا﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر ﴿من مقام إبراهيم مصلى﴾ قال ابن يمان(٢): المسجد كله مقام إبراهيم، وقال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج، مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد.

والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يُصلي إليه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام

---

(١) أخرجه البخاري: في الجنائز ـ باب: الإذخر والحشيش: ٢١٣/٣.
ومسلم: في الحج ـ باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها برقم: (٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥) ٩٨٦/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٤٩/٧.
(٢) وفي ب (يمان).

عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت، وقيل: كان أثر أصابع رجليه بيناً فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، قال قتادة ومقاتل والسدي: أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث -قلت يارسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله تعالى ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ وقلت يا رسول الله: يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله عز وجل آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت لهن: إن انتهيتن، أو ليبدلنه الله خيراً منكن، فأنزل الله تعالى: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن»[1] الآية (٥ ــ التحريم).

ورواه محمد بن إسماعيل أيضاً عن عمرو بن عوف أنا هشيم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾[2].

وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر ووضعهما بمكه، وأتت على ذلك مدة، ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر، واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم مكة، وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت ذهب للصيد وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت ليس عندي ضيافة، وسألها عن عيشهم؟ فقالت: نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، فذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه فقال [لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال][3] فما قال لك؟ قالت: قال: أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال

---

(١) أخرجه البخاري: في التفسير ــ باب قوله: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى: ١٦٨/٨.
ومسلم: في فضائل الصحابة ــ باب: من فضائل عمر برقم: (٢٣٩٩) ١٨٦٥/٤ مختصراً.
والمصنف في شرح السنة: ١٤ /٩٣، وانظر: قطف الثمر في موافقات عمر للسيوطي في الحاوي للفتاوى ٣٧٧/١.
(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لايرى الإعادة على من سها... ٥٠٤/١.
(٣) ساقط من أ.

لامرأته: أين صاحبك؟ قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت : نعم فجاءت باللبن واللحم، وسألها عن عيشهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة، فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير وتمر لكانت أكثر أرض الله براً أو شعيراً أو تمراً، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء إسماعيل، وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، وقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال: ذاك إبراهيم النبي أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك(١).

ب/٨١ ورُوي عن سعيد بن جبير / عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً تحت دومة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأمر تُعينني عليه؟ قال: أُعينك قال: إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام إبراهيم على حجر المقام وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) وفي الخبر: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مامسته أيدي المشركين لأضاء ما بين المشرق والمغرب»(٢).

قوله عز وجل ﴿**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل**﴾ أي أمرناهما وأوحينا إليهما، قيل: سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً ويقول: إسمع ياإيل وإيل هو الله فلما رزق سماه الله به ﴿**أن طهرا بيتي**﴾ يعنى الكعبة أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً أي ابنياه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبير وعطاء: طهراه من الأوثان والريب وقول الزور، وقيل: بَخِّرَاهُ وخلِّقَاهُ، قرأ أهل المدينة وحفص (بيتي) بفتح الياء هاهنا وفي سورة الحج، وزاد حفص في سورة نوح ﴿**للطائفين**﴾ الدائرين حوله ﴿**والعاكفين**﴾ المقيمين المجاورين ﴿**والركع**﴾ جمع راكع ﴿**السجود**﴾ جمع ساجد وهم المصلون قال الكلبي ومقاتل:

---

(١) أخرجه البخاري: مطولاً في الأنبياء ـــ باب: يَزِفُّون: النَّسَلانُ في المشي: ٣٩٦/٦ وفي مواضع أخرى.

(٢) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بلفظ «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا...» ٦١٨/٣ وقال هو حديث غريب.

ورواه الحاكم في الحج عن داود الزبرقان عن أيوب السختياني عن قتادة بن دعامة عن أنس وقال: صحيح فرده الذهبي بأن فيه داود، قال أبو داود: متروك، (فيض القدير: ٥٩/٤).

ورواه أيضاً عن عبد الله بن عمرو، انظر: المستدرك: ٤٥٦/١.

وأخرجه الواحدي في الوسيط: ١٩٠/١، وانظر: تحفة الأحوذي: ٦١٨/١ ـــ ٦١٩.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة، قال عطاء ومجاهد وعكرمة: الطواف للغرباء أفضل، والصلاة لأهل مكة أفضل.

قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا**﴾ يعني مكة وقيل: الحرم ﴿**بلداً آمناً**﴾ أي ذا أمن يأمن فيه أهله ﴿**وارزق أهله من الثمرات**﴾ إنما دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع، وفي القصص أن الطائف كانت من مداين الشام بأردن فلما دعا إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قلعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه، فمنها أكثر ثمرات مكة ﴿**من آمن منهم بالله واليوم الآخر**﴾ دعاء للمؤمنين خاصة ﴿**قال**﴾ الله تعالى ﴿**ومن كفر فأمتعه قليلاً**﴾ قرأ ابن عامر فأُمتعه خفيفاً بضم الهمزة والباقون مشدداً ومعناهما واحد قليلاً أي سأرزق الكافر أيضاً قليلاً إلى منتهى أجله وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافةً مؤمنهم وكافرهم، وإنما قيده بالقلة لأن متاع الدنيا قليل ﴿**ثم أضطره**﴾ أي ألجئه في الآخرة ﴿**إلى عذاب النار، وبئس المصير**﴾ أي المرجع يصير إليه قال مجاهد: وجد عند المقام كتاب فيه: أن الله ذو بكة صنعتُها يوم خلقت الشمس والقمر، وحرمتُها يوم خلقت السموات والأرض، وحففتُها بسبعة أملاك حنفاء، يأتيها رزقها من ثلاثة سُبل، مبارك لها في اللحم والماء.

قوله عز وجل: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل**﴾ قال الرواة[1]: إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض استوحش، فشكا إلى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر، باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال: يا آدم إني أهبط لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، تصلي عنده كما يصلى عند عرشي وأنزل الحجر وكان

(١) ذكر الرواة هذه القصص والأخبار عن بناء البيت، ومعظمها من الاسرائيليات التي لا تثبت بها حجة، وحسبنا ما جاء من الروايات الثابتة، كالذي ذكره البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً».
راجع: تفسير ابن كثير: ٣٠٢/١ وما بعدها، البداية والنهاية: ١٦٣/١ ــ ١٦٦، الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة ص ٢٣٥ ــ ٢٣٧.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

أبيض فاسودَّ من لمس الحُيَّض في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً وقيض الله له ملكاً يدله على البيت فحج البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا: بُرَّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أيام الطوفان، فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق، فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه، فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه، فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت، وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحية فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطوت السكينة على موضع البيت كتطوي الحجفة هذا قول علي والحسن.

وقال ابن عباس: بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافق مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها إبراهيم أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص، وقيل: أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت كقوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾** يعني أسسه واحدتها قاعدة.

وقال الكسائي: جدر البيت، قال ابن عباس: إنما بني البيت من خمسة أجبل، طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علماً فأتاه بحجر فقال: ائتني بأحسن من هذا فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس: ياإبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها، فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه وقيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتاً وهو البيت المعمور ويسمى الضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله، وقيل: أول من بنى الكعبة آدم واندرس في زمن الطوفان ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه[1].

قوله: **﴿ربنا تقبل منا﴾** فيه إضمار أي ويقولان: ربنا تقبل منا بناءنا **﴿إنك أنت السميع﴾** لدعائنا **﴿العليم﴾** بنياتنا **﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾** موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم: أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله =

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٢٩﴾

﴿**ومن ذريتنا**﴾ أي أولادنا ﴿**أمة**﴾ جماعة والأمة أتباع الأنبياء ﴿**مسلمة لك**﴾ خاضعة لك.

﴿**وأرنا**﴾ علمنا وعرفنا، قرأ ابن كثير ساكنة الراء وأبو عمرو بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق ابن عامر وأبو بكر في الاسكان في حم السجدة، وأصله أرئنا فحذفت الهمزة طلباً للخفة ونقلت حركتها إلى الراء ومن سكنها قال: ذهبت الهمزة فذهبت حركتها، ﴿**مناسكنا**﴾ شرائع ديننا وأعلام حجنا.

وقيل: مواضع حجنا، وقال مجاهد: مذابحنا والنسك الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك العبادة، والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات.

﴿**وتب علينا**﴾ تجاوز عنا ﴿**إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم**﴾ أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل وقيل: من أهل مكة ﴿**رسولاً منهم**﴾ أي مرسلاً أراد به محمداً صلى الله عليه وسلم.

١٩/أ حدثنا السيد أبو القاسم علي بن موسى الموسوي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عباس / البلخي أنا الإمام أبو سليمان حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم الخطابي أنا محمد بن المكي أنا إسحاق بن إبراهيم انا ابن أخي ابن وهب أنا عمي أنا معاوية عن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري، أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام»[(1)].

وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعا أن يبعث في بني إسماعيل رسولاً منهم، قال ابن عباس: كل الأنبياء

= تعالى: «مكان البيت» فليس بناهض ولا ظاهر، لأن مراده: مكانه المقدَّر في علم الله تعالى، المقرر في قدرته، المعظّم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم عليه السلام»، انظر: البداية والنهاية: ١/١٦٣، ١٦٥.

(١) رواه أحمد: ٤/١٢٧ ــ ١٢٨ عن العرباض بن سارية؛ والحاكم في المستدرك: ٢/٤١٨، ٦٠٠.
وابن حبان: في موارد الظمآن: ص ٥١٢.
والبيهقي: في دلائل النبوة: ١/٣٨٩ ــ ٣٩٠.
والبزار والطبراني.
وقال الهيثمي: أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد ولم يوثقه غير ابن حبان، (مجمع الزوائد: ٣/٢٢٣).
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٣/٢٠٧ وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص(١٠).

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾

من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

﴿**يتلو**﴾ يقرأ ﴿**عليهم آياتك**﴾ كتابك يعني القرآن والآية من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه وقيل هي جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم ﴿**ويعلمهم الكتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**والحكمة**﴾ قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواعظ القرآن وما فيه من الأحكام، قال ابن قتيبة: هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيماً حتي يجمعهما، وقيل: هي السنة، وقيل: هي الأحكام والقضاء، وقيل: الحكمة الفقه.

قال أبو بكر بن دريد: كل كلمةٍ وعظتكَ أو دَعَتْك إلى مكرمةٍ أو نهتكَ عن قبيحٍ فهي حكمة .

﴿**ويزكيهم**﴾ أي يطهرهم من الشرك والذنوب، وقيل: يأخذ الزكاة من أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ من التزكية، وهي التعديل ﴿**إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ قال ابن عباس: العزيز الذي لا يوجد مثله، وقال الكلبي: المنتقم بيانه قوله تعالى «والله عزيز ذو انتقام» (٤ ــ آل عمران) وقيل: المنيع الذي لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء وقيل: القوي، والعزة القوة قال الله تعالى «فعززنا بثالث» (١٤ ــ يس) أي قوينا وقيل: الغالب قال الله تعالى إخباراً «وعزني في الخطاب» (٢٣ ــ ص) أي غلبني، ويقال في المثل: «من عزّ بزّ» أي من غلب سلب.

قوله تعالى: ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم**﴾ وذلك أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله عز وجل قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزل الله عز وجل ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم**﴾(١) أي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشيء إذا أراده، ورغب عنه إذا تركه.

وقوله ﴿**من**﴾ لفظه استفهام معناه التقريع والتوبيخ يعني: ما يرغب عن ملة إبراهيم ﴿**إلا من سفه نفسه**﴾ قال ابن عباس: من خسر نفسه، وقال الكلبي: ضلّ من قِبلِ نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه والسفاهة: الجهل وضعف الرأي: وكلُّ سفيه

---

(١) انظر: لباب النقول للسيوطي ص٥١، بهامش الجلالين.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٣٢﴾

جاهل، وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه. لأنه لم يعرف أن الله خلقها، وقد جاء: «من عرف نفسه عرف ربه»[١]، وفي الأخبار: «إن الله تعالى أوحى إلى داود اعرف نفسك واعرفني، فقال: يارب كيف أعرف نفسي؟ وكيف أعرفك؟ فأوحى الله تعالى اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء، واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء».

وقال الأخفش: معناه سفه في نفسه، ونفسه على هذا القول نصب بنزع حرف الصفة وقال الفراء: نصب على التفسير، وكان الأصل سفهت نفسه فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس المفسرة ليعلم موضع السفه، كما يقال: ضقت به ذرعاً، أي ضاق ذرعي به.

﴿**ولقد اصطفيناه في الدنيا**﴾ اخترناه في الدنيا ﴿**وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾ يعني مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين ﴿**إذ قال له ربه أسلم**﴾ أي استقم على الإسلام، واثبت عليه لأنه كان مسلماً.
قال ابن عباس: قال له حين خرج من السَّرِبِ[٢]، وقال الكلبي: أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء أسلم إلى الله عز وجل وفوض أمورك إليه.

﴿**قال أسلمت لرب العالمين**﴾ أي فوضت، قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقي في النار.

﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب**﴾ قرأ أهل المدينة والشام: «وأوصى» بالألف، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون: «ووصّى» مشدداً، وهما لغتان مثل أنزل ونزّل، معناه ووصى بها إبراهيم بنيه ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني بكلمة الإخلاص لا إله إلا الله، قال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية: أي وصى إبراهيم بنيه الثمانية إسماعيل وأمه هاجر القبطية، وإسحاق وأمه سارة، وستة أمهم قنطورة بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة ويعقوب، سمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذاً بعقبه قاله ابن عباس، وقيل: سمي يعقوب لكثرة عقبه يعني: ووصى أيضاً يعقوب بنيه الاثنى عشر ﴿**يا بني**﴾ معناه أن يا بني ﴿**إن الله اصطفى**﴾ اختار ﴿**لكم الدين**﴾ أي دين

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: حديث موضوع. انظر: الأسرار المرفوعة للقاري ص (٣٣٧) وكشف الخفاء للعجلوني: ١ /٢٦٢.
(٢) السَّرِب: بفتح الراء، حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

الإسلام ﴿**فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ مؤمنون وقيل: مخلصون وقيل: مفوضون والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: (إلا وأنتم مسلمون) أي محسنون بربكم الظن.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»(١) .

﴿**أم كنتم شهداء**﴾ يعني أكنتم شهداء، يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿**إذ حضر يعقوب الموت**﴾ أي حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود، وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل ﴿**إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي**﴾ قال عطاء إن الله تعالى لم يقبض نبياً حتى يخيّره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب قال: أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده، وقال لهم قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي ﴿**قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق**﴾ وكان إسماعيل عماً لهم والعرب تسمى العم أباً كما تسمى الخالة أماً قال النبي ﷺ: «عم الرجل صنو أبيه»(٢) وقال في
١٩/ب عمه / العباس: «ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن

---

(١) أخرجه مسلم: في الجنة ــ باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٧) ٤/٢٢٠٥.
والمصنف في شرح السنة: ٥/٣٧٢.

(٢) أخرجه مسلم: في الزكاة ــ باب: في تقديم الزكاة ومنعها برقم (٩٨٣) ٢/٦٧٦ ــ ٦٧٧.
انظر شرح السنة ٦/ ٣٣.

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

مسعود»[٢]. وذلك انهم قتلوه.

﴿إلهاً واحداً﴾ نصب على البدل في قوله إلهك وقيل نعرفه إلهاً واحداً **﴿ونحن له مسلمون تلك أمة﴾** جماعة **﴿قد خلت﴾** مضت **﴿لها ما كسبت﴾** من العمل **﴿ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾** يعني: يسأل كل عن عمله لا عن عمل غيره.

قوله تعالى: **﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾** قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى أهل نجران السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى عليه السلام والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى: نبينا أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك[٢] فقال تعالى **﴿قل﴾** يا محمد **﴿بل ملة إبراهيم﴾** بل نتبع ملة إبراهيم، وقال الكسائي: هو نصب على الإغراء، كأنه يقول: اتبعوا ملة إبراهيم، وقيل معناه بل نكون على ملة إبراهيم فحذف «على» فصار منصوباً **﴿حنيفاً﴾** نصب على الحال عند نحاة البصرة، وعند نحاة الكوفة نصب على القطع أراد بل ملة إبراهيم الحنيف فلما سقطت الألف واللام لم يتبع المعرفة النكرة فانقطع منه فنصُب.

قال مجاهد: الحنيفية اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصله من الحنف، وهو ميل وعوج يكون في القدم،

(١) قال ابن شيبة في المغازي من مصنفه: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: «لما وادع رسول الله ﷺ أهل مكة...» إلى أن قال: «فانطلق العباس فركب بغلة النبي ﷺ الشهباء وانطلق إلى قريش ليدعوهم إلى الله، فأبطأ عليه فقال رسول الله ﷺ «ردوا عليَّ أبي فإن عم الرجل صنو أبيه إني أخاف ان تفعل به...»».
انظر الكافي الشاف لابن حجر، ص١١، ١٢.

(٢) انظر: الوسيط للواحدي ص٢٠٢، وقد جاء عنده مفصلاً في أسباب النزول: ٣٨/١.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

وقال سعيد بن جبير: الحنيف هو الحاج المختتن.

وقال الضحاك: إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم، قال قتادة: الحنيفية: الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وإقامة المناسك.

﴿**وما كان من المشركين**﴾ ثم علم المؤمنين طريق الإيمان فقال جل ذكره ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**﴾ يعني القرآن ﴿**وما أنزل إلى إبراهيم**﴾ وهو عشر صحف ﴿**وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط**﴾ يعني أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سبطاً واحدهم سبط سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله ﷺ والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسماعيل والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء ولذلك قال: وما أنزل إليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء ﴿**وما أوتي موسى**﴾ يعني التوراة ﴿**وعيسى**﴾ يعني الإنجيل ﴿**وما أوتي**﴾ أعطي ﴿**النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم**﴾ أي نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى ﴿**ونحن له مسلمون**﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله الآية»(١).

قوله تعالى: ﴿**فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**﴾ أي بما آمنتم به، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، والمثل صلة كقوله تعالى: «ليس كمثله شيء» أي ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به أي أتوا بإيمان كإيمانكم وتوحيد كتوحيدكم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما أمنتم به والباء زائدة كقوله تعالى: «وهزي إليك بجذع النخلة» (٢٥ ــ مريم) وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم، ﴿**فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق**﴾ أي في خلاف ومنازعة قاله: ابن عباس

---

(١) رواه البخاري: في الاعتصام ــ باب: قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء: ١٣/٣٣٣. والمصنف في شرح السنة: ١/٢٦٩.

صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا
فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا

وعطاء ويقال: شاق مشاقة إذا خالف كأن كل واحد آخذ في شق غير شق صاحبه، قال الله تعالى: «لا يجرمنكم شقاقي» (٨٩ ــ هود) أي خلافي، وقيل: في عداوة، دليله: قوله تعالى: «ذلك بأنهم شاقوا الله» (١٣ ــ الأنفال) أي عادوا الله ﴿فسيكفيكهم الله﴾ يا محمد أي يكفيك شر اليهود والنصارى وقد كفى بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأحوالهم.

قوله تعالى: ﴿صبغة الله﴾: قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه، كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد: فطرة الله، وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، قال ابن عباس[1]: هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودي وصبغوه به ليطهروه بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء يعني الزموا دين الله، قال الأخفش هي بدل من قوله ملة إبراهيم ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ ديناً وقيل: تطهيراً ﴿ونحن له عابدون﴾ مطيعون ﴿قل﴾ يا محمد لليهود والنصارى ﴿أتحاجوننا في الله﴾ أي في دين الله والمحاجة: المجادلة في الله لإظهار الحجة، وذلك بأنهم قالوا إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، وديننا أقوم فنحن أولى بالله منكم فقال الله تعالى: قل أتحاجوننا في الله ﴿وهو ربنا وربكم﴾ أي نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم ﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أي لكل واحد جزاء عمله، فكيف تدَّعون أنكم أولى بالله ﴿ونحن له مخلصون﴾ وأنتم به مشركون.

قال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله فلا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله. قال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

قوله تعالى: ﴿أم تقولون﴾ يعني: أتقولون، صيغة استفهام ومعناه التوبيخ، وقرأ ابن عامر وحمزة

(١) انظر: الوسيط للواحدي: ٢٠٦/١.

أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

والكسائي وحفص بالتاء لقوله تعالى: (قل أتحاجوننا في الله) وقال بعده (قل ءأنتم أعلم أم الله) وقرأ الآخرون بالياء يعني يقول اليهود والنصارى.

﴿إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل﴾ يا محمد ﴿ءأنتم أعلم﴾ بدينهم ﴿ أم الله ﴾ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن / يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان ٢٠/ أ حنيفا مسلماً ﴿ومن أظلم ممن كتم﴾أخفى ﴿شهادة عنده من الله﴾ وهي علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين وأن محمداً ﷺ حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم ﴿وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ كرر[1] تأكيداً.

قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء﴾ الجهال ﴿من الناس ماولاهم﴾ صرفهم وحوّلهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ يعني بيت المقدس والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة، فقالوا لمشركي مكة: قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع إلى دينكم فقال الله تعالى: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ ملك له والخلق عبيده. ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ نزلت في رؤساء اليهود، قالوا لمعاذ ابن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً، وإن قبلتنا قبلة الأنبياء، ولقد علم محمد أنّا عدل بين الناس، فقال معاذ: إنا على حق وعدل فأنزل الله تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي وهكذا، وقيل: الكاف للتشبيه أي كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ مردودة على قوله: «ولقد اصطفيناه في الدنيا» (١٣٠ ــ البقرة) أي عدلا خياراً قال الله تعالى: «قال أوسطهم» (٢٨ ــ القلم) أي خيرهم وأعدلهم وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين.

---

(١) في ب كرره.

﴿شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد بن الحسين الوراق أنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً بعد العصر فما ترك شيئاً إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان، قال: «أما أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا، ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى»(١).

قوله تعالى: ﴿**لتكونوا شهداء على الناس**﴾ يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، قال ابن جريج: قلت لعطاء، ما معنى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس؟ قال: أمة محمد ﷺ شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين ﴿**ويكون الرسول**﴾ محمد ﷺ ﴿**عليكم شهيداً**﴾ معدلاً مزكياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: «ألم يأتكم نذير» (٨ ــ الملك) فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيسأل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة ــ وهو أعلم بهم ــ إقامةً للحجة، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت عليه كتاباً، أخبرتنا فيه تبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن منصور أخبرنا أبو أسامة قال الأعمش أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يارب، فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال: من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله ﷺ «فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله ﷺ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا

(١) رواه أحمد: ١٩/٣ وهو جزء من حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
ابن ماجه: في الزهد ــ باب: صفة أمة محمد ﷺ ١٤٣٣/٢ ولفظه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله).

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»[١] .

قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ أي تحويلها يعني بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً، على تقدير وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، وقيل معناه التي أنت عليها، وهي الكعبة كقوله تعالى: «كنتم خير أمة» أي أنتم.

﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول﴾ فإن قيل ما معنى قوله: «إلا لنعلم» وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد معناه ليعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلا لنعلم أي: لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ فيرتد وفي الحـديث إن القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجع محمد إلى دين آبائه، وقال أهل المعاني: معناه إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم، وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى «فَلِمَ تقتلون أنبياء الله» (٩١ ــ البقرة) أي فلم قتلتموهم ﴿وإن كانت﴾ أي قد كانت أي تولية الكعبة وقيل: الكناية راجعة إلى القبلة، وقيل: إلى الكعبة قال الزجاج: وإن كانت التحويلة ﴿لكبيرة﴾ ثقيلة شديدة ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ أي هداهم الله، قال سيبويه: «وإنْ» تأكيد يشبه اليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ وذلك أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، إن كانت هدى فقد تحولتم عنها وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله بها، ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة، فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة مانهى الله عنه.

قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا؟ وكان قد مات قبل أن تحول القبلة من المسلمين أسعد بن زرارة من بني النجار، والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانوا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى[٢] ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ قرأ أهل الحجاز وابن عامر وحفص لرؤوف مشبع على وزن فعول، لأن أكثر أسماء الله تعالى على فعول وفعيل، كالغفور والشكور والرحيم والكريم وغيرها، وأبو جعفر

---

(١) أخرجه البخاري: في الاعتصام ــ باب: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً: ٣١٦/١٣ وفي التفسير والأنبياء. والمصنف في شرح السنة: ١٤١/١٥.

(٢) انظر فتح الباري كتاب التفسير باب «سيقول السفهاء من الناس....» ١٧١/٨. تفسير الطبري: ١٦٧/٣ ــ ١٦٩.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

يلين الهمزة وقرأ الآخرون بالاختلاس على وزن فعل قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الواحد الرؤف الرحيم

والرأفة أشد الرحمة.

قوله تعالى: ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء**﴾ هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع مايجدون / من نعته في التوراة ٢٠/ب
فصلى بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وقال مجاهد: كان يحب ذلك لأجل اليهود لأنهم كانوا يقولون يخالفنا محمد ﷺ في ديننا ويتبع قبلتنا، فقال لجبريل عليه السلام: وددت لو حولني الله إلى الكعبة فإنها قبلة أبي إبراهيم عليه السلام، فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك، فسل أنت ربك فإنك عند الله عز وجل بمكان [فرجع][1] جبريل عليه السلام وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة[2] فأنزل الله تعالى ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة**﴾ فلنحولنك إلى قبلة ﴿**ترضاها**﴾ أي تحبها وتهواها ﴿**فولّ**﴾ أي حول ﴿**وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ أي نحوه وأراد به الكعبة والحرام المحرم ﴿**وحيثما كنتم**﴾ من بر أو بحر أو شرق أو غرب ﴿**فولوا وجوهكم شطره**﴾ عند الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى

---

(١) فعرج من ب.
(٢) قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه أبو داود في ناسخه عن أبي العالية ٣٤٣/١.

خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قُبُلِ الكعبة (وقال هذه القبلة)[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أخبرنا زهير أخبرنا أبو إسحاق عن البراء أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة فداروا كما هم قِبَل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل المقدس لأنه قبلة أهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، وقال: البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم)[2].

وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين، قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين، وقيل كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين، وأهل قباء وصل إليهم الخبر في صلاة الصبح.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي السامري أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت وقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة[3].

---

(١) أخرجه البخاري: في القبلة ــ باب: قول الله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ : ١/٥٠١.
ومسلم: في الحج ــ باب: استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره برقم (١٣٣٠) ٢/٩٦٨ عن أسامة بن زيد.
والمصنف في شرح السنة: ٢/٣٣٤.

(٢) رواه البخاري: في التفسير ــ باب: سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم: ٨/١٧١.
ومسلم: في المساجد ومواضع الصلاة ــ باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة: برقم (٥٢٥) ١/٣٧٤.
والمصنف في شرح السنة: ٢/٣٢٢ ــ ٣٢٣.

(٣) رواه البخاري: في التفسير ــ باب: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية: ٨ /١٧٤.
ومسلم: في المساجد ومواضع الصلاة ــ باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة: برقم (٥٢٦) ١ /٣٧٥.
والمصنف في شرح السنة: ٢ /٣٢٣ ــ ٣٢٤.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

فلما تحولت القبلة قالت اليهود: يا محمد ما هو إلا شيء تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبتَّ على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره؟ فأنزل الله **﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه﴾** يعني أمر الكعبة **﴿الحق من ربهم﴾** ثم هددهم فقال **﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾** قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم وقرأ الباقون بالياء يعني ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: **﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾** يعني اليهود والنصارى قالوا: ائتنا بآية على ما تقول، فقال الله تعالى: **﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾** **﴿بكل آية﴾** معجزة **﴿ما تبعوا قبلتك﴾** يعني الكعبة **﴿وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾** لأن اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى تستقبل المشرق وقبلة المسلمين الكعبة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر المخزومي عن عثمان الأخنسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «القبلة ما بين المشرق والمغرب»[(1)].

وأراد به في حق[(2)] أهل المشرق، وأراد بالمشرق: مشرق الشتاء في أقصر يوم في السنة، وبالمغرب: مغرب الصيف في أطول يوم من السنة، فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه إلى القبلة **﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾** : مرادهم الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد به

---

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة: باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة: ٣١٧/٢ ـــ ٣١٩ وقال حديث حسن صحيح.
وابن ماجه: في إقامة الصلاة باب: القبلة برقم (١٠١١) بلفظ (ما بين المشرق والمغرب قبلة).
والحاكم في المستدرك: ٢٠٥/١، ٢٠٦ عن ابن عمر.
والبيهقي: ٩/٢.
وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٧٧/١ ـــ ٢٨١.
(٢) ساقطة من أ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٤٨ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٩﴾

الأمة، **﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾** من الحق في القبلة، **﴿إنك إذاً لمن الظالمين﴾**.

قوله تعالى: **﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾** يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه **﴿يعرفونه﴾** يعني يعرفون محمداً ﷺ **﴿كما يعرفون أبناءهم﴾** من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام إن الله قد أنزل على نبيه **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾** فكيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد إنه رسول الله حق من الله تعالى وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء، فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت(١) **﴿وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق﴾** يعني صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة **﴿وهم يعلمون﴾** ثم قال **﴿الحق من ربك﴾** أي هذا الحق خبر مبتدأ مضمر وقيل رفع بإضمار فعل أي جاءك الحق من ربك **﴿فلا تكونن من الممترين﴾** الشاكين.

قوله تعالى: **﴿ولكل وجهة﴾** أي لأهل كل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه إليه **﴿هو موليها﴾** أي مستقبلها ومقبل إليها يقال: وليته ووليت إليه: إذا أقبلت إليه(٢)، ووليت عنه إذا أدبرت عنه. قال مجاهد: هو موليها وجهه، وقال الأخفش، هو كناية عن الله عز وجل يعني الله مولي الأمم إلى قبلتهم وقرأ ابن عامر: مُوَلَّاها، أي: المستقبل مصروف إليها **﴿فاستبقوا الخيرات﴾** أي إلى الخيرات، يريد: بادروا بالطاعات، والمراد المبادرة إلى القبول **﴿أينما تكونوا﴾** أنتم وأهل الكتاب **﴿يأت بكم الله جميعاً﴾** يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم **﴿إن الله على كل شيء قدير﴾**.

قوله تعالى **﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله**

(١) انظر: الوسيط للواحدي: ١/ ٢١٥، أسباب النزول له أيضاً ص٤٠.

(٢) وفي «أ» عليه.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

بغافل عما تعملون﴾ قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء/ ٢١/ أ

﴿**ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**﴾ وإنما كرر لتأكيد النسخ ﴿**لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا**﴾ اختلفوا في تأويل هذه الآية ووجه قوله ﴿**إلا**﴾ فقال بعضهم: معناه حولت القبلة إلى الكعبة ﴿**لئلا يكون للناس عليكم حجة**﴾ إذا توجهتم إلى غيرها فيقولون ليست لكم قبلة ﴿**إلا الذين ظلموا**﴾ وهم قريش واليهود فأما قريش فتقول رجع محمد إلى الكعبة، لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آبائه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه يعمل برأيه وقال قوم ﴿**لئلا يكون للناس عليكم حجة**﴾ يعني اليهود وكانت حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس أنهم كانوا يقولون ما درى محمد ﷺ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن.

وقوله ﴿**إلا الذين ظلموا**﴾ وهم مشركو مكة، وحجتهم: أنهم قالوا ــ لما صرفت قبلتهم إلى الكعبة إن محمداً قد تحير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً، وقوله ﴿**إلا الذين ظلموا**﴾ يعني لا حجة لأحد عليكم إلا لمشركي قريش فإنهم يحاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال الله تعالى «حجتهم داحضة عند ربهم» (١٦ ــ الشورى) وموضع ﴿**الذين**﴾ خفض كأنه قال سوى الذين ظلموا قاله الكسائي وقال الفراء نصب بالاستثناء.

قوله تعالى: ﴿**منهم**﴾ يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول، معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل، كما قال الله تعالى «ما لهم به من علم إلا اتباع الظن» (١٥٧ ــ النساء) يعني لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل مالك عندي حق إلا أن تظلم.

قال أبوروق ﴿**لئلا يكون للناس**﴾ يعني لليهود ﴿**عليكم حجة**﴾ وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة قبلة إبراهيم ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها فحوله الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون: إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت، فلما حول إليها ذهبت حجتهم ﴿**إلا الذين ظلموا**﴾ يعني إلا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾

وقال أبو عبيدة[1] قوله ﴿**إلا الذين ظلموا**﴾ ليس باستثناء ولكن «إلا» في موضع واو العطف يعني: والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة كما قال الشاعر:

وكُـلُّ أخٍ مُفارِقُـه أخُـوه ... لَعَمـرُ أبيْكَ إلّا الفرْقَـدانِ

معناه والفرقدان أيضاً يتفرقان، فمعنى الآية فتوجهوا إلى الكعبة ﴿**لئلا يكون للناس**﴾ يعني اليهود ﴿**عليكم حجة**﴾ فيقولوا لم تركتم الكعبة وهي قبلة إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد قبلة جده وتحول عنها إلى قبلة اليهود ﴿**فلا تخشوهم**﴾ في انصرافكم إلى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة ﴿**واخشوني ولأتم نعمتي عليكم**﴾ عطف على قوله ﴿**لئلا يكون للناس عليكم حجة**﴾ ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم فتتم لكم الملة الحنيفية، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام.

قال: سعيد بن جبير لا يتم نعمة على المسلم إلا أن يدخله الله الجنة ﴿**ولعلكم تهتدون**﴾ لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب.

قوله تعالى: ﴿**كما أرسلنا فيكم**﴾ هذه الكاف للتشبيه وتحتاج إلى شيء يرجع إليه فقال بعضهم: ترجع إلى ما قبلها معناه ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً قال محمد بن جرير: دعا إبراهيم عليه السلام بدعوتين ــ إحداهما ــ قال: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» (١٢٨ ــ البقرة) والثانية قوله: «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم» (١٢٩ ــ البقرة) فبعث الله الرسول وهو محمد ﷺ، ووعد إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة، يعني كما أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية[2] وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٤٤٢/١.

(٢) قال الطبري في التفسير: ٢٠٨/٣ ــ ٢٠٩: «يعني بقوله جل ثناؤه: «كما أرسلنا فيكم رسولاً»، ولأتمَّ نعمتي عليكم ببيان شرائع ملّتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي ابراهيم عليه السلام، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألنيها فقال: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» (سورة البقرة: ١٢٨)، كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها، ومسألته التي سألنيها فقال: «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» (سورة البقرة: ١٢٩)، فابتعثت منكم رسولي الذي سألني إبراهيمُ خليلي وابنُه إسماعيل، أن أبعثه من ذريتهما».

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢﴾

متعلقة بما بعدها وهو قوله «فاذكروني أذكركم» معناه كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم فاذكروني[1] وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب يعني كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب.

﴿رسولاً منكم﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ يعني القرآن ﴿ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواعظ القرآن ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ من الأحكام وشرائع الإسلام ﴿فاذكروني أذكركم﴾ قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي، وقال سعيد بن جبير اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشدة والبلاء، بيانه «فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون» (١٤٤ ـــ الصافات).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عمر بن حفص أخبرنا أبي أخبرنا الأعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال قال: النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[2].

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقي أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر ابن جويرية عن الحسن عن أنس قال: إني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ عدد أناملي هذه العشر، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن مشيت إليَّ هرولت إليك، وإن هرولت إليَّ سعيت إليك، وإن سألتني أعطيتك، وإن لم تسألني غضبت عليك»[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣/٢١٠.
(٢) أخرجه البخاري في التوحيد ـــ باب: قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه: ١٣ /٣٨٤.
ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة ـــ باب الحث على ذكر الله تعالى برقم (٢٦٧٥) ٤ /٢٠٦١.
والمصنف في شرح السنة: ٥ /٢٧٣.
(٣) أخرجه البخاري في التوحيد ـــ باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه: ١٣ /٣٨٤.
ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة ـــ باب: فضل الذكر والدعاء برقم (٢٦٧٥) ٤ /٢٠٦٧ من طريق أنس وجاء كذلك من طريق أبي ذر وهذه الرواية يختلف لفظها عند البخاري.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٥٣ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الأوزاعي أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله عن أبي الدرداء عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: يقول الله عز وجل: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا إسماعيل بن عياش أخبرنا عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن بُسْر قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى»[2].

قوله تعالى: **﴿واشكروا لي ولا تفكرون﴾** يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية فإن من
٢١/ب أطاع الله فقد شكره ومن عصاه / فقد كفره.

قوله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾** بالعون والنصرة **﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾** نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى: **﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾** **﴿بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾** كما قال في شهداء أحد «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» (١٦٩ ــ آل عمران) قال الحسن إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الرَّوحُ والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل إليهم الوجع.

---

(١) رواه البخاري: تعليقاً في التوحيد ــ باب: قول الله تعالى: لا تحرك به لسانك: ٤٩٩/١٣.
وابن حبان في الأذكار ص (٥٧٦) من موارد الظمآن قال ابن حجر هذا طرف من حديث: أخرجه أحمد والبخاري في خلق افعال العباد. والطبراني من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن اسماعيل بن عبد الله. بن أبي المهاجر عن كريمة بنت الحسحاس عن أبي هريرة، وأخرجه عنه أيضاً البيهقي في الدلائل وابن ماجه والحاكم وابن حبان من طرق انظر: فتح الباري ٥٠٠/١٣ والمصنف في شرح السنة: ١٣/٥ وانظر التعليق عليه للشيخ الأرناؤوط.

(٢) أخرجه الترمذي: في الدعوات ــ باب: فضل الذكر ٣١٤/٩ ــ ٣١٥ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وأحمد: ١٨٨/٤، ١٩٠ عن عبد الله بن بسر بلفظ آخر.
ابن حبان: في الأذكار ــ باب: فضل الذكر والذاكرين (موارد الظمآن) برقم (٢٣١٨) ص٥٧٦.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**ولنبلونكم**﴾ أي ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام لجواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئاً لم يكن عالماً به ﴿**بشيء من الخوف**﴾ قال ابن عباس يعني خوف العدو ﴿**والجوع**﴾ يعني القحط ﴿**ونقص من الأموال**﴾ بالخسران والهلاك ﴿**والأنفس**﴾ يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب ﴿**والثمرات**﴾ يعني الجوائح في الثمار وحكي عن الشافعي أنه قال الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرة قلبه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريَّاني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال: ألا أبشرك؟: حدثني الضحاك بن عرزب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا نعم، قال أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا نعم، قال فماذا قال عبدي؟ قالوا استرجع وحمدك قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»(١).

﴿**وبشر الصابرين**﴾ على البلايا والرزايا، ثم وصفهم فقال: ﴿**الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله**﴾ عبيداً وملكاً ﴿**وإنا إليه راجعون**﴾ في الآخرة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محاضر بن المورِّع أخبرنا سعد بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح

---

(١) أخرجه الترمذي: في الجنائز ــ باب: فضل المصيبة إذا احتسب: ١٠١/٤ وقال: هذا حديث حسن غريب.
والمصنف في شرح السنة: ٤٥٦/٥ قال المحقق: فيه أبو سنان واسمه عيسى بن سنان القسملي ليَّنه الحافظ في التقريب.
قال ابن معين: لين الحديث وقال أبو زرعة مختلط (تهذيب التهذيب) وذكره ابن حبان في الثقات.
وصححه ابن حبان في موارد الظمآن برقم (٧٢٦) ص ١٨٥، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٢ ــ ١٣: «أخرجه أحمد وغيره من حديث، وصححه ابن حبان ورواه البيهقي في الشعب مرفوعاً وموقوفاً.
وقد ذكره الألباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة برقم ١٤٠٨ وقال: الحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الأحوال.

أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها»، قالت أم سلمة لما توفي أبو سلمة عزم الله لي فقلت: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها. فأخلف الله لي رسول الله ﷺ(١).

وقال سعيد بن جبير: ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة يعني الاسترجاع ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام ألا تسمع لقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام «ياأسفى على يوسف» (٨٤ ــ يوسف) ﴿**أولئك**﴾ أهل هذه الصفة ﴿**عليهم صلوات من ربهم ورحمة**﴾ صلوات أي رحمة فإن الصلاة من الله الرحمة ورحمة ذكرها الله تأكيداً وجميع الصلوات، أي: رحمة بعد رحمة ﴿**وأولئك هم المهتدون**﴾ إلى الاسترجاع وقيل إلى الحق والصواب وقيل إلى الجنة والثواب، قال عمر رضي الله عنه: نعم العِدْلَان ونعمت العِلاوة(٢)، فالعدلان الصلاة والرحمة، والعلاوة الهداية.

وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه قال: سمعت أبا الحباب سعيد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «من يرد الله به خيراً يصب منه»(٣).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الملك بن عمرو أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حَلْحَلة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم: في الجنائز ــ باب: ما يقال عند المصيبة: برقم (٩١٨) ٢/٦٣٢ ــ ٦٣٣.
والمصنف في شرح السنة: ٥/ ٢٩٣ ــ ٢٩٤.

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط بسنده عن عمر رضي الله عنه: ١/ ٢٢٦. وقال القرطبي في التفسير: ٢/ ١٧٧:.«أراد بالعدلين: الصلاة والرحمة؛ وبالعلاوة: الاهتداء.

(٣) رواه البخاري: في المرض ــ باب: ما جاء في كفارة المرض: ١٠/١٠٣
والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٣٢.

(٤) رواه البخاري: في المرض ــ باب: ما جاء في كفارة المرض: ١٠/١٠٣
مسلم: في البر والصلة ــ باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه برقم (٢٥٧٣) ٤/١٩٩٣.
والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٣٣.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا محمد بن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: ادع الله لي أن يشفيني قال «إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك» قالت: بل أصبر ولا حساب علي(١).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن أبي نزار أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي أخبرنا أحمد بن نجدة أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد قال: سئل رسول الله ﷺ عن أشد الناس بلاءً قال: «الأنبياء والأمثل فالأمثل يبتلي الله الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً ابتلي على قدر ذلك وإن كان في دينه رقة هُوِّن عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض وماله من ذنب»(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح قال: حدثني الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء فإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»(٣).

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب ابن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»(٤).

---

(١) ابن حبان: في الجنائز ــ باب الصبر على اللمم ص١٨٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٣٦/٥. واسناده قوي: وأخرجه البزار.

(٢) أخرجه الترمذي: في الزهد ــ باب: في الصبر على البلاء: ٧٨/٧ ــ ٧٩ وقال هذا حديث حسن صحيح.
وابن ماجه: في الفتن ــ باب، الصبر على البلاء برقم (٤٠٢٣) ١٣٣٤/٢.
والدارمي: في الرقاق ــ باب: في أشد الناس بلاء: ٢ /٣٢٠.
وأحمد: ١٧٢/١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥ عن مصعب بن سعد عن أبيه.
والمصنف في شرح السنة: ٢٤٤/٥. واسناده حسن وصححه الحاكم وابن حبان.

(٣) رواه الترمذي: في الزهد ــ باب الصبر على البلاء: ٧٧/٧ ــ ٧٨ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
ابن ماجه: في الفتن ــ باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٣١) ١٣٣٨/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/٥. انظر حاشية شرح السنة.

(٤) رواه الترمذي: في الزهد ــ باب الصبر على البلاء: ٨٠/٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح. =
والحاكم: ٣٤٦/١ وصححه ووافقه الذهبي.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران أخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال
٢٢/أ الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق / كمثل شجرة الأرزة[1] لا تهتز حتى تستحصد»[2].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحق عن العيزار بن حُريث عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «عجبٌ للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر. فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى يؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته»[3].

قوله تعالى: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾ الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء، يقال: صفاة وصفا، مثل: حصاة وحصى ونواة ونوى، والمروة: الحجر الرخو، وجمعها مروات، وجمع الكثير مرو، مثل تمرة وتمرات وتمر. وإنما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، وشعائر الله أعلام دينه، أصلها من الإشعار وهو الإعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان مَعْلَماً لقربان يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله ومثلها المشاعر، والمراد بالشعائر هاهنا: المناسك التي جعلها الله أعلاماً لطاعته، فالصفا والمروة

= وأحمد: ٢/٢٨٧، ٤٥٠ عن أبي هريرة.
والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٤٦.

(١) الأرزة: بسكون الراء وفتحها شجرة الأرزة وهو خشب معروف وقيل: هو الصنوبر وقال بعضهم: هي الأرزة بوزن فاعلة وأنكرها أبو عبيدة. النهاية ١ /٣٨.

(٢) رواه البخاري: في التوحيد ــ باب: في المشيئة والارادة: ١٣/٤٤٦.
ومسلم: في المنافقين ــ باب: مثل المؤمن كالزرع برقم (٢٨٠٩) ٤/٢١٦٣ واللفظ له.
والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٤٧.

(٣) رواه مسلم: في الزهد ــ باب: المؤمن أمره كله خير عن صهيب برقم (٢٩٩٩) ٤/٢٢٩٥، بلفظ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له»
والمصنف في شرح السنة: ٥/٤٤٨.

منها حتى يطاف بهما جميعاً ﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾ فالحج في اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة ﴿فلا جناح عليه﴾ أي لا إثم عليه، وأصله من جنح أي مال عن القصد ﴿أن يطوف بهما﴾ أي يدور بهما، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء.

وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان أساف ونائلة، وكان أساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين ويتمسحون بهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله[1].

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي. وقال الثوري وأصحاب الرأي على من تركه دم[2].

واحتج من أوجبه بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن مؤمَّل العائذي عن عمرو بن عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني بنت أبي تُجراة ـــ اسمها حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار ـــ قالت: دخلت مع نسوة

---

(١) أخرج البخاري عن عروة قال: سألت عائشة رضي الله عنها، فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: «إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما» فوالله ما على أحدٍ جُناح أن لا يطوّف بالصفا والمروة ؟
قالت: بئس ما قلت يابن أختي، إن هذه لو كانت كما أوّلتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أُنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يُسلموا يُهلّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المُشَلَّل، فكان من أهلّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرَّج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: «إن الصفا والمروة من شعائر الله» الآية.
قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٨٣/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ٤٨/١، أحكام القرآن للجصاص: ١١٨/١ ـــ ١٢٢. ابن كثير: ٣٤٧/١.

من قريش دار آل أبي حسين ننظر إلى رسول الله ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وإن مئزره ليدور من شدة السعي حتى لأقول إني لأرى ركبتيه، وسمعته يقول «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»(١).

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ أرأيت قول الله تعالى ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**﴾ فما أرى على أحد شيئاً ألا يطوف بهما، قالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما» إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قُدَيْدٍ وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة. فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾ الآية.(٢)

قال عاصم: قلت لأنس بن مالك أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول «نبدأ بما بدأ الله تعالى به» فبدأ بالصفا. وقال كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثاً ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك. وقال كان إذا نزل من الصفا مشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه.(٣)

---

(١) رواه الدارقطني: عن ابن المبارك بقوله: أخبرني معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أم صفية قالت: أخبرتني نسوة من بني عبد الدار اللائي أدركن رسول الله ﷺ.... قال صاحب التنقيح: إسناده صحيح ومعروف بن مشكان صدوق لا نعلم من تكلم فيه ومنصور هذا ثقة مخرج له في الصحيحين ــ عن التعليق المغني ٢/٢٥٥.
الطبراني: في الكبير وفيه عبد الله بن المؤمل وثقة ابن حبان وقال يخطيء وضعفه غيره (المجمع: ٣/٢٤٧) أحمد: ٦/٤٢٢ عن حبيبة بنت أبي تجزئة والصحيح بنت أبي تُجراة انظر أسد الغابة ٧/٥٩.
والمصنف في شرح السنة: ٧/١٤١.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير: ٨/١٧٥، ومسلم في الحج: ٢/٩٢٨، والمصنف في شرح السنة: ٧/١٣٩.

(٣) رواه مسلم: في الحج ــ باب: حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٢/٨٨٦ مطولاً من حديث جابر المشهور.
والمصنف في شرح السنة: ٧/١٣٦.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

قال مجاهد: ــ رحمه الله ــ حج موسى عليه السلام على جمل أحمر وعليه عباءتان قَطَوَانِيَّتان(١)، فطاف البيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى السعي وهو يلبي فيقول لبيك اللهم لبيك. فقال الله تعالى لبيك عبدي وأنامعك فخر موسى عليه السلام ساجداً.

قوله تعالى: ﴿**ومن تطوع خيراً**﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء وتشديد الطاء وجزم العين وكذلك الثانية «فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا» (١٨٤ ــ البقرة) بمعنى يتطوع ووافق يعقوب في الأولى وقرأ الباقون بالتاء وفتح العين على الماضي وقال مجاهد: معناه فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة. وقال مقاتل والكلبي: فمن تطوع: أي زاد في الطواف بعد الواجب. وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد أداء الحجة الواجبة عليه وقال الحسن وغيره: أراد سائر الأعمال يعني فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات ﴿**فإن الله شاكر**﴾ مجازٍ لعبده بعمله ﴿**عليم**﴾ بنيته. والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده فوق ما يستحق. يشكر اليسير ويعطي الكثير.

قوله تعالى:﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب**﴾ نزلت في علماء اليهود كتموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت في التوراة(٢) ﴿**أولئك يلعنهم الله**﴾ وأصل اللعن الطرد والبعد ﴿**ويلعنهم اللاعنون**﴾ أي يسألون الله أن يلعنهم ويقولون: اللهم العنهم. واختلفوا في هؤلاء اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن والإنس. وقال قتادة: هم الملائكة وقال عطاء: الجن والإنس وقال الحسن: جميع عباد الله. قال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ وصفته وقال مجاهد: اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وقالت هذا من شؤم ذنوب بني آدم ثم استثنى فقال: ﴿**إلا الذين تابوا**﴾ من الكفر ﴿**وأصلحوا**﴾ أسلموا وأصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم ﴿**وبينوا**﴾ ما كتموا ﴿**فأولئك أتوب عليهم**﴾ أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم ﴿**وأنا التواب**﴾

---

(١) القَطَوانيّة: عباءة بيضاء قصيرة الخَمْل، والنون زائدة، النهاية: ٨٥/٤.

(٢) أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل أخو بني سلمة، وسعد بن معاذ أخو بني الأشهل، وخارجة بن زيد أخو الحرث بن الخزرج نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم فأنزل الله فيهم ﴿**إن الذين يكتمون**....﴾ انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣٩٠/١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

الرجاع بقلوب عبادي المنصرفة عني إليّ ﴿الرحيم﴾ بهم بعد إقبالهم عليّ.

٢٢/ب ﴿**إن الذين كفروا / وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة**﴾ أي لعنة الملائكة ﴿**والناس أجمعين**﴾ قال أبو العالية: هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس فإن قيل فقد قال ﴿**والناس أجمعين**﴾ والملعون هو من جملة الناس فكيف يلعن نفسه؟ قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله تعالى: «ويلعن بعضكم بعضاً» (٢٥ ـــ العنكبوت) وقيل إنهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه ﴿**خالدين فيها**﴾ مقيمين في اللعنة وقيل في النار ﴿**لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**﴾ لا يمهلون ولا يؤجلون وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذروا كقوله تعالى «ولا يؤذن لهم فيعتذرون» (٣٦ ـــ المرسلات).

قوله تعالى: ﴿**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**﴾ سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يامحمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص[1] والواحد الذي لا نظير له ولا شريك له.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا بكر بن إبراهيم وأبو عاصم عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم» (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) و(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)[2].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٥٤٨ـــ٥٤٩) ومراجع التحقيق فيه.

(٢) أخرجه أبو داوود في الصلاة باب الدعاء ١٤٥/٢.
والترمذي: في الدعوات ـــ باب: ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ٤٤٧/٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه: في الدعاء ـــ باب: اسم الله الأعظم (٣٨٥٥) ١٢٦٧/٢.
والدارمي: في فضائل القرآن ـــ باب: فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي: ٤٥٠/٢.
وأحمد: ٤٦١/٦ عن أسماء بنت يزيد.
والمصنف في شرح السنة ٣٩/٥ وقال حديث غريب كلهم من حديث عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب وعبيد الله بن أبي زياد ليس بالقوي قال أبو داوود أحاديثه مناكير.
ميزان الاعتدال ٨/٣ تقريب التهذيب، الضعفاء والمتروكين للنسائي ص١٥٦.
وشهر بن حوشب ليس بالقوي وكثير الأوهام والارسال، ميزان الاعتدال ٢٨٣/٢ تقريب التهذيب الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٣٤.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

قال أبو الضحى[1]: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن محمداً يقول إن إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله عز وجل ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء ليست من جنس واحد بل من جنس آخر، والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وماترى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض مدها وبسطها وسعتها وما ترى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر والنبات.

قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده نظيره قوله تعالى: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة» (٦٢ ـ الفرقان) قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان. والليل جمع ليلة، والليالي جمع الجمع. والنهار جُمْعُه نُهُر وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه قال الله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) (٣٧ ـ يس).

﴿والفلك التي تجري في البحر﴾ يعنى السفن واحده وجمعه سواء فإذا أريد به الجمع يؤنث وفي الواحد يذكر قال الله تعالى: في الواحد والتذكير «إذ أبق إلى الفلك المشحون» (١٤٠ ـ الصافات) وقال في الجمع والتأنيث «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة» (٢٢ ـ يونس).

﴿والفلك التي تجري في البحر﴾ الآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء ﴿بما ينفع الناس﴾ يعنى ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ يعني المطر قيل: أراد بالسماء السحاب، يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل وقيل أراد به السماء المعروفة يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض ﴿فأحيا به﴾ أي بالماء ﴿الأرض بعد موتها﴾ أي

(١) انظر في الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣٩٥/١ وقد عزاه لوكيع والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وأبي الشيخ في العظة والبيهقي في شعب الإيمان.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

بعد يبوستها وجدوبتها ﴿**وبث فيها**﴾ أي فرق فيها ﴿**من كل دابة وتصريف الرياح**﴾ .

قرأ حمزة والكسائي الريح بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الذاريات «الريح العقيم» (٤١ ــ الذاريات) اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الأول من سورة الروم «الرياح مبشرات» (٤٦ ــ الروم) اتفقوا على جمعها، وقرأ أبو جعفر سائرها على الجمع، والقراء مختلفون فيها، والريح يذكر ويؤنث، وتصريفها أنها تتصرف إلى الجنوب والشمال والقبول والدَّبور والنكباء[1].

وقيل: تصريفها أنها تارة تكون ليناً وتارة تكون عاصفاً وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحاً لأنها تريح النفوس قال شريح القاضي: ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح والبشارة في ثلاث من الرياح في الصَّبا والشمال والجنوب أما الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية: أربعة للرحمة وأربعة للعذاب. فأما التي للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر ﴿**والسحاب المسخر**﴾ أي الغيم المذلل سمي سحاباً لأنه ينسحب أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر ﴿**بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**﴾ فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً قال وهب بن منبه: ثلاثة لا يدرى من أين تجيء الرعد والبرق والسحاب.

قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً**﴾ أي أصناماً يعبدونها ﴿**يحبونهم كحب الله**﴾ أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجّاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة ﴿**والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ أي أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون إذا اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني قال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) (٦٥ ــ العنكبوت) والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء

---

(١) انظر: تفسيرالطبري: ٢٧٥/٣ ــ ٢٧٦، الدر المنثور: ٣٩٦/١ ــ ٣٩٧.

﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾

والضراء والشدة والرخاء(١).

قال سعيد بن جبير: إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام(٢) أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام، ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفار: «إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم» فيقتحمون فيها فينادي مناد من تحت العرش ﴿**والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ وقيل إنما قال ﴿**والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ لأن الله تعالى أحبهم أولاً ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى: «يحبهم ويحبونه» (٥٤ ـــ المائدة).

قوله تعالى: ﴿**ولو يرى الذين ظلموا**﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء وقرأ الآخرون بالياء وجواب لو هاهنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى «ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به» (الرعد ـــ ٣١) يعنى لكان هذا القرآن فمن قرأ بالتاء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم من شدة العذاب لرأيت أمراً عظيماً، قيل: معناه قل يا محمد: أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا أو أشركوا في شدة العقاب لرأيت أمراً فظيعاً، ومن قرأ بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب أو لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم.

قوله تعالى: ﴿**إذ يرون**﴾ قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها ﴿**العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب**﴾ أي بأن القوة لله جميعاً معناه لرأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعاً.

وقرأ أبو جعفر ويعقوب إن القوة وإن الله بكسر الألف على الاستئناف والكلام تام عند قوله ﴿**إذ يرون العذاب**﴾ مع إضمار الجواب ﴿**إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب**﴾ هذا في يوم
٢٣/ أ القيامة / حين يجمع الله القادة والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسرين، وقال السدي: هم الشياطين يتبرأون من الإنس ﴿**وتقطعت بهم**﴾ أي عنهم ﴿**الأسباب**﴾ أي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصداقات وصارت مُخالَّتُهم عداوة، وقال ابن جريج: الأرحام كما قال الله تعالى: «فلا أنساب بينهم يومئذ» (١٠١ ـــ المؤمنون) وقال السدي: يعنى الأعمال التي كانوا

---

(١) انظر: الوسيط للواحدي: ١/٢٣٦.

(٢) في هامش (أ): لأن من الكفار من يعبد النار إلى آخر العمر، ثم يحرق نفسه فداءً للصنم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾

يعملونها في الدنيا كما قال الله تعالى «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» (٢٣ — الفرقان).

وأصل السبب ما يوصل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنه يقال للحبل سبب وللطريق سبب ﴿**وقال الذين اتَّبعوا**﴾ يعني الأتباع ﴿**لو أن لنا كرة**﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿**فنتبرأ منهم**﴾ أي من المتبوعين ﴿**كما تبرؤا منا**﴾ اليوم ﴿**كذلك**﴾ أي كما أراهم العذاب كذلك ﴿**يريهم الله**﴾ وقيل كتبرىء بعضهم من بعض يريهم الله ﴿**أعمالهم حسرات**﴾ ندامات ﴿**عليهم**﴾ جمع حسرة قيل يريهم الله ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لِمَ عملوا، وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقال ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله الأوثانَ رجاء أن تقربهم إلى الله عز وجل، فلما عذبوا على ماكانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا. قال السدي: ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون[1] ويتحسرون ﴿**وما هم بخارجين من النار**﴾ .

قوله تعالى: ﴿**يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبا**﴾ نزلت في ثقيف وخزاعه وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فالحلال ما أحله الشرع طيباً، قيل: ما يستطاب ويستلذ، والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام، وقيل الطيب الطاهر ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب بضم الطاء والباقون بسكونها وخطوات الشيطان آثاره وزلاته، وقيل هي النذر في المعاصي. وقال أبو عبيدة: هي المحقرات من الذنوب. وقال الزجاج: طرقه ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ بيِّن العداوة وقيل مظهر العداوة، وقد أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

وأبان يكون لازماً ومتعدياً ثم ذكر عداوته فقال: ﴿**إنما يأمركم بالسوء**﴾ أي بالإثم وأصل السوء ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساء يسوء سوأ ومساءة أي أحزنه، وسوّأته فساء أي حزنته فحزن ﴿**والفحشاء**﴾ المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالسراء والضراء. روى باذان عن ابن

---

(١) انظر الطبري ٣/٢٩٦.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

عباس قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد والسوء من الذنوب ما لاحدَّ فيه. وقال السدي: هي الزنا وقيل هي البخل **﴿وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾** من تحريم الحرث والأنعام.

قوله تعالى: **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله﴾** قيل هذه قصة مستأنفة والهاء والميم في لهم كناية عن غير مذكور. روي عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أي ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً وأعلم منا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]، وقيل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم عائدة إلى قوله «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً» (١٦٥ ــ البقرة) **﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا﴾** أي ما وجدنا **﴿عليه آباءنا﴾** من عبادة الأصنام، وقيل معناه: وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموه على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة. والهاء والميم عائدة إلى الناس في قوله تعالى **﴿ياأيها الناس كلوا﴾** **﴿قالوا بل نتبع﴾** قرأ الكسائي: بل نتبع بإدغام اللام في النون. وكذلك يدغم لام هل وبل في التاء والثاء والزاي والسين والصاد والطاء والظاء ووافق حمزة في التاء والثاء والسين **﴿ما ألفينا﴾** ما وجدنا **﴿عليه آباءنا﴾** من التحريم والتحليل.

قال تعالى: **﴿أولو كان آباؤهم﴾** أي كيف يتبعون آباءهم وآباؤهم **﴿لا يعقلون شيئاً﴾** والواو في «أَوَ لَوْ» واو العطف، ويقال لها واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ والمعنى أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً لا يعقلون شيئاً، لفظه عام ومعناه الخصوص. أي لا يعقلون شيئاً من أمور الدين لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا **﴿ولا يهتدون﴾** ثم ضرب الله مثلاً فقال جل ذكره:

﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع﴾ والنعيق والنعق صوت الراعي بالغنم معناه مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم، وقيل مثل واعظ الكفار وداعيهم معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع **﴿إلا دعاء﴾** صوتاً **﴿ونداء﴾** فأضاف المثل إلى الذين كفروا لدلالة الكلام عليه كما في قوله تعالى «واسأل القرية» (٨٢ ــ يوسف) معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع

(١) انظر تفسير الطبري ٣٠٥/٣.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

بوعظك إنما يسمع صوتك. وقيل: معناه: ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت فيكون المعنى للمنعوق به والكلام خارج عن الناعق وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك ويقلبون الكلام لايضاح المعنى عندهم، يقولون فلان يخافك كخوف الأسد، أي كخوفه الأسد. وقال تعالى «ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة» (٧٦ ــ القصص) وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فلا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه في عناء من الدعاء والنداء، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء كما قال تعالى «إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم» (١٤ ــ فاطر).

وقيل معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان كمثل الذي يصيح في جوف الجبال فيسمع صوتاً يقال له: الصدى لا يفهم منه شيئاً، فمعنى الآية كمثل الذي ينفق بما لا يسمع منه الناعق إلا دعاء ونداء ﴿**صم**﴾ يقول العرب لمن يسمع ولا يعقل: كأنه أصم ﴿**بكم**﴾ عن الخير لا يقولونه ﴿**عمي**﴾ عن الهدى لا يبصرونه ﴿**فهم لا يعقلون**﴾.

قوله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات**﴾ من حلالات ﴿**مارزقناكم**﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ياأيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: «ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً» (٥١ ــ المؤمنون) وقال ﴿**ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[1].

---

(١) أخرجه مسلم: في الزكاة ــ باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب برقم (١٠١٥) ٢/٧٠٣.
والمصنف في شرح السنة: ٨/٧ ــ ٨.

﴿واشكروا لله﴾ على نعمه ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾ ثم بين المحرمات فقال :/﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ قرأ أبو جعفر الميتة في كل القرآن بالتشديد والباقون يشددون البعض. والميتة كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح ﴿والدم﴾ أراد بالدم الجاري يدل عليه قوله تعالى «أو دماً مسفوحاً» (١٤٥ ـ الأنعام) واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فأحلها. ٢٣/ب

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «أُحلَّتْ لنا ميتتان ودمان، الميتتان الحوت والجراد، والدمان، أحسبه قال: الكبد والطحال»(١) ﴿ولحم الخنزير﴾ أراد به جميع أجزائه فعبر عن ذلك باللحم لأنه معظمه ﴿وما أهل به لغير الله﴾ أي ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت. وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية مهل. وقال الربيع بن أنس وغيره ﴿وما أهل به لغير الله﴾ قال ما ذكر عليه اسم غير الله.

﴿فمن اضطر﴾ بكسر النون وأخواته قرأ عاصم وحمزة، ووافق أبو عمرو إلا في اللام والواو مثل «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن» (١١٠ ــ الإسراء) ويعقوب إلا في الواو، ووافق ابن عامر في التنوين، والباقون كلهم بالضم، فمن كسر قال: لأن الجزم يحرك إلى الكسر، ومن ضم فلضمة أول الفعل نقل حركتها إلى ما قبلها، وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر إلى أكل ميتة أي أحوج وأُلجىء إليه ﴿غير﴾ نصب على الحال، وقيل على الاستثناء وإذا رأيت (غير) يصلح في موضعها (لا) فهي حال، وإذا صلح في موضعها (إلا) فهي استثناء ﴿باغ ولا عاد﴾ أصل البغي قصد الفساد، يقال بغى الجرح يبغي بغياً إذا ترامى إلى الفساد، وأصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد يقال عدا عليه عدواً وعدواناً إذا ظلم واختلفوا في معنى قوله ﴿غير باغ ولا عاد﴾ فقال بعضهم ﴿غير باغ﴾ أي: خارج على السلطان، ولا عادٍ: متعدٍ عاصٍ بسفره، بأن خرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض. وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير. وقالوا لا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها ولا أن يترخص المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي رحمه الله: لأن إباحته له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان

(١) رواه ابن ماجه: في الأطعمة ــ باب الكبد والطحال برقم (٣٣١٤) ١١٠٢/٢ من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف (التقريب ــ ميزان الاعتدال)، والإمام أحمد في المسند ٩٧/٢ عن ابن عمر، والشافعي في المسند: ١٧٣/٢ واللفظ له.
والبيهقي: ٢٥٤/١ موقوفاً ثم قال: وهذا إسناد صحيح.
والدارقطني: ٢٧٢/٤، وعزاه الزيلعي في نصب الراية: ٢٠٢/٤ للشافعي وعبد بن حميد وابن حبان في الضعفاء وابن عدي، وقال: له طريق آخر.
والحديث أخرجه البغوي أيضاً في شرح السنة: ٢٤٤/١١.
والحديث والله أعلم موقوف على ابن عمر، وهو في حكم المرفوع انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (١١١٨).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾

إلى الأكل واختلفوا في تفصيله. فقال الحسن وقتادة ﴿**غير باغ**﴾ لا تأكله من غير اضطرار ﴿**ولا عاد**﴾ أي لا يعدو لشبعه. وقيل ﴿**غير باغ**﴾ أي غير طالبها وهو يجد غيرها ﴿**ولا عاد**﴾ أي غير متعد ما حد له فما يأكل حتى يشبع ولكن يأكل منها قوتاً مقدار ما يمسك رمقه. وقال مقاتل بن حيان ﴿**غير باغ**﴾ أي مستحل لها ﴿**ولا عاد**﴾ أي متزود منها. وقيل ﴿**غير باغ**﴾ أي غير مجاوز للقدر الذي أحل له ﴿**ولا عاد**﴾ أي لا يقصر فيما أبيح له فيدعه قال مسروق: من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار.

واختلف العلماء في مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميته، فقال بعضهم مقدار مايسد رمقه. وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه[١]. والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله تعالى. وقال سهل بن عبد الله ﴿**غير باغ**﴾ مفارق للجماعة ﴿**ولا عاد**﴾ مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة ﴿**فلا إثم عليه**﴾ أي فلا حرج عليه في أكلها ﴿**إن الله غفور**﴾ لمن أكل في حال الاضطرار ﴿**رحيم**﴾ حيث رخص للعباد في ذلك.

قوله تعالى: ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب**﴾ «نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فغيروها ثم أخرجوها إليهم، فلما نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلم يتبعوه» فأنزل الله تعالى ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب**﴾[٢] يعني صفة محمد ﷺ ونبوته ﴿**ويشترون به**﴾ أي بالمكتوم ﴿**ثمناً قليلاً**﴾ أي عوضاً يسيراً يعني المآكل التي يصيبونها من سفلتهم ﴿**أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار**﴾ يعني إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار وقيل معناه أنه يصير ناراً في بطونهم ﴿**ولا يكلمهم الله يوم القيامة**﴾ أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم إنما يكلمهم بالتوبيخ. وقيل: أراد به أنه يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ١/١٥٦ ــ ١٦١، أحكام القرآن لابن العربي: ١/٥٥ ــ ٥٧.
(٢) أخرجه الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١ /٤٠٩.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ
عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ
لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ ۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي
ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ
ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان ﴿**ولا يزكيهم**﴾ أي لا يطهرهم من دنس الذنوب ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار**﴾ قال عطاء والسدي: هو ما: استفهام معناه ما الذي صبرهم على النار وأي شيء يصبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وقال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار قال الكسائي: فما أصبرهم على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه ﴿**ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق**﴾ يعني ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك في محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله أي لأن الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه وقيل معناه ذلك أي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف والاجتراء على الله من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق وهو قوله تعالى «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم» (٧ ــ البقرة) ﴿**وإن الذين اختلفوا في الكتاب**﴾ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿**لفي شقاق بعيد**﴾ أي في خلاف وضلال بعيد.

قوله تعالى: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**﴾ قرأ حمزة وحفص: ليس البرَّ بنصب الراء، والباقون برفعها، فمن رفعها جعل ﴿**البرَّ**﴾ اسم ليس، وخبره قوله: أن تولوا، تقديره: ليس البر توليتكم وجوهكم. ومن نصب جعل ﴿**أن تولوا**﴾ في موضع الرفع على اسم ليس تقديره: ليس توليتكم وجوهكم البر كله، كقوله تعالى «ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا» (٢٥ ــ الجاثية).

والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها اليهود والنصارى، وذلك أن اليهود كانت تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق، وزعم كل

فريق منهم: أن البر في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البر غير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه في هذه الآية وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان. وقال الآخرون: المراد بها المؤمنون وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك
وجبت له/ الجنة. ٢٤ / أ

ولما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض وحددت الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال: ﴿**ليس البر**﴾[1] أي كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك ﴿**ولكن البر**﴾ ما ذكر في هذه الآية وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك. ﴿**ولكن البر**﴾ قرأ نافع وابن عامر ولكن خفيفة النون البر رفع وقرأ الباقون بتشديد النون ونصب البر.

قوله تعالى: ﴿**من آمن بالله**﴾ جعل من وهي اسم خبر للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد واختلفوا في وجهه قيل لما وقع من في موضع المصدر جعله خبراً للبر كأنه قال ولكن البر الإيمان بالله والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل وأنشد الفراء:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي

فجعل نبات اللحى خبراً للفتى وقيل فيه إضمار معناه ولكن البر بر من آمن بالله فاستغنى بذكر الأول عن الثاني كقولهم الجود حاتم أي الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى:«هم درجات عند الله» (١٦٣ ــ آل عمران) أي ذو درجات وقيل معناه ولكن البار من آمن بالله كقوله تعالى «والعاقبة للتقوى» (١٣٢ ــ طه) أي للمتقي والمراد من البر هاهنا الإيمان والتقوى.

﴿**واليوم الآخر والملائكة**﴾ كلهم ﴿**والكتاب**﴾ يعني الكتب المنزلة ﴿**والنبيين**﴾ أجمع ﴿**وآتى المال**﴾ أعطى المال ﴿**على حبه**﴾ اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير: إنها راجعة إلى المال أي أعطى المال في حال صحته ومحبته المال قال ابن مسعود: أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا موسى بن اسماعيل أخبرنا عبد الواحد ثنا عمارة بن القعقاع أنا أبو زرعة أخبرنا أبو هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان

(١) انظر: الطبري: ٣/٣٣٧ ــ ٣٣٨، الواحدي: ١/٢٥٠.

كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»[1].

وقيل هي عائدة على الله عز وجل أي على حب الله تعالى.

﴿ذوي القربى﴾ أهل القرابة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن حفصة بنت سيرين عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر يبلغ به النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة»[2].

قوله تعالى: ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ قال مجاهد: يعني المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ينزل بالرجل قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[3] ﴿والسائلين﴾ يعني الطالبين.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبي بجيد الأنصاري وهو عبد الرحمن بن بجيد عن جدته وهي أم بجيد أن رسول الله ﷺ قال: «رُدُّوا السائل ولو بِظِلف مُحْرَقٍ» وفي رواية قالها رسول الله ﷺ: «إن لم تجدي شيئاً إلا ظلفاً محرقاً فادفعيه إليه»[4] قوله تعالى ﴿وفي الرقاب﴾ يعني المكاتبين قاله أكثر المفسرين،

---

(١) رواه البخاري: في الزكاة ــ باب: فضل صدقة الصحيح الشحيح: ٢٨٤/٣ ــ ٥٨٥ وفي الوصايا.
ومسلم: في الزكاة ــ باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح برقم (١٠٣٢) ٧١٦/٢.
والمصنف في شرح السنة: ١٧٢/٦ ــ ١٧٣.

(٢) رواه الترمذي: في الزكاة: باب ما جاء في الصدقة على القرابة: ٣٢٤/٣ وقال: حديث حسن.
والنسائي: في الزكاة: باب: الصدقة على الأقارب: ٩٢/٥.
وابن ماجه: في الزكاة: باب: فضل الصدقة: (١٨٤٤) ٥٩١/١.
والدارمي: في الزكاة باب: الصدقة على القرابة: ٣٩٧/١.
وأحمد: ٤ /١٨،٢١٤ عن سلمان بن عامر.
وابن حبان: في موارد الظمآن ص١١٢
والحاكم: ٤٠٧/١ وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي (انظر مجمع الزوائد: ١١٧/٣).
والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/٦.
(ورجاله ثقات إلا الرباب أم الرائح قال الحافظ في التقريب مقبولة وفي الميزان (الرباب بنت صليع عن عمها سلمان بن عامر لا تعرف إلا برواية حفصة بنت سيرين عنها).

(٣) رواه البخاري: في الرقاق ــ باب: حفظ اللسان: ٣٠٨/١١ وفي النكاح والأدب.
مسلم: في الإيمان: باب الحث على إكرام الجار برقم (٤٧) ٦٨/١.
والمصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٤.

(٤) رواه أبو داود: في الزكاة ــ باب: حق السائل: ٢٥١/٢.
والترمذي: في الزكاة ــ باب: ما جاء في حق السائل: ٣٣٢/٣ وقال حسن صحيح. =

وقيل: عتق النسمة وفك الرقبة وقيل: فداء الأسارى ﴿**وأقام الصلاة وآتى الزكاة**﴾ وأعطى الزكاة ﴿**والموفون بعهدهم**﴾ فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس ﴿**إذا عاهدوا**﴾ يعني إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، وإذا عاهدوا أوفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدوا، واختلفوا في رفع قوله والموفون قيل هو عطف على خبر معناه ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بعهدهم وقيل تقديره: وهم الموفون كأنه عد أصنافاً ثم قال: هم والموفون كذا، وقيل رفع على الابتداء والخبر يعني وهم الموفون ثم قال ﴿**والصابرين**﴾ وفي نصبها أربعة أوجه:

قال أبو عبيدة: نصبها على تطاول الكلام ومن شأن العرب أن تغير الإعراب إذا طال الكلام والنسق ومثله في سورة النساء «والمقيمين الصلاة» (سورة المائدة ــ ١٦٢) (والصابئون والنصارى)، وقيل معناه أعني الصابرين، وقيل نصبه نسقاً على قوله ذوي القربى أي وآتي الصابرين.

وقال الخليل: نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح والذم [كأنهم يريدون إفراد الممدوح والمذموم فلا يتبعونه أول الكلام وينصبونه فالمدح كقوله تعالى «والمقيمين الصلاة»](١) (١٦٢ ــ النساء).

والذم كقوله تعالى «ملعونين أينما ثقفوا» (٦١ ــ الاحزاب).

قوله تعالى ﴿**في البأساء**﴾ أي الشدة والفقر ﴿**والضراء**﴾ المرض والزمانة ﴿**وحين البأس**﴾ أي القتال والحرب.

أخبرنا المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا زهير عن أبي إسحاق عن حارثة بن مُضَرِّب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا إذا احمرَّ البأس ولقي

= والنسائي في الزكاة باب تفسير المسكين ٥/٨٦.
وصححه الحاكم ١/٤١٧ ووافقه الذهبي.
وابن حبان ٦/٣٨٣ بلفظ ردوا السائل ولو بظلف.
وأحمد: ٦/٣٨٢ بسند قوي.
والمصنف في شرح السنة ٦/١٧٥.
(١) ساقط من «أ».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾

القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه(١). يعني إذا اشتد الحرب ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وأولئك هم المتقون﴾.

قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ قال الشعبي والكلبي وقتادة: نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل وكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام، قال مقاتل بن حيان: كانت بين بني قريظة والنضير، وقال سعيد بن جبير: كانت بين الأوس والخزرج، وقالوا جميعاً كان لأحد الحيين على الآخر طول في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فأقسموا: لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم، وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وأسلموا(٢).

قوله ﴿كتب عليكم القصاص﴾ أي فرض عليكم القصاص ﴿في القتلى﴾ والقصاص المساواة والمماثلة في الجراحات والديات، وأصله من قص الأثر إذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله.

ثم بين المماثلة فقال: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان في الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكر إذا قتل بالذكر وبالأنثى، وتقتل الأنثى إذا قتلت بالأنثى وبالذكر، ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد، ولا والد بولد، ولا مسلم بذمي، ويقتل الذمي بالمسلم، والعبد بالحر، والولد بالوالد. هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة قال: «سألت علياً رضي الله عنه هل عندك عن النبي ﷺ شيء سوى القرآن؟ / فقال لا: ٢٤/ب

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير باب: في غزوة حنين عن البراء ١٧٧٦/٣.
والحاكم في المستدرك: ٢ /١٤٣ بلفظ: كنا إذا حمي.
(٢) انظر: الطبري: ٣٥٩/٣، الوسيط للواحدي: ٢٥٤/١.

والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مؤمن بكافر»[١].

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقام الحدود في المساجد، ولا يقاد بالولد الوالد»[٢]. وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل بالذمي، وإلى أن الحر يقتل بالعبد، والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم بقتل الذمي، وتقتل الجماعة بالواحد. «روي عن سعيد بن المسيَّب أن عمر بن الخطاب قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة، وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً»[٣] ويجري القصاص في الأطراف كما يجري في النفوس إلا في شيء واحد وهو أن الصحيح السوي يقتل بالمريض الزَّمِن، وفي الأطراف لو قطع يداً شلاء أو ناقصة بأصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة، وذهب أصحاب الرأي إلى أن القصاص في الأطراف لا يجري إلا بين حرين أو حرتين ولا يجري بين الذكر والأنثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد، وعند الآخرين الطرف في القصاص مقيس على النفس[٤].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن منير أنه سمع عبد الله بن بكر السهمي أخبرنا حميد عن أنس ابن النضر أن الرُّبيِّع عمته كسرت ثَنِيَّةَ جارية، فطلبوا إليها العفو، فأبوا فعرضوا الأرش[٥] فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ فأبوا إلا القصاص، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص» فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[٦].

---

(١) البخاري: في الديات ــ باب: لا يقتل مسلم بالكافر: ٢٦٠/١٢.
والمصنف في شرح السنة: ١٧١/١٠.

(٢) أخرجه أبو داود: في الحدود ــ باب: في إقامة الحد في المسجد: ٢٩٢/٦ عن حكيم بن حزام بلفظ: (نهى رسول الله ﷺ أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار وأن تقام فيه الحدود) قال المنذري: في إسناده محمد بن عبد الله بن المهاجر الشعيثي النصري الدمشقي: وثقه غير واحد وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به.
الترمذي: في الديات ــ باب: ما جاء في الرجل يقتل ابنه يقاد منه أم لا ٦٥٦/٤ وقال: هذا حديث لا نعرفه بهذا الاسناد مرفوعاً إلا من حديث اسماعيل بن مسلم المكي واسماعيل تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.
وابن ماجه في الديات: ٨٨٨/٢، والدارمي في الديات: ١٩٠/٢، وصححه الحاكم: ٣٦٩/٤، والبيهقي في السنن: ٣٩/٨.

(٣) رواه البخاري: في الديات ــ باب: إذا أصاب قوم من رجل ٢٢٦/١٢ ــ ٢٢٧.
والمصنف في شرح السنة: ١٨٢/١٠ ــ ١٨٣.

(٤) انظر: احكام القرآن للجصاص ١٧١/١ وما بعدها.

(٥) الأرش: دية الجراحة.

(٦) رواه البخاري في الصلح ــ باب الصلح في الدية ٣٠٦/٥.
والمصنف في شرح السنة ١٦٦/١٠.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله تعالى **﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾** أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن تقبل الدية في قتل العمد وقوله (من أخيه) أي من دم أخيه وأراد بالأخ المقتول والكنايتان في قوله **﴿له﴾** و **﴿من أخيه﴾** ترجعان إلى من وهو القاتل، وقوله شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القود لأن شيئاً من الدم قد بطل.

قوله تعالى: **﴿فاتباع بالمعروف﴾** أي على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه.

﴿وأداء إليه بإحسان﴾ أي على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مماطلة، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين أن ولي الدم إذا عفا عن القصاص على الدية فله أخذ الدية وإن لم يرض به القاتل، وقال قوم: لا دية له إلا برضاء القاتل، وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي، وحجة المذهب الأول ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا محمد ابن إسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل وأنا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلاً فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل»(١).

قوله تعالى: **﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾** أي ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتماً في التوراة على اليهود ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص، فخير الله تعالى هذه الأمة بين القصاص وبين العفو على الدية تخفيفاً منه ورحمة.

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية **﴿فله عذاب أليم﴾** وهو أن يقتل قصاصاً، قال ابن جريج: يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو، وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال: **﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾** وقال في آخر الآية **﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾** وأراد به أخوة الإيمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل.

قوله تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾** أي بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل

---

(١) رواه البخاري: مطولاً عن أبي هريرة في الديات ـ باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ٢٠٥/١٢، والشافعي في المسند: ٩٩/٢.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾

يقتل يمتنع عن القتل، فيكون فيه بقاؤه وبقاء من همَّ بقتله، وقيل في المثل: «القتل قلَّل القتل» وقيل في المثل: «القتل أنفى للقتل»، وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقتص منه حيي في الآخرة وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة ﴿**يا أولي الألباب لعلكم تتقون**﴾ أي تنتهون عن القتل مخافة القود.

قوله تعالى: ﴿**كتب عليكم**﴾ أي فرض عليكم ﴿**إذا حضر أحدكم الموت**﴾ أي جاءه أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض ﴿**إن ترك خيراً**﴾ أي مالاً نظيره قوله تعالى «وما تنفقوا من خير» (٢٧٢ ــ البقرة) ﴿**الوصية للوالدين والأقربين**﴾ كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال ثم نسخت بآية الميراث[١].

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أخبرنا محمد بن أحمد بن الوليد أخبرنا الهيثم بن جميل أخبرنا حماد بن سلمة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة قال: كنت آخذاً بزمام ناقة النبي ﷺ فقال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث»[٢] فذهب جماعة إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق الأقارب الذين يرثون وبقي وجوبها في حق الذين لا يرثون من الوالدين والأقارب، وهو قول ابن عباس وطاووس وقتادة والحسن قال طاووس: من أوصى لقوم سماهم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت إلى ذوي قرابته، وذهب الأكثرون إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حق الكافة وهي حتمية في حق الذين لا يرثون.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن سلامة ص (١٦)، أحكام القرآن للجصاص: ١ /٢٠٣ ــ ٢٠٧.

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود: في الوصايا: باب ــ في الوصية للوارث: ١٥٠/٤.
والترمذي: في الوصايا ــ باب: ما جاء لا وصية لوارث: ٣٠٩/٦. وقال حديث حسن صحيح.
والنسائي: في الوصايا: ٢٤٧/٦.
وابن ماجه: في الوصايا: ٢٧١٢ و ٢٧١٤ ــ ٩٠٥/٢ ــ ٩٠٦.
وأحمد: ١٨٦/٤ ــ ٢٦٧/٥ عن عمرو بن خارجة وجزء من حديث عن أبي أمامة الباهلي.
والمصنف في شرح السنة: ٢٨٨/٥ ــ ٢٨٩.
وفي الباب عن ابن عباس، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن جابر، وعن زيد بن أرقم وعن علي، وعن خارجة بن عمرو الجمحي وعن البراء.
انظر نصب الراية ٤ /٤٠٣، ٤٠٥.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا طاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه»(١).

قوله تعالى: ﴿بالمعروف﴾ يريد يوصي بالمعروف ولا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير، قال ابن مسعود: الوصية للأخلّ فالأخلّ أي الأحوج فالأحوج.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد ابن علي بن رحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزه(٢) أخبرنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان الثوري عن سعيد بن إبراهيم عن عامر بن سعيد عن سعد بن مالك قال جاءني النبي ﷺ يعودُني فقلت يا رسول الله ﷺ أوصي بمالي كله ؟ قال لا قلت: فالشطر ؟ قال لا، قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم»(٣)/ ٢٥/ أ

وعن ابن أبي مليكة أن رجلاً قال لعائشة رضي الله عنها: إني أريد أن أوصي، قالت كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت : إنما قال الله ﴿إن ترك خيراً﴾ وإن هذا شيء يسير فاترك لعيالك(٤).

وقال علي رضي الله عنه: لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك. وقال الحسن البصري رضي الله عنه يوصي بالسدس أو الخمس أو الربع، وقال الشعبي إنما كانوا يوصون بالخمس أو الربع.

قوله تعالى: ﴿حقاً﴾ نصب على المصدر وقيل على المفعول أي جعل الوصية حقاً ﴿على المتقين﴾

---

(١) رواه البخاري: في الوصايا ــ باب: الوصايا وقول النبي ﷺ وصية الرجل مكتوبة عنده ٣٥٥/٥.
ومسلم: في الوصية: برقم (١٦٢٧) ١٢٤٩/٣.
والمصنف في شرح السنة: ٢٧٧/٥.

(٢) في أ: ابن أبي عوزة والتصحيح من شرح السنة.

(٣) رواه البخاري: في الوصايا ــ باب أن يترك ورثته أغنياء خير... ٣٦٣/٥.
ومسلم: في الوصية ــ باب الوصية بالثلث برقم (١٦٢٨) ١٢٥٠/٣.
والمصنف في شرح السنة: ٢٨٢/٥ ــ ٢٨٣.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي (الدر المنثور للسيوطي ٤٢٣/١).

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ١٨٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾

المؤمنين قوله تعالى: ﴿**فمن بدَّله**﴾ أي غيرَّ الوصية في الأوصياء أو الأولياء أو الشهود ﴿**بعد ما سمعه**﴾ أي بعد ما سمع قول الموصي، ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنثة، وقيل الكناية راجعة إلى الإيصاء كقوله تعالى: «فمن جاءه موعظة من ربه» (٢٧٥ ــ البقرة) رد الكناية إلى الوعظ ﴿**فإنما إثمه على الذين يبدلونه**﴾ والميت بريء منه ﴿**إن الله سميع**﴾ لما أوصى به الموصي ﴿**عليم**﴾ بتبديل المبدل، أو سميع لوصيته عليم بنيته.

قوله تعالى ﴿**فمن خاف**﴾ أي علم، كقوله تعالى: «فإن خفتم ألا يقيما حدود الله» (٢٢٩ ــ البقرة) أي علمتم ﴿**من موصٍ**﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد، كقوله تعالى: «ما وصى به نوحاً» (١٣ ــ الشورى) «ووصينا الإنسان» (٨ ــ العنكبوت) وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد، كقوله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم» (١١ ــ النساء) «من بعد وصية يوصي بها أو دين» (١٢ ــ النساء) ﴿**جنفاً**﴾ أي جوراً وعدولاً عن الحق، والجنف: الميل ﴿**أو إثماً**﴾ أي ظلماً، قال السدي وعكرمة والربيع: الجنف الخطأ والإثم العمد ﴿**فأصلح بينهم فلا إثم عليه**﴾ واختلفوا في معنى الآية، قال مجاهد: معناها أن الرجل إذا حضر مريضاً وهو يوصي فرآه يميل إما بتقصير أو إسراف، أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج على من حضره أن يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصى وللورثة، وقال آخرون: إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو جار متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمور المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم، ويرد الوصية إلى العدل والحق، فلا إثم عليه أي: فلا حرج عليه ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ وقال طاووس: جنفة توليجة، وهو أن يوصي لبني بنيه يريد ابنه ولولد ابنته ولزوج ابنته يريد بذلك ابنته.

قال الكلبي: كان الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى: «فمن بدله بعد ما سمعه» الآية وإن استغرق المال كله ولم يبق للورثة شيء، ثم نسخها قوله تعالى: «فمن خاف من موص جنفاً» الآية، قال ابن زيد: فعجز الموصي أن يوصي للوالدين والاقربين كما أمر الله تعالى، وعجز الموصي أن يصلح فانتزع الله تعالى ذلك منهم ففرض الفرائض.

روي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة: (من بعد وصية يوصي بها أو دين) إلى قوله (غير مضار)[(١)].

قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**﴾ أي فرض وأوجب، والصوم والصيام في اللغة الإمساك يقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سُويعة ومنه قوله تعالى: «فقولي إني نذرت للرحمن صوماً» (٢٦ ــ مريم) أي صمتاً لأنه إمساك عن الكلام، وفي الشريعة الصوم هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص ﴿**كما كتب على الذين من قبلكم**﴾ من الأنبياء والأمم، واختلفوا في هذا التشبيه[(٢)] فقال سعيد ابن جبير: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الإسلام.

وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجباً على النصارى كما فرض علينا، فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد، وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معايشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين، ثم إن ملكهم اشتكى فمه فجعل لله عليه إن هو برىء من وجعه أن يزيد في صومهم. أسبوعاً فبرىء فزاد فيه أسبوعاً ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال: أتموه خمسين يوماً، وقال مجاهد: أصابهم موتان، فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشراً قبل وعشراً بعد، قال الشعبي: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه، فيقال من شعبان ويقال من رمضان، وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً، ثم لم يزل القرن الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً، فذلك قوله تعالى:

(١) أخرجه أبو داود في الوصايا، باب: الحيف في الوصية: ٩٠٢/٢.
والترمذي: في الوصايا ــ باب ما جاء في الوصية بالثلث: ٣٠٤/٦ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه قال المنذري بعد نقل تحسين الترمذي: وشهر بن حوشب قد تكلم فيه غير واحد من الأئمة ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.
والمصنف في شرح السنة: ٢٨٦/٥.
وأخرجه ابن ماجه في الوصايا، باب: الحيف في الوصية: ٩٠٢/٢.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٣/١٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح، ورواية ابن ماجه كرواية المسند.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٠/٣ وما بعدها.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿**كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ يعني بالصوم لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: لعلكم تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع ﴿**أياماً معدودات**﴾ قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً، وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهراً، ثم نسخ بصوم رمضان قال ابن عباس: أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم، ويقال: نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام، قال محمد ابن إسحاق كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة.

حدثنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه»(١).

وقيل المراد من قوله ﴿**أياماً معدودات**﴾ شهر رمضان وهي غير منسوخة ونصب أياماً على الظرف، أي في أيام معدودات، وقيل: على التفسير، وقيل: على هو خبر ما لم يسم فاعله ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة**﴾ أي فأفطر فعدة ﴿**من أيام أخر**﴾ أي فعليه عدة، والعدد والعدة واحد ﴿**من أيام أخر**﴾ أي غير أيام مرضه وسفره، وأخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فلذلك نصبت.

قوله تعالى: ﴿**وعلى الذين يطيقونه**﴾ اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام

(١) أخرجه البخاري في الصيام ــ باب: صوم يوم عاشوراء ٤ /١٠٢. وفي الحج. وفي فضائل الصحابة، وفي التفسير. ومسلم: في الصيام ــ باب صوم يوم عاشوراء برقم (١١٢٥) ٢ /٧٩٢. والمصنف في شرح السنة: ٦ /٢١٢.

مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا، خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ وقال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ / الكبير الذي يطيق الصوم ، ولكن يشق عليه رخص له في أن يفطر ٢٥/ب
ويفدي ثم نُسخ. وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين أن يصوم وبين أن يفطر ويفدي، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

وثبتت الرخصة للذين لا يطيقون، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس: ﴿وعلى الذين يُطَوَّقُونَهُ﴾ بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها، أي يكلفون الصوم وتأويله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه، فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم مسكيناً وهو قول سعيد بن جبير، وجعل الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿فدية طعام مسكين﴾ قرأ أهل المدينة والشام مضافاً، وكذلك في المائدة: «كفارة طعامٍ» أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى «وحب الحصيد» (٩ ــ ق) وقولهم مسجد الجامع وربيع الأول، وقرأ الآخرون: فديةٌ وكفارة منونة، طعامُ رفع وقرأ مساكين بالجمع هنا أهل المدينة والشام، والآخرون على التوحيد، فمن جمع نصب النون ومن وحَّد خفض النون ونونها، والفدية: الجزاء، ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مُدّاً من الطعام بمدّ النبي ﷺ، وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من القمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره، وقال ابن عباس: يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره.

﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾ أي زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاووس، وقيل: من زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعاً وعليه مدّ فهو خير له.

﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ فمن ذهب إلى النسخ قال معناه الصوم خير له من الفدية، وقيل: هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وإن شق عليه خير له من أن يفطر ويفدي ﴿إن كنتم تعلمون﴾ واعلم أنه لا رخصة لمؤمن مكلف في إفطار رمضان إلا لثلاثة: أحدهم يجب عليه القضاء والكفارة، والثاني عليه القضاء دون الكفارة، والثالث عليه الكفارة دون القضاء[1] أما الذي عليه القضاء والكفارة فالحامل

(١) استعمل الكفارة هنا بمعنى الفدية كما جاء في السياق، وإلا فإن الكفارة تجب على من أفسد صومه في رمضان بجماع أثم به بسبب الصوم.

والمرضع إذا خافتا على ولديهما فإنهما تفطران وتقضيان وعليهما مع القضاء الفدية، وهذا قول ابن عمر وابن عباس، وبه قال مجاهد وإليه ذهب الشافعي رحمه الله، وقال قوم لا فدية عليهما، وبه قال الحسن وعطاء وإبراهيم النخعي والزهري وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، وأما الذي عليه القضاء دون الكفارة فالمريض والمسافر والحائض والنفساء.

وأما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه[1] ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال: ﴿**شهر رمضان**﴾ رفعه على معنى هو شهر رمضان، وقال الكسائي: كتب عليكم شهر رمضان وسمي الشهر شهراً لشهرته، وأما رمضان فقد قال مجاهد: هو اسم من أسماء الله تعالى، يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله، والصحيح أنه اسم للشهر سمي به من الرمضاء وهي الحجارة المحماة وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد فكانت ترمض فيه الحجارة في الحرارة.

قوله تعالى: ﴿**الذي أنزل فيه القرآن**﴾ سمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور والآي والحروف وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد.

وأصل القرء الجمع وقد يحذف الهمز منه فيقال، قريت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير: القرآن بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي ويقول ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل، وروي عن مقسم عن ابن عباس: أنه سئل عن قوله عز وجل ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ وقوله: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» (١ ــ القدر)، وقوله: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» (٣ ــ الدخان) وقد نزل في سائر الشهور، وقال عز وجل: «وقرآناً فرقناه» (١٠٦ ــ الإسراء) فقال أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم» (٧٥ ــ الواقعة) قال داود بن أبي هند: قلت للشعبي: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ أما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى، ولكن جبرائيل كان يعارض محمداً ﷺ في رمضان ما نزل إليه فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، وينسيه ما يشاء.

وروي عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في ثلاث ليال مضين من رمضان، ويروى في أول ليلة من رمضان، وأنزلت توراة موسى عليه السلام في ست ليال مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل زبور داود في ثمان عشرة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢/٢٨٨ ــ ٢٨٩، أحكام القرآن للجصاص: ١/٢١٨ ــ ٢٢٨.

شهر رمضان لست بقين بعدها[1].

قوله تعالى: ﴿هدى للناس﴾ من الضلالة، وهدى في محل نصب على القطع لأن القرآن معرفة وهدى نكرة ﴿وبينات من الهدى﴾ أي دلالات واضحات من الحلال والحرام والحدود والأحكام ﴿والفرقان﴾ أي الفارق بين الحق والباطل.

قوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ أي فمن كان مقيماً في الحضر فأدركه الشهر واختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: لا يجوز له الفطر، وبه قال عبيدة السلماني لقوله تعالى ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ أي الشهر كله وذهب أكثر الصحابة والفقهاء إلى أنه إذا أنشأ السفر في شهر رمضان جاز له أن يفطر، ومعنى الآية: فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه أي الشهر كله، ومن لم يشهد منكم الشهر كله فليصم ما شهد منه والدليل عليه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكَدِيْد ثم أفطر وأفطر الناس معه، فكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ[2].

قوله تعالى: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ أباح الفطر لعذر المرض والسفر وأعاد هذا الكلام ليعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر، فذهب أهل الظاهر إلى أن ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين. قال طريف بن تمام العطاردي دخلت على محمد بن سيرين. في رمضان، وهو يأكل فقال: إنه وجعت أصبعي هذه، وقال الحسن وإبراهيم النخعي هو المرض الذي تجوز معه الصلاة قاعداً./ وذهب الأكثرون ٢٦ أ
إلى أنه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة، وفي الجملة أنه إذا أجهده الصوم أفطر وإن لم يجهده فهو كالصحيح. وأما السفر، فالفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة أهل العلم إلا ما روي عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين أنهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء، واحتجوا بقول النبي ﷺ: «ليس من البر الصوم في السفر»[3] وذلك عند الآخرين في حق من

(١) رواه أحمد: ١٠٧/٤ عن واثلة بن الأسقع. انظر مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد تحقيق علي محمد جماز ٢٠١/١ وفيه عمران بن داور ــ بفتح، الواو وبعدها راء ــ أبو العوام، القطان البصري صدوق يهم، ورمي برأي الخوارج من السابعة (التقريب).
ورواه الطبراني والبيهقي في الشعب (انظر فيض القدير: ٥٧/٣)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية: ٢٨٦/٣ من رواية أبي يعلي عن جابر، وقال: هذا مقلوب، وإنما هو عن واثلة، فيحرَّر.

(٢) رواه البخاري: في الصوم ــ باب إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر ١٨٠/٤ وفي الجهاد والمغازي.
ومسلم: في الصيام ــ باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٣) ٧٨٤/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٣١٠/٦.

(٣) سيأتي ص ٢٠٠

يجهده الصوم فالأولى له أن يفطر، والدليل عليه ما أخبرنا به عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال سمعت محمد بن عمرو بن الحسن بن علي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا؟ قالوا هذا صائم، فقال «ليس من البر الصوم في السفر»(١).

والدليل على جواز الصوم ما حدثنا الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو نعيم الاسفراييني أخبرنا أبو عوانه أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبد الله القواريري أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: «كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم»(٢).

واختلفوا في أفضل الأمرين، فقالت طائفة: الفطر في السفر أفضل من الصوم، روي ذلك عن ابن عمر وإليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي، وذهب قوم إلى أن الصوم أفضل وروي ذلك عن معاذ بن جبل وأنس وبه قال إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقالت طائفة: أفضل الأمرين أيسرهما عليه لقوله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز، ومن أصبح مقيماً صائماً ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له أن يفطر ذلك اليوم عند أكثر أهل العلم، وقالت طائفة: له أن يفطر، وهو قول الشعبي وبه قال أحمد، أما المسافر إذا أصبح صائماً فيجوز له أن يفطر بالاتفاق، والدليل عليه ما أخبر عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان، فصام حتى بلغ كُراع الغَميم، فصام الناس معه، فقيل له يا رسول الله إن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه أن ناساً صاموا، فقال «أولئك العصاة»(٣).

واختلفوا في السفر الذي يبيح الفطر، فقال قوم: مسيرة يوم، وذهب جماعة إلى مسيرة يومين، وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب جماعة إلى مسيرة ثلاثة أيام، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

---

(١) رواه البخاري: في الصوم ــ باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر ١٨٣/٤.
ومسلم: في الصيام ــ باب جواز الصوم والفطر في رمضان للمسافر برقم (١١١٥) ٧٨٦/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٣٠٨/٦.

(٢) رواه البخاري: في الصوم ــ باب لم يعب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضاً ١٨٦/٤.
ومسلم: في الصيام ــ باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٦، ١١١٨) ٧٨٦/٢ ــ ٧٨٧.
والمصنف في شرح السنة: ٣٠٦/٦ ــ ٣٠٧.

(٣) رواه مسلم: في الصيام ــ باب جواز الصيام والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٤) ٧٨٥/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٣١١/٦، والشافعي في المسند: ٢٦٨/١ــ٢٦٩.

قوله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر**﴾ بإباحة الفطر في المرض والسفر ﴿**ولا يريد بكم العسر**﴾ قرأ أبو جعفر: العسُر واليسُر ونحوهما بضم السين، وقرأ الآخرون بالسكون. وقال الشعبي: ما خُيِّر رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عز وجل ﴿**ولتكملوا العدة**﴾ قرأ أبو بكر بتشديد الميم وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو الاختيار لقوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم» (٣ ـــ المائدة) والواو في قوله تعالى: ولتكملوا العدة واو النسق، واللام لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في مرضكم وسفركم، وقال عطاء: ﴿**ولتكملوا العدة**﴾ أي عدد أيام الشهر.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»[(١)].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتقدَّمُوا الشهر بصوم يوم ولا يومين إلا أن يوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم أفطروا»[(٢)].
﴿**ولتكبروا الله**﴾ ولتعظموا الله ﴿**على ما هداكم**﴾ أرشدكم إلى ما رضي به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل.

قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر. وروي عن الشافعي وعن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجاً فَذِكْرُه التلبية.

﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ الله على نعمه، وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسنى المروزي أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني إسماعيل بن جعفر عن أبي سهل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا

(١) رواه البخاري: في الصوم ـــ باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا...١١٩/٤. وفي الطلاق.
ومسلم: في الصيام ـــ باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال برقم (١٠٨٠) ٧٥٩/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٢٨/٦، والشافعي في المسند: ٢٧٢/١.

(٢) المصنف في شرح السنة: ٢٣٧/٦ وهو ملفق من حديثين عند البخاري ومسلم (انظر: البخاري في الصوم) ١١٩/٤، ١٢٧، ١٢٨
ومسلم: في الصيام: برقم (١٠٨٢، ١٠٨٨) ـــ ٧٦٢/٢، ٧٦٥.

دخل رمضان صفدت الشياطين، وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار»(١).

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة في شهر رمضان صفدت الشياطين وَمَرَدَةُ الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»(٢).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر بن أحمد الكوفاني الهروي بها أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر ابن محمد التجيبي المصريّ بها المعروف بابن النحاس(٣) قيل له أخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد العنزي البصري بمكة المعروف بابن الأعرابي؟ أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أخبرنا سفيان ابن عيينة عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٤).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار حدثنا الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الصفار أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي إسحاق العنزي أخبرنا علي بن حجر بن إياس السعدي أخبرنا يوسف بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب / عن سلمان قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم ٢٦/ب

(١) رواه البخاري: في الصوم: باب هل يقال رمضان... ١١٢/٤ وفي بدء الخلق.
ومسلم: في الصيام: باب فضل شهر رضمان برقم (١٠٧٩) ٧٥٨/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢١٥/٦.

(٢) رواه الترمذي: في الصوم ــ باب ما جاء في فضل شهر رمضان ٣٥٩/٣ ــ ٣٦٠.
وابن ماجه: في الصيام ــ باب ما جاء في فضل شهر رمضان برقم (١٦٤٢) ٥٢٦/١.
والحاكم: ٤٢١/١ ورجاله ثقات إلا أن أبا بكر بن عياش لما كبر ساء حفظه وله شاهد يتقوى به من حديث عطاء بن السائب عن عرفجه.
وأحمد: ٣١١/٤ ــ ٣١٢ و ٤١١/٥ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.
والنسائي: ١٣٠/٤ وابن خزيمه: ١٨٨/٣.
والمصنف في شرح السنة: ٢١٥/٦.

(٣) يوجد بعض الأخطاء في السند تم تصحيحها من شرح السنة.

(٤) رواه البخاري: في التراويح ــ باب: من صام رمضان ايماناً واحتساباً ١١٥/٤ وفي التعبير.
مسلم: في صلاة المسافرين ــ باب: الترغيب في قيام رمضان برقم (٧٦٠) ٥٢٤/١.
والمصنف في شرح السنة: ٢١٧/٦.

من شعبان فقال: «يأيها الناس إنه قد أظلكم شهر عظيم ــ وفي رواية قد أطلكم بالطاء ــ أطل: أشرف، شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة ــ أي المساهمة ــ وشهر يزاد فيه الرزق ومن فطرّ فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء» قالوا يارسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم قال رسول الله ﷺ: «يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار»(١).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك، الصوم جُنَّة، الصوم جنة»(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن مطرف حدثني أبو حازم عن سهل ابن سعد عن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريَّان لا يدخله إلا الصائمون»(٣).

---

(١) أخرجه ابن خزيمة: ١٩١/٣ــ١٩٢ في الصوم ــ باب فضل شهر رمضان وقال فيه: إن صح الخبر، وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف (التقريب ــ ميزان الاعتدال) وذكره المنذري في الترغيب: ٩٤/٢ــ٩٥ وقال: رواه ابن خزيمة في صحيحه.. ورواه من طريقه البيهقي، ورواه أبو الشيخ وابن حبان في الثواب باختصار عنهما.

(٢) رواه البخاري: في الصوم ــ باب: فضل الصوم: ١٠٣/٤ وفي اللباس وفي التوحيد.
ومسلم: في الصيام ــ باب: فضل الصوم برقم (١١٥١) ٨٠٦/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٢١/٦.

(٣) رواه البخاري: في الصوم ــ باب: الريان للصائمين ١١١/٤.
ومسلم: في الصيام ــ باب فضل الصوم برقم (١١٥٢) ٨٠٨/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢١٩/٦ ــ ٢٢٠.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن راشد بن سعد عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن رب إني منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفَّعان»(١).

قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال يهود أهل المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وإن غلظ كل سماء مثل ذلك، فنزلت هذه الآية، وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ، فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب»(٢) وفيه إضمار كأنه قال: فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى على شيء كما قال «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» (١٦ ــ ق).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر، أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «اربَعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»(٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٥٥٤/١.
قال المنذري رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.
انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٨٤/٢.

(٢) لم نقف على الرواية الأولى ولكن في سندها الكلبي وهو كذاب (التقريب).
وأما الرواية الثانية فقد أخرجها ابن جرير والبغوي في معجمه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق الصلت بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده قال: جاء رجل ....فأنزل الله ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ الدر المنثور: ٤٦٩/١.

(٣) رواه البخاري: في التوحيد ــ باب: وكان الله سميعاً بصيراً ٣٧٢/١٣.
ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة ــ باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٤٧٠٤) ٢٠٧٦/٤.
والمصنف في شرح السنة: ٦٦/٥.

يراعى ترتيب الـ

لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ) وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿**أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾ قرأ أهل المدينة غير قالون وأبو عمرو بإثبات الياء فيهما في الوصل، والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً، وكذلك اختلف القراء في إثبات الياءات المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة، ويثبت يعقوب جميعها وصلاً ووقفاً، واتفقوا على إثبات ما هو مثبت في الخط وصلاً ووقفاً ﴿**فليستجيبوا لي**﴾ قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيبوا لي بالطاعة، والإجابة في اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل فالإجابة من الله تعالى العطاء، ومن العبد الطاعة، وقيل: فليستجيبوا لي أي ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني ﴿**وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾ لكي يهتدوا، فإن قيل فما وجه قوله تعالى: ﴿**أجيب دعوة الداع**﴾ وقوله (أدعوني أستجب لكم) وقد يدعى كثيراً فلا يجيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين قيل معنى الدعاء ههنا الطاعة، ومعنى الاجابة الثواب، وقيل معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاماً، تقديرهما: ﴿**أجيب دعوة الداع**﴾ إن شئت، كما قال: «فيكشف ما تدعون إليه إن شاء» (٤١ ــ الأنعام) أو أجيب دعوة الداعي إن وافق القضاء أو: أجيبه إن كانت الإجابة خيراً له أو أجيبه إن لم يسأل محالاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريّاني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح أن ربيعة بن زيد حدثه عن أبي إدريس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: «يقول قد دعوتك يارب، قد دعوتك يارب، قد دعوتك يارب، فلا أراك تستجيب لي، فيستحسر عند ذلك فيدع

الدعاء»(١).

وقيل هو عام، ومعنى قوله ﴿أجيب﴾ أي اسمع، ويقال ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس بمذكور فيها، وقد يجيب السيد عبده، والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل معنى الآية أنه لا يخيبٌ دعاءه، فإن قدر له ما سأل أعطاه، وإن لم يقدره له ادخر له الثواب في الآخرة، أو كف عنه به سوءاً والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا بن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ قال: «ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه، الله إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»(٢) وقيل: إن الله تعالى يجيب دعاء
٢٧/ أ المؤمن في الوقت ويؤخر / إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل إعطاء من لا يحبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آداباً وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الإجابة.

قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله تعالى حيي كريم يكنى كل ما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث فإنما عنى به الجماع وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء، قال أهل التفسير: كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها، فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، إني رجعت إلى أهلي بعدما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوَّلت لي نفسي فجامعت أهلي فهل تجد لي من رخصة؟ فقال النبي ﷺ: «ما كنت جديراً بذلك يا عمر» فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزل في عمر وأصحابه:(٣)

---

(١) رواه البخاري مختصراً في الدعوات ــ باب: يستجاب للعبد ما لم يستعجل: ١١/١٤٠.
ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة ــ باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل برقم (٢٧٣٥) ٤/٢٠٩٥ واللفظ له.
والمصنف في شرح السنة: ٥/١٩٠.

(٢) رواه الترمذي: في الدعوات ــ باب: في انتظار الفرج عن جابر: ١٠/٢٤ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه.
والحاكم: ١/٤٩٣ وصححه ووافقه الذهبي.
وأحمد: ٣/١٨ عن أبي سعيد الخدري.
والمصنف في شرح السنة: ٥/١٨٦.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير: ٣/٤٩٨، وقال الشيخ شاكر: هذا الحديث بالإسناد مسلسل بالضعفاء، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن جرير وابن أبي حاتم: ١/٤٧٦.

﴿أحل لكم﴾ أي أبيح لكم **﴿ليلة الصيام﴾** أي في ليلة الصيام **﴿الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم﴾** أي سكن لكم **﴿وأنتم لباس لهن﴾** أي سكن لهن دليله. قوله تعالى: «وجعل منها زوجها ليسكن إليها» (١٨٩ ـــ الأعراف) وقيل لا يسكن شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هنّ فراش لكم وأنتم لحاف لهنّ، قال أبو عبيدة وغيره: يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وإزارك، وقيل: اللباس اسم لما يواري الشيء فيجوز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث: «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه»(١).

﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ أي تخونونها وتظلمونها بالمجامعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم» **﴿فتاب عليكم﴾** تجاوز عنكم **﴿وعفا عنكم﴾** محا ذنوبكم **﴿فالآن باشروهن﴾** جامعوهن حلالاً، سميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد منهم لصاحبه، **﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾** أي فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم يعني ليلة القدر.

قوله: **﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض﴾** نزلت في رجل من الأنصار اسمه أبو صِرْمَة ابن قيس بن صِرْمَة، وقال عكرمة: أبو قيس بن صِرمْه، وقال الكلبي: أبو قيس صرمة بن أنس بن أبي صرمة، وذلك أنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر، وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخيناً فأخذت تعمل له سخينة، وكان في الابتداء من صلى العشاء ونام حرم عليه الطعام والشراب، فلما فرغت من طعامه إذ هي به قد نام وكان قد أعيا وكلّ فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله، فأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجهوداً، فلم ينتصف النهار حتى

(١) ورد بلفظ (من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي).
رواه ابن الجوزي في العلل عن أنس رفعه وقال: لا يصح عن رسول الله ﷺ، وفيه آفات منها يزيد الرقاشي
قال أحمد: لا يكتب عنه شيء كان منكر الحديث. وقال النسائي: منكر الحديث وفيه هياج، قال أحمد: متروك الحديث. وقال يحيى ليس بشيء وفيه مالك بن سليمان وقد قدحوا فيه. العلل المتناهية ٢ /١٢٢.
انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس ٢ /٣١٣.
ورواه الحاكم بلفظ (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني. قال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ٢ /١٦١.

غشي عليه، فلما أفاق أتى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال له: ياأبا قيس مالك أمسيت طليحاً[١] فذكر له ماله فاغتم لذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل ﴿وكلوا واشربوا﴾[٢] يعني في ليالي الصوم ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ يعني بياض النهار من سواد الليل، سميا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتداً كالخيط.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال: أنزلت ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ ولم ينزل قوله: ﴿من الفجر﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعده ﴿من الفجر﴾ فعلموا أنما يعني بهما الليل والنهار[٣].

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا الحجاج بن منهال أخبرنا هُشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي عن عدي ابن حاتم قال: لما نزلت ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر إليهما وإلى الليل فلا يستبين لي فغدوت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»[٤].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم» قال «كان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت»[٥] واعلم أن الفجر فجران كاذب وصادق، فالكاذب يطلع أولاً مستطيلاً كذنب السِرحان يصعد إلى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيراً ينتشر سريعاً في الأفق، فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم.

---

(١) الطليح: الساقط من الإعياء والجهد والهزال.

(٢) رواه البخاري: في الصوم باب قول الله جل ذكره: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) ٤ /١٢٩.

(٣) رواه البخاري: في الصوم ــ باب: قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى...١٣٢/٤.

(٤) رواه البخاري: في الصوم ــ باب: قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى .... ١٣٢/٤.

(٥) رواه البخاري: في الأذان ــ باب: أذان الأعمى إذا كان له من يخبره ٩٩/٢.

ومسلم: في الصيام ــ باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم (١٠٩٢) ٧٦٨/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٩٨/٢.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا هناد ويوسف بن عيسى قالا: أخبرنا وكيع عن أبي هلال عن سوادة بن حنظلة عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «لايمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق»[1].

قوله تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس فإذا غربت حصل الفطر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا هشام بن عروة قال: سمعت أبي يقول: سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»[2].

قوله تعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ [وقد نويتم الإعتكاف في المساجد وليس المراد عن مباشرتهن في المساجد لأن ذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف][3] والعكوف هو الإقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد.

٢٧/ب أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي/ أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده»[4] والآية نزلت في نفر من أصحاب النبي ﷺ كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل، فرجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك ليلاً ونهاراً حتى يفرغوا من اعتكافهم، فالجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد

---

(١) رواه مسلم: في الصيام ــ باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم (١٠٩٤) ٧٧٠/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٣٠٠/٢.

(٢) رواه البخاري: في الصوم عن عبد الله بن أبي أوفى ــ باب: الصوم في السفر والإفطار ١٧٩/٤.
رواه مسلم: في الصيام عن عبد الله بن أبي أوفى ــ باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار برقم (١١٠١) ٧٧٢/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٥٩/٦.

(٣) ساقط من (ب) ومن المطبوع.

(٤) رواه البخاري: في الاعتكاف ــ باب الاعتكاف في العشر الأواخر ٢٧١/٤.
وروواه مسلم: في الاعتكاف ــ باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان برقم (١١٧٢) ٨٣١/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٣٩١/٦.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾

به الاعتكاف، أما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة، فمكروه ولا يفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم وهو أظهر قولي الشافعي، كما لا يبطل به الحج، وقالت طائفة يبطل بها اعتكافه وهو قول مالك، وقيل إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا كالصوم، وأما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إلي رأسه فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان»(١).

قوله تعالى: ﴿**تلك حدود الله**﴾ يعني تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف، حدود الله أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله، وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يقال للبوّاب حداد، لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما منع الله من مخالفتها ﴿**فلا تقربوها**﴾ فلا تأتوها ﴿**كذلك**﴾ هكذا ﴿**يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون**﴾ لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

قوله تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ قيل نزلت هذه الآية في امرىء القيس بن عايش لكندي ادعى عليه ربيعة ين عبدان الحضرمي عند رسول الله ﷺ أرضاً أنه غلبني عليها، فقال النبي ﷺ للحضرمي (ألك بينة)؟ قال لا قال: (فلك يمينه) فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ: «أما إن حلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه معرض»(٢) فأنزل الله هذه الآية ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله، وأصل الباطل الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع، قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني ونحوهما، وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة ﴿**وتدلوا بها إلى الحكام**﴾ أي تلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام، وأصل الإدلاء: إرسال الدلو وإلقاؤه في البئر يقال: أدلى دلوه إذا أرسله، ودلّاه يدلوه إذا أخرجه قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم فيه إلى الحاكم، وهو يعرف أن الحق عليه وأنه آثم بمنعه، قال مجاهد في هذه الآية: لا

---

(١) رواه البخاري: في الاعتكاف ــ باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل ٢٨٦/٤.
والمصنف في شرح السنة: ٤٠٠/٦.

(٢) رواه مسلم: في الإيمان ــ باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار برقم (١٣٩) ١٢٣/١.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٨٩﴾

تخاصم وأنت ظالم، قال الكلبي: هو أن يقيم شهادة الزور وقوله: ﴿وتدلوا﴾ في محل الجزم بتكرير حرف النهي، معناه ولا تدلوا بها إلى الحكام، وقيل معناه: ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه إلى الحكام، قال قتادة: لاتُدْلِ بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حراماً، وكان شريح القاضي يقول: إني لأقضي لك وإني لأظنك ظالماً ولكن لا يسعني إلا أن أقضي بما يحضرني من البينة وإن قضائي لا يحل لك حراماً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنَّه فإنما أقطع له قطعة من النار»(١).

قوله تعالى: ﴿لتأكلوا فريقاً﴾ طائفة ﴿من أموال الناس بالإثم﴾ بالظلم وقال ابن عباس: باليمين الكاذبة يقطع بها مال أخيه ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم مبطلون.

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلىء نوراً ثم يعود دقيقاً كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة(٢)؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ وهي جمع هلال مثل رداء وأردية سمي هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد وأهلّ القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ جمع ميقات أي فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والإفطار وآجال الديون وعِدَدَ النساء وغيرها، فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾.

---

(١) رواه البخاري: في الأحكام ـ باب: موعظة الإمام للخصوم ١٣/١٥٧ وفي الشهادات.
ورواه مسلم: في الأقضية ـ باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة برقم (١٧١٣) ٣/١٣٣٧.
والمصنف في شرح السنة: ١٠/١١٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عباس انظر الدر المنثور للسيوطي ١/٤٩٠.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾

قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج أو يتخذ سلماً فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك براً إلا أن يكون من الحمس وهم قريش وكنانة [وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو مضر بن معاوية سموا حمساً لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة](١) فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار يقال له رفاعة بن التابوت على أثره من الباب وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لم دَخلت مَن الباب وأنت محرم؟ قال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله ﷺ «إني أحمس» فقال الرجل إن كنت أحمسياً فإني أحمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢) وقال الزهري: كان ناس من الأنصار إذا أهلُّوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء، وكان الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت أن يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه، ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته حتى بلغنا أن رسول الله ﷺ أهلَّ زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الأنصار من بني سلمة فقال النبي ﷺ «لم فعلت ذلك؟ قال لأني رأيتك دخلت فقال رسول الله ﷺ «إني أحمس» فقال الأنصاري وأنا أحمسي يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها)(٣).

٢٨/أ قرأ ابن كثير وابن عامر/ وحمزة والكسائي وأبو بكر: والغيوب والجيوب والعيون وشيوخاً بكسر أوائلهن لمكان الياء وقرأ الباقون بالضم على الأصل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «جيوبهن» بكسر الجيم، وقرأ أبو بكر وحمزة «الغيوب» بكسر الغين ﴿ولكن البر من اتقى﴾ أي: البر: بر من اتقى.

﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ في حال الإحرام ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله ﴿الذين يقاتلونكم﴾ كان في ابتداء الإسلام أمر الله تعالى

(١) ساقط من نسخة (ب).
(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قيس بن جبير النهشلي
انظر الدر المنثور للسيوطي ١/٤٩٢.
وانظر تفسير الطبري ٣/٥٥٦.
(٣) أخرجه ابن جرير عن الزهري انظر تفسير الطبري ٣/٥٥٨.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

رسوله ﷺ بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية، وقال الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمره بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله (فاقتلوا المشركين) فصارت هذه الآية منسوخة بها، وقيل: نسخ بقوله (فاقتلوا المشركين) قريب من سبعين آية وقوله **﴿ولا تعتدوا﴾** أي لا تبدؤهم بالقتال وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة أمر النبي ﷺ بقتال المقاتلين ومعنى قوله: **﴿ولا تعتدوا﴾** أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ولا من ألقى إليكم السلام هذا قول ابن عباس ومجاهد:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو بكر بن سهل القهستاني المعروف بأبي تراب أخبرنا محمد بن عيسى الطرسوسي أنا يحيى بن بكير أنا الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن شعبة عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان النبي ﷺ إذا بعث جيشاً قال: «اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلُّوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً كبيراً»(١) وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدَّهم المشركون عن البيت الحرام فصالحهم على أن يرجع عامه ذلك على أن يخلوا له مكة عام قابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت فلما كان العام القابل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش بما قالوا وأن يصدوهم عن البيت الحرام وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله تعالى **﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾** يعني محرمين **﴿الذين يقاتلونكم﴾** يعني قريشاً **﴿ولا تعتدوا﴾** فتبدؤوا بالقتال في الحرم محرمين **﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾** .

قوله تعالى **﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾** قيل نسخت الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة الحذق والبصر بالأمور، ومعناه واقتلوهم حيث بصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم **﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾** وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم

---

(١) رواه مسلم: في الجهاد ــ باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ... برقم (١٧٣١) ١٣٥٧/٣.
والمصنف في شرح السنة: ١١/١١.

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾

﴿**والفتنة أشد من القتل**﴾ يعني شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلكم إياهم في الحرم والإحرام ﴿**ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم**﴾ قرأ حمزة والكسائي: (ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم) بغير ألف فيهن من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم، تقول العرب: قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، وقرأ الباقون بالألف من القتال وكان هذا في ابتداء الإسلام كان لا يحل بدايتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً بقوله تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ هذا قول قتادة، وقال مقاتل بن حيان قوله ﴿**واقتلوهم حيث ثقفتموهم**﴾ أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم، صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿**ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام**﴾ ثم نسختها آية السيف في براءة فهي ناسخة منسوخة.

وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم ﴿**كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا**﴾ عن القتال والكفر ﴿**فإن الله غفور رحيم**﴾ أي غفور لما سلف رحيم بالعباد ﴿**وقاتلوهم**﴾ يعني المشركين ﴿**حتى لا تكون فتنة**﴾ أي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام فإن أبى قُتل ﴿**ويكون الدين**﴾ أي الطاعة والعبادة (لله) وحده فلا يعبد شيء دونه .

قال نافع: جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله تعالى قد حرم دم أخي، قال: ألا تسمع ما ذكره الله عز وجل «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» (٩ ــ الحجرات) قال يا بن أخي: لأن أعيّر بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعيَّر بالآية التي يقول الله عز وجل فيها «ومن يقتل مؤمناً متعمداً» (٩٣ ــ النساء) قال ألم يقل الله ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ قال قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً وكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه أو يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله، وعن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عمر: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: هل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالكم على الملك ﴿**فإن انتهوا**﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿**فلا عدوان**﴾ فلا سبيل ﴿**إلا على الظالمين**﴾ قاله ابن عباس. يدل عليه قوله تعالى «أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي» (٢٨ ــ القصص) وقال أهل المعاني: العدوان الظلم، أي فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل ﴿**إلا على الظالمين**﴾ الذين بقوا على الشرك وما يفعل بأهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلماً، وسماه عدواناً على طريق المجازاة والمقابلة، كما قال ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه**﴾ وكقوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠ ــ الشورى) وسمي الكافر

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾

ظالماً لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿**الشهر الحرام بالشهر الحرام**﴾ نزلت في عمرة القضاء وذلك أن النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة فصدَّه المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل فيقضي عمرته، فانصرف رسول الله ﷺ عامه ذلك ورجع في العام القابل في ذي القعدة وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى ﴿**الشهر الحرام**﴾ يعني: ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم فيه عمرتكم سنة سبع ﴿**بالشهر الحرام**﴾ يعني ذا القعدة الذي صددتم فيه عن البيت سنة ست ﴿**والحرمات قصاص**﴾ جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام، والقصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل هذا في أمر القتال معناه: إن بدؤوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فإنه قصاص بما فعلوا فيه ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه**﴾ وقاتلوهم ﴿**بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ سمى الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠ ــ الشورى) ﴿**واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين**﴾/. ٢٨/ب

قوله تعالى: ﴿**وانفقوا في سبيل الله**﴾ أراد به الجهاد وكلّ خير هو في سبيل الله، ولكن إطلاقه ينصرف إلى الجهاد ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ قيل: الباء في قوله تعالى ﴿**بأيديكم**﴾ زائدة، يريد: ولا تلقوا أيديكم، أي أنفسكم ﴿**إلى التهلكة**﴾ عبَّر عن النفس بالأيدي كقوله تعالى «بما كسبت أيديكم» (٣٠ ــ الشورى) أي بما كسبتم، وقيل الباء في موضعها، وفيه حذف، أي لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي ولا تأخذوا في ذلك، وقيل: التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك مالا يمكن الاحتراز عنه، والعرب لا تقول للانسان ألقى بيده إلا في الشرك، واختلفوا في تأويل هذه الآية فقال بعضهم: هذا في البخل وترك الإنفاق. يقول (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بترك الإنفاق في سبيل الله وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء. وقال ابن عباس: في هذه الآية: أنفِقْ في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص، ولا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئاً، وقال: السدي بها: أنفق في سبيل الله ولو عقالاً ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ ولا تقل: ليس عندي شيء، وقال: سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان: لما أمر الله تعالى بالإنفاق قال رجل: أُمرنا بالنفقة في سبيل الله، ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم من نفقة في حق خيفة العيلة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

ابن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا أبو غسان أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي أخبرنا واصل مولى أبي عُيينة عن بشار بن أبي سيف عن الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن غُضيف قال: أتينا أبا عبيدة نعوده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة، ومن أنفق نفقة على أهله فالحسنة بعشر أمثالها»(١).

وقال زيد بن أسلم: كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فإما أن يقطع بهم، وإما أن كانوا عيالاً فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله، ومن لم يكن عنده شيء ينفقه فلا يخرج بغير نفقة ولا قوتٍ فيلقي بيده إلى التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي، وقيل: أنزلت الآية في ترك الجهاد، قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت فينا معشر الأنصار وذلك أن الله تعالى لما أعزَّ دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا إلى أهلينا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى **﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سور القسطنطينية وهم يستسقون به.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغزُ ولم يحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»(٢).

---

(١) رواه الترمذي: في فضائل الجهاد ــ باب: ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله ٥/٢٥٤ وقال: هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث الركين بن ربيع. في الترمذي والنسائي عن خريم بن فاتك بدون زيادة (ومن أنفق نفقة على أهله..).
أخرجه النسائي: في الجهاد ــ باب: فضل النفقة في سبيل الله: ٦/٤٩.
والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣٥٩ عن خريم واسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم: في الإمارة ــ باب: ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو برقم (١٩١٠) ٣/١٥١٧.
والمصنف في شرح السنة: ١٠/٣٧٥.

وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى، قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: «إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» (٨٧ ـــ يوسف).

قوله تعالى: ﴿**وأحسنوا**﴾ [أي أحسنوا أعمالكم وأخلاقكم وتفضلوا على الفقراء ﴿**إن الله يحب المحسنين**﴾[(١)] قوله عز وجل ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ قرأ علقمة وإبراهيم النخعي (وأقيموا الحج والعمرة لله) واختلفوا في إتمامهما فقال بعضهم: هو أن يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة .. الإحرام والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو التقصير. وللحج تحللان، وأسباب التحلل ثلاثة: رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق، فإذا وجد شيئان من هذه الأشياء الثلاثة حصل التحلل الأول، وبالثلاث حصل التحلل الثاني، وبعد التحلل الأول يستبيح جميع محظورات الإحرام إلا النساء، وبعد الثاني يستبيح الكل، وأركان العمرة أربعة: الإحرام، والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق، وقال سعيد بن جبير وطاووس: تمام الحج والعمرة أن تحرم بهما مفردين مستأنفين من دويرة أهلك، وسئل علي بن أبي طالب عن قوله تعالى: ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ قال أن تحرم بهما من دويرة أهلك ومثله عن ابن مسعود، وقال قتادة: تمام العمرة أن تُعْمَلَ في غير أشهر الحج، [فإن كانت في أشهر الحج][(٢)] ثم أقام حتى حج فهي متعة، وعليه فيها الهدي إن وجده، أو الصيام إن لم يجد الهدي، وتمام الحج أن يؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة وقال الضحاك: إتمامها أن تكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله عنه، وقال سفيان الثوري: إتمامها أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة.

قال عمر بن الخطاب: الوفد كثير والحاج قليل، واتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلاً، واختلفوا في وجوب العمرة فذهب أكثر أهل العلم إلى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: والله إن العمرة لقرينة الحج في كتاب الله، قال الله تعالى: «وأتموا الحج والعمرة لله» وبه قال عطاء ومجاهد وطاووس وقتادة وسعيد بن جبير، وإليه ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه، وذهب قوم إلى أنها سنة وهو قول جابر وبه قال (الشافعي)[(٣)] وإليه ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ على معنى أتموهما إذا دخلتم فيهما، أما ابتداء الشروع فيها

---

(١) ساقط من (ب).
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في ب: الشعبي.

فتطوع، واحتج من لم يوجبهما بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبيﷺ أنه سئل عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: (لا وأن تعتمروا خير لكم)(١) والقول الأول أصح ومعنى قوله ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ أي ابتدؤوهما، فإذا دخلتم فيهما فأتموهما فهو أمر بالإبتداء والإتمام أي أقيموهما كقوله تعالى: «ثم أتموا الصيام إلى الليل» (١٨٧ ـ البقرة) أي ابتدؤوه وأتموه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة»(٢) وقال ابن عمر: ليس من خلق الله أحدٌ إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً كما قال الله تعالى ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع، واتفقت الأمة على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه:

٢٩/ أ الإفراد والتمتع والقران، فصورة الإفراد أن يفرد الحج، ثم بعد الفراغ منه يعتمر / وصورة التمتع أن يعتمر في أشهر الحج، ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة، يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام، وصورة القران: أن يحرم بالحج والعمرة معاً أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارناً، واختلفوا في الأفضل من هذه الوجوه: فذهب جماعة إلى أن الإفراد أفضل ثم التمتع ثم القران وهو قول مالك والشافعي لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع فمنا من أهلَّ بعمرة، ومنا من أهلَّ بحج وعمرة، ومنا من أهلَّ بحج، وأهل رسول الله ﷺ بالحج، فأما من أهلَّ بالعمرة

(١) رواه الترمذي: في الحج ــ باب: ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا؟ ٦٧٩/٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي تصحيحه له نظر: فإن في سنده الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ولعل تصحيح الترمذي لهذه الرواية لمجيئها من طرق أخرى.
رواه أحمد: ٣١٦/٣ عن جابر بن عبد الله.
ورواه البيهقي: في السنن وقال: المحفوظ عن جابر موقوف كذا رواه ابن جريج وروي عن جابر بخلاف ذلك مرفوعاً من حديث ابن هيعة وكلاهما ضعيف (انظر التلخيص الحبير: ٢٢٦/٢).

(٢) رواه الترمذي: في الحج ــ باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة ٥٣٨/٣، ٥٣٩ وقال: حسن صحيح غريب.
ورواه النسائي: في الحج ــ باب: فضل المتابعة بين الحج والعمرة ١١٥/٥ ــ ١١٦.
ورواه ابن ماجه: في المناسك ــ باب: فضل الحج والعمرة: ٩٦٤/٢ برقم (٢٨٨٧).
ورواه ابن خزيمه: في المناسك ــ باب: الأمر بالمتابعة بين الحج والعمرة ١٣٠/٤.
وأخرجه أحمد: ٣٨٧/١، ٤٤٦/٣ ــ ٤٤٧ عن عبد الله بن مسعود، وعن عامر بن ربيعة.
والمصنف في شرح السنة: ٧/٧ عن عبد الله بن مسعود.
وهو صحيح بشواهده.

فحلَّ، وأما من أهلّ بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر(١).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضي الله عنه وهو يحدث عن حجة النبي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا ننوي إلا الحج، ولا نعرف غيره ولا نعرف العمرة(٢)، وروي عن ابن عمر أن النبي ﷺ أفرد الحج(٣) وذهب قوم إلى أن القران أفضل وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أخبرنا محمد بن هشام بن ملاس النميري أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري أخبرنا حميد قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: أهلَّ رسول الله ﷺ فقال «لبيك بحج وعمرة»(٤).

وذهب قوم إلى أن التمتع أفضل، وهو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يحيى بن بكير أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدأ رسول الله ﷺ فأهلَّ بالعمرة ثم أهلّ بالحج فتمتع الناس مع النبي ﷺ بالعمرة إلى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد، فلما قدم النبي ﷺ مكة قال للناس «من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه، ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، وليقصِّر وليتحلل، ثم ليهلّ بالحج فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، فطاف حين قدم مكة، واستلم الركن أول شيء ثم خبَّ ثلاثة أطواف ومشى أربعاً، فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين، ثم سلم فانصرف، فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أطواف، ثم لم يتحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه

---

(١) رواه البخاري: في الحج ــ باب التمتع والقران والإفراد بالحج ٤٢١/٣ واللفظ له.
ورواه مسلم: في الحج ــ باب: بيان وجوه الإحرام برقم (١٢١١) ٨٧٠/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٦٣/٧.

(٢) جزء من حديث حجة النبي ﷺ رواه مسلم في الحج ــ باب: حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٨٨٦/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٦٥/٧.

(٣) رواه الترمذي: في الحج باب ما جاء في إفراد الحج ٥٥٢/٢ ــ ٥٥٣.
والدارقطني ٢٣٩/٢، وفي سنده عبد الله بن نافع الصائغ ضعيف جداً، انظر سنن الدارقطني مع التعليق ٣٨/٢.
وأخرج مسلم في صحيحه في الحج باب في الإفراد في الحج عن نافع عن ابن عمر قال: أهللنا مع رسول الله ﷺ بالجمع مفرداً، وفي رواية ابن عون أن رسول الله ﷺ أهل بالحج مفرداً ٩٠٥/٢.

(٤) رواه مسلم: في الحج ــ باب في الإفراد والقران بالحج والعمرة برقم (١٢٣٢) ٩٠٥/٢.

يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت، ثم حل من كل شيء حرم منه، وفعل مثل ما فعل رسول الله ﷺ من أهدى وساق الهدي من الناس .

وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي ﷺ في تمتعه بالعمرة إلى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ.(١)

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه، قد اختلفت الرواية في إحرام النبي ﷺ كما ذكرنا وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الأحاديث كلاماً موجزاً أن أصحاب رسول الله ﷺ كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه، فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر بها وأذن فيها ويجوز في لغة العرب إضافة (الشيء)(٢) إلى الآمر به، كما يجوز إضافته إلى الفاعل له كما يقال بنى فلان داراً، وأريد أنه أمر ببنائها، وكما روي أن النبي ﷺ رجم ماعزاً، وإنما أمر برجمه واختار الشافعي الإفراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر، وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر النبي ﷺ وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها، ولفضل حفظ عائشة رضي الله عنها، وقرب ابن عمر من النبي ﷺ.

ومال الشافعي في «اختلاف الأحاديث» إلى التمتع، وقال ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا وإن كان الغلط فيه قبيحاً من جهة أنه مباح لأن الكتاب ثم السنة ثم مالا أعلم فيه خلافاً على أن التمتع بالعمرة إلى الحج وإفراد الحج والقران، واسع كله وقال: من قال إنه أفرد الحج يشبه أن يكون قاله على ما لا يعرف من أهل العلم الذين أدرك دون رسول الله ﷺ أن أحداً لا يكون مقيماً على الحج إلا وقد ابتدأ إحرامه بالحج(٣) قال الشيخ الإمام رحمه الله: ومما يدل على أنه كان متمتعاً أن الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة، وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تمتع رسول الله ﷺ في [حجة الوداع بالعمرة إلى الحج(٤) وقال ابن شهاب عن عروة أن عائشة أخبرته عن النبي ﷺ](٥) في تمتعه بالعمرة إلى الحج، فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ «هذه عمرة استمتعنا بها».

وقال سعد بن أبي وقاص في المتعة: صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.

قال الشيخ الإمام: وما روي عن جابر أنه قال: خرجنا لا ننوي إلا الحج ـــ لاينافي التمتع لأن

(١) جزء من حديث رواه البخاري في الحج ـــ باب: من ساق البدن معه ٥٣٩/٣.
ومسلم: في الحج ـــ باب: وجوب الدم على المتمتع برقم (١٢٢٧) ٩٠١/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٦٦/٧ ـــ ٦٨.

(٢) وفي «ب» الفعل.

(٣) انظر: اختلاف الحديث للشافعي، بهامش الأم: ٤٠٤/٧ــ٤٠٩.

(٤) جزء من حديث ابن عمر السابق عند الشيخين.

(٥) ساقط من (أ).

خروجهم كان لقصد الحج، ثم منهم من قدم العمرة، ومنهم من أهل بالحج إلى أن أمره النبي ﷺ أن يجعله متعة قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم﴾ اختلف العلماء في الإحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من إحرامه فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمعنى في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة، يبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق وقالوا: لأن الإحصار في كلام العرب هو حبس العلة أو المرض، وقال الكسائي وأبو عبيدة ماكان من مرض أو ذهاب نفقة يقال: منه أحصر فهو مُحْصَرٌ وما كان من حبس عدو أو سجن يقال: منه حصر فهو محصور، وإنما جعل هاهنا حبس العدو إحصاراً قياساً على المرض إذ كان في معناه، واحتجوا بما روي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل»(١).

قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا صدق. وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو وهو قول ابن عباس وقال لا حصر إلا حصر العدو ، وروي معناه / عن ابن عمر ٢٩/ب
وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا الحصر والإحصار بمعنى واحد.

وقال ثعلب: تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور، وأحصره العدو إذا منعه عن السير فهو محصر، واحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديبية وكان ذلك حبساً من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالى في سياق الآية ﴿فإذا أمنتم﴾ والأمن يكون من الخوف، وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو، وتأوله بعضهم على أنه إنما يحل بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الإحرام كما روي أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي ﷺ: «حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني»(٢).

ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس، والهدي شاة وهو المراد من قوله تعالى ﴿فما استيسر من

---

(١) رواه أبو داود: في المناسك باب الإحصار ٣٦٨/٢ ونقل المنذري تحسينه عن الترمذي وأقره وعزاه للنسائي.
والترمذي: في الحج ــ باب: ما جاء في الذي يهل بالحج فيكسر أو يعرج ٨/٤ وقال: هذا حديث حسن.
وابن ماجه: في المناسك ــ باب المحصر برقم (٣٠٧٧) ١٠٢٨/٢
وأحمد: ٤٥٠/٣ عن الحجاج بن عمرو الأنصاري، وعزاه ابن حجر في الفتح ٧/٤ لابن السكن في كتاب الصحابة وقال: ليس بعيداً من الصحة.
والدارمي: في المناسك ــ باب: في المحصر بعدو ٦١/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٨٨/٧.
(٢) رواه مسلم: في الحج ــ باب: جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه برقم (١٢٠٨) ٨٦٩/٢.

الهدي﴾، ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدي عام الحديبية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم على إحرامه ويبعث بهديه إلى الحرم، ويواعد من يذبحة هناك ثم يحل، وهو قول أهل العراق.

واختلف القول في المحصر إذا لم يجد هدياً ففي قول لا بُدَّ له(*) فيتحلل والهدي في ذمته إلى أن يجد، والقول الثاني: له بدل، فعلى هذا اختلف القول فيه، ففي قول عليه صوم التمتع، وفي قول تُقَوَّمُ الشاة بدراهم ويجعل الدراهم طعاماً فيتصدق، به فإن عجز عن الإطعام صام عن كل مد من الطعام يوماً كما في فدية الطيب واللبس فإن المحرم إذا احتاج إلى ستر رأسه لحرّ أو برد أو إلى لبس قميص، أو مرض فاحتاج إلى مداواته بدواء فيه طيب فعل، وعليه الفدية، وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة فإن لم يجد يُقوّم الشاة بدراهم والدراهم يشتري بها طعاماً فيتصدق به، فإن عجز صام عن كل مد يوماً. ثم المحصر إن كان إحرامه بغرض قد استقر عليه فذلك الغرض في ذمته وإن كان بحج تطوع فهل عليه القضاء؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة إلى أنه لاقضاء عليه وهو قول مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أن عليه القضاء، وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي.

قوله تعالى ﴿**فما استيسر من الهدي**﴾ [أي فعليه ما تيسر من الهدي](1) ومحله رفع وقيل: ما في محل النصب أي فاهدي ما استيسر والهدي جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى إلى بيت الله تقرباً إليه، وما استيسر من الهدي شاة، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس، لأنه أقرب إلى اليسر، وقال الحسن وقتادة: أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة.

قوله تعالى: ﴿**ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله**﴾ اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه إليه فقال بعضهم: هو ذبحه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى محله: حيث يحل ذبحه فيه وأكله.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك فاخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم بكلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج ولم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم

(1) ساقط من «أ».

(*) في «ب»: لا بدل له.

يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً»[1] وقال بعضهم: محل هدي المحصر الحرم، **فإن كان** حاجاً فمحله يوم النحر، وإن كان معتمراً فمحله يوم يبلغ هديه الحرم قوله تعالى ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه**﴾ معناه لا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو لأذى في الرأس من هوام أو صداع ﴿**ففدية**﴾ فيه إضمار، أي: فحلق فعليه فدية نزلت في كعب بن عُجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا الحسن بن خلف أخبرنا إسحاق بن يوسف عن أبي بشر ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ رآه وقمله يسقط على وجهه فقال: أيؤذيك هوامك؟ قال نعم فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق وهو بالحديبية ولم يبين لهم أنهم يحلون بها وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله ﷺ أن يطعم فرقاً بين ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام[2].

قوله تعالى: ﴿**ففدية من صيام**﴾ أي ثلاثة أيام ﴿**أو صدقة**﴾ أي ثلاثة آصع على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع ﴿**أو نسك**﴾ واحدتها نسيكة أي ذبيحة، أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيتها شاء ذبح، فهذه الفدية على التخيير والتقدير، ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم إلا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر، وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء، قوله تعالى: ﴿**فإذا أمنتم**﴾ أي من خوفكم وبرأتم من مرضكم ﴿**فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي**﴾ اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله ابن الزبير إلى أن معناه: فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من إحرامه بعمل عمرة واستمتع بإحلاله ذلك بتلك العمرة إلى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقال بعضهم معناه ﴿**فإذا أمنتم**﴾ وقد حللتم من إحرامكم بعد الإحصار ولم تقضوا عمرة، وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة، فاعتمرتم في أشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج، فعليكم ما استيسر من الهدي، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمراً من أفق من الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام حلالاً بمكة حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج.

---

(١) رواه البخاري: في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٥/٣٢٩ ــ ٣٣٣

(٢) رواه البخاري في المحصر باب قوله تعالى ﴿**فمن كان منكم مريضاً**﴾ ٤/١٢.

ومسلم في الحج باب جواز حلق الرأس للمحرم برقم (١٢٠١) ٢/٨٦٠.

ولوجوب دم التمتع أربع شرائط: أحدهما أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، والثاني أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة، والثالث أن يحرم بالحج في مكة ولا يعود إلى الميقات لإحرامه، الرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام، فمتى وجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدي، وهو دم شاة يذبحه يوم النحر فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجنايات، وذهب بعضهم إلى أنه
٣٠/أ لا يجوز قبل يوم النحر / كدم الأضحية.

قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ أي صوموا ثلاثة أيام، يصوم يوماً قبل التروية ويوم التروية، ويوم عرفة، ولو صام قبله بعدما أحرم بالحج يجوز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاث أيام التشريق.

يروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق.

قوله تعالى: ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ أي صوموا سبعة أيام إذا رجعتم إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية.

قوله تعالى ﴿تلك عشرة كاملة﴾ ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير يعني فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم فهي عشرة كاملة وقيل: كاملة في الثواب والأجر، وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدي وقيل: كاملة بشروطها وحدودها، وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي فأكملوها ولا تنقصوها ﴿ذلك﴾ أي هذا الحكم ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكه وهو قول مالك، وقيل: هم أهل الحرم وبه قال طاووس من التابعين وقال ابن جريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلتان، وقال الشافعي رحمه الله: كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، ودم القران كدم التمتع والمكي إذا قرن أو تمتع فلا هدي عليه، قال عكرمة: سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال: أهلَّ المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة، قال رسول الله: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلَّد الهدي». فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة، وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج، فإذا فرغنا فقد تم حجنا وعلينا الهدي، فجمعوا نسكين في عام بين الحج والعمرة فإن الله أنزله في كتابه وسنة نبيه وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾(١).

(١) رواه البخاري: في الحج باب قوله تعالى ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ ٤٣٣/٣.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

ومن فاته الحج، وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر يوم النحر، فإنه يتحلل بعمل العمرة، وعليه القضاء من قابل والفدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتع والقران.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن سليمان بن يسار أن هناد بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه فقال: يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد، كنا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة، فقال له عمر: اذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هدياً إن كان معكم، ثم احلقوا أو قصروا ثم ارجعوا، فإذا كان عام قابل فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم(١).

﴿واتقوا الله﴾ في أداء الأوامر ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ على ارتكاب المناهي.

قوله تعالى: ﴿**الحج أشهر معلومات**﴾ أي وقت الحج أشهر معلومات وهي: شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويروى عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف، فمن قال عشر عبر به عن الليالي ومن قال تسع عبر به عن الأيام، فإن آخر أيامها يوم عرفة، وهو يوم التاسع وإنما قال أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت والعرب تسمي الوقت تاماً بقليله وكثيره فتقول العرب أتيتك يوم الخميس وإنما أتاه في ساعة منه، ويقول زرتك العام، وإنما زاره في بعضه، وقيل الاثنان فما فوقهما جماعة لأن معنى الجمع ضمُّ الشيء إلى الشيء، فإذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة جاز أن يسمى الاثنان وبعض الثالث بجماعة وقد ذكر الله تعالى الاثنين بلفظ الجمع فقال «فقد صغت قلوبكما» (٤ ـــ التحريم) أي قلباكما، وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالاً وذا القعدة وذا الحجة كمَّلاً لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها، مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى فكانت في حكم الحج ﴿**فمن فرض فيهن الحج**﴾ أي فمن أوجب على نفسه

(١) انظر: الموطأ: ٣٨٣/١ ووصله البيهقي: ١٧٥/٥ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٩٢/٧.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ٢٠٠ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٢٠٢﴾

الحج بالإحرام والتلبية وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج، وهو قول ابن عباس وجابر وبه قال عطاء وطاووس ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وقال ينعقد إحرامه بالعمرة لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بغرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه علق الصلوات بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد إحرامه عن الفرض وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة رضي الله عنهم، وأما العمرة: فجميع أيام السنة لها إلا أن يكون متلبساً بالحج، وروي عن أنس أنه كان بمكة فكان إذا حمم رأسه خرج فاعتمر.

قوله تعالى: ﴿**فلا رفث ولا فسوق**﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿**فلا رفث ولا فسوق**﴾ بالرفع والتنوين فيهما، وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين كقوله تعالى ﴿**ولا جدال في الحج**﴾ وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين، واختلفوا في الرفث: قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز، وأن يعرِّض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضي الله عنه بذنب بعيره فجعل يلويه وهو يحدو ويقول:

وَهُــنَّ يَمْشِيْنَ بِنَــا هَمِيْسَا إن تَصْدُقِ الطَّيْر نَنِكْ لَمِيْسَا

فقلت له أترفث وأنت محرم، فقال إنما الرفث ما قيل عند النساء، قال طاووس:[1] الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن، وقال عطاء: الرفث قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حللت أصبتك، وقيل: الرفث الفحش والقول القبيح، أما الفسوق: قال ابن عباس: هو المعاصي كلها وهو قول طاووس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي، وقال ابن عمر: هو ما نهي عنه المحرم في حال

(١) رواه ابن جرير بسند صحيح: ٤/١٢٧.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظافر، وأخذ الأشعار، وما أشبههما وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد؛ هو السباب بدليل قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[(١)] وقال الضحاك هو التنابز بالألقاب بدليل قوله تعالى: «ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» (١١ ـــ الحجرات).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا سيار أبو الحكم / قال سمعت أبا حازم يقول: سمعت أبا ٣٠ /ب
هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[(٢)].

قوله تعالى ﴿**ولا جدال في الحج**﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أي يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد: هو أن يقول بعضهم الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غداً، وقال القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقالوا هؤلاء: حجنا أتم من حجكم وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدي»[(٣)] قالوا كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم، وقال ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم يتجادلون فيه، وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة، وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة فكل يقول ما فعلته فهو الصواب، فقال جل ذكره ﴿**ولا جدال في الحج**﴾ أي استقرَّ أمر الحج على ما فعله رسول الله ﷺ فلا اختلاف فيه من بعد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»[(٤)] قال مجاهد: معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة فأبطل النسيء قال أهل المعاني: ظاهر الآية نفي، ومعناها نهي، أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا، كقوله

(١) رواه البخاري في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ١/١١٠.
ومسلم في الإيمان باب قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» برقم (١١٦) ١/٨١، والمصنف في شرح السنة: ١/٧٦.
(٢) رواه البخاري في الحج باب فضل الحج المبرور ٣/٣٨٢.
ومسلم: في الحج باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٥٠) ٢/٩٨٣، والمصنف في شرح السنة: ٧/٤.
(٣) سبق تخريجه انظر فيما سبق ص (٢٢٥).
(٤) قطعة من حديث رواه البخاري في الأضاحي باب من قال الأضحى يوم النحر ١٠/٧.
ومسلم: في القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم (١٦٧٩) ٣/١٣٠٥.
والمصنف في شرح السنة ٧/٢١٦.

تعالى «لا ريب فيه» أي لا ترتابوا ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ أي لا يخفى عليه فيجازيكم به.

قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا؟ فإذا قدموا مكة سألوا الناس، وربما يفضي بهم الحال إلى النهب والغصب، فقال الله عز وجل ﴿وتزودوا﴾ أي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم، قال أهل التفسير: الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ من السؤال والنهب ﴿واتقون ياأولى الألباب﴾ يا ذوي العقول.

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم﴾ أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا علي بن عبد الله أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس كذا،[1] وروى عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: إنا قوم نكري في هذا الوجه، يعني إلى مكة، فيزعمون أن لا حج لنا، فقال: ألستم تحرمون كما يُحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون؟ قلت بلى، قال: أنت حاج: جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ليس عليكم جناح﴾ أي حرج ﴿أن تبتغوا فضلاً﴾ أي رزقاً ﴿من ربكم﴾ يعني بالتجارة في مواسم الحج ﴿فإذا أفضتم﴾ دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماء أي صبّه ﴿من عرفات﴾ هي جمع عرفة، جُمع بما حولها وإن كانت بقعة واحدة كقولهم ثوب أخلاق.

واختلفوا في المعنى الذي لأجله سمي الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء: كان جبريل عليه السلام يري إبراهيم عليه السلام المناسك ويقول عرفت؟ فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة، وقال الضحاك: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم يوم عرفة والموضع عرفات، وقال السدي لما أذن إبراهيم في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأتاه من أتاه أمره الله أن يخرج إلى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الجمرة[2] عند العقبة استقبله الشيطان ليرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية، فرماه وكبر فطار، فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز، فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز فسمي ذا المجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى إذا أمسى ازدلف إلى جمع،

(١) أخرجه البخاري في البيوع: ٣٢١/٤ وفي الحج ٣٩٥/٣ والمصنف في شرح السنة: ٣/٨.
(٢) في المخطوطتين الشجرة والصحيح الجمرة كما جاء في أكثر التفاسير كابن كثير.

أي قرب إلى جمع، فسمي المزدلفة.

وروي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه أن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح روّى يومه أجمع أي فكّر، أمن الله تعالى هذه الرؤيا أم من الشيطان؟ فسمي اليوم يوم التروية، ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى فسمي اليوم يوم عرفة، وقيل سمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم، وقيل سمي بذلك من العَرف وهو الطيب، وسمي منىً لأنه يمنى فيه الدم أي يصب فيكون فيه الفروث والدماء ولا يكون الموضع طيباً وعرفات طاهرة عنها فتكون طيبة.

قوله تعالى: ﴿**فاذكروا الله**﴾ بالدعاء والتلبية ﴿**عند المشعر الحرام**﴾ وهو ما بين جبلي المزدلفة من مأزِمَيْ عرفة إلى المحسر، وليس المأزمان ولا المحسر من المشعر، وسمي مَشْعراً من الشِّعار وهي العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام: من المنع فهو، ممنوع أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه، وسمي المزدلفة جَمْعاً: لأنه يُجمع فيه بين صلاتي العشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس، ومن جَمْعْ قبل طلوعها من يوم النحر.

قال طاووس كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن مزدلفة بعد أن تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير(١) كيما نغير فأخَّر الله هذه وقدم هذه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول: «دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشِّعب نزل فبال، ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء، فقلت له: الصلاة يا رسول الله قال: فقال الصلاة أمامك، فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصلِّ بينهما شيئاً»(٢).

وقال جابر: «دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبِّح بينهما شيئاً، ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعاه وكبّره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس»(٣).

---

(١) جبل بين مكة ومنى وهو على يمين الداخل منها إلى مكة.

(٢) رواه البخاري: في الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٥١٩/٣ ومسلم في الحج ـ باب الإفاضة في عرفات إلى مزدلفة برقم (١٢٨٠) ٩٣٤/٢.

(٣) رواه مسلم في الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٨٨٦/٢. والمصنف في شرح السنة: ٦٥/٧.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد
٣١/أ ابن إسماعيل أخبرنا زهير / بن حرب أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبي عن يونس الأيلي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسامة بن زيد كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة ثم أردف الفضل من مزدلفة إلى منى، قال: فكلاهما قال لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة»[(١)].

قوله تعالى: ﴿**واذكروه كما هداكم**﴾ أي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه ﴿**وإن كنتم من قبله لمن الضالين**﴾ أي وقد كنتم، وقيل: وما كنتم من قبله إلا من الضالين. كقوله تعالى: «وإن نظنك لمن الكاذبين» (١٨٦ ــ الشعراء) أي: وما نظنك إلا من الكاذبين، والهاء في قوله «من قبله» راجعة إلى الهدى، وقيل: إلى الرسول ﷺ ، كناية عن غير مذكور .

قوله تعالى: ﴿**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**﴾ قال أهل التفسير، كانت قريش وحلفاؤها ومن دان بدينها، وهم الحُمْس، يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله، وقطّان حرمه، فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه، ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحُمْس من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جَمْع مع سائر الناس، وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين.

وقوله تعالى ﴿**من حيث أفاض الناس**﴾ من جَمْع أي ثم أفيضوا من جَمْع إلى منى، وقالوا لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع، فيكف يسوغ أن يقول فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ثم أفيضوا من عرفات؟ والأول قول أكثر أهل التفسير.

وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام.

وقيل: ثم بمعنى الواو أي وأفيضوا، كقوله تعالى: «ثم كان من الذين آمنوا» (١٧ ــ البلد) وأما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس.

وقال الكلبي: هم أهل اليمن وربيعة، وقال الضحاك: الناس هاهنا ابراهيم عليه السلام وحده كقوله تعالى «أم يحسدون الناس» (٥٤ ــ النساء) وأراد محمداً ﷺ وحده ويقال هذا الذي يقتدى به ويكون

---

(١) رواه البخاري: في الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٣ /٥١٩.
ومسلم في الحج باب استحباب إذا دفع الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة برقم (١٢٨١) ٢/٣٩١ واللفظ له.
والمصنف في شرح السنة ٧/١٨٥.

لسان قومه وقال الزهري: الناس هاهنا آدم عليه السلام وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسي بالياء ويقال: هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: سئل أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله ﷺ في حجة الوداع حين دفع؟ قال: كان يسير العَنَق فإذا وجد فجوة نَصّ(١)، قال هشام: والنص فوق العنق.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا إبراهيم بن سويد حدثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب قال اخبرني سعيد بن جبير مولى والبة الكوفي حدثني ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً للابل فأشار بسوطة إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع(٢)، ﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾»(٣)

قوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ أي فرغتم من حجكم وذبحتم نسائككم، أي ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نسكا إذا ذبح نَسِيْكَتَهُ، وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى. ﴿فاذكروا الله﴾ بالتكبير والتحميد والثناء عليه ﴿كذكركم آباءكم﴾ وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها، فأمرهم الله تعالى بذكره وقال: فاذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنت إليكم وإليهم .

قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلم يلهج(٤) بذكر أبيه لا بذكر غيره فيقول الله فاذكروا الله لا غير كذكر الصبي أباه أو أشد، وسئل ابن عباس عن قوله ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾ فقيل قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه، قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن أن تغضب لله إذا عُصي أشَدَّ من غضبك لوالديك إذا شُتِمَا، وقوله تعالى ﴿أو أشد ذكراً﴾ يعني: وأشدَّ ذكراً، وبل أشد، أي وأكثر ذكراً ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا﴾ أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا يقولون اللهم أعطنا غنماً وإبلاً وبقراً وعبيداً، وكان الرجل يقوم فيقول يارِبِّ: إن أبي كان عظيم القبة كبير الجَفْنة كثير المال فأعطني مثل ما

(١) رواه البخاري: في الحج ــ باب: السير إذا دفع من عرفة ٣/١١٨ .
(٢) السير السريع فبين صلى الله عليه وسلم في هذا أن تكلف الاسراع في السير ليس مما يتقرب به.
(٣) رواه البخاري: في الحج. باب: أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة ٣ /٥٢٢.
ومسلم في الحج. باب: استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة برقم (١٢٨٢) ٢ /٩٣٢.
(٤) في: أ: يُلْهِمُ.

أعطيته، قال قتادة هذا عبد نيَّته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونَصَب ﴿**وماله في الآخرة من خلاق**﴾ من حظ ونصيب ﴿**ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾ يعني المؤمنين، واختلفوا في معنى الحسنتين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الدنيا حسنة: امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة: الجنة.

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنيفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد أنا الحارث بن أبي أسامة أنا أبو عبد الرحمن المقري أخبرنا حيوة وابن لهيعة قالا أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»(١) وقال الحسن: في الدنيا حسنة: العلم والعبادة، وفي الآخرة حسنة، الجنة، وقال السدي وابن حيان: ﴿**في الدنيا حسنة**﴾ رزقاً حلالاً وعملاً صالحاً، ﴿**وفي الآخرة حسنة**﴾ المغفرة والثواب.

أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زَحْرٍ عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ(٢) ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه، فأطاعه في السر، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر على ذلك، ثم (نفض بيده)(٣) فقال: عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه»(٤).

وقال قتادة: في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية. وقال عوف في هذه الآية: من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكركاني الطوسي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش

---

(١) رواه مسلم: في الرضاع باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة برقم (١٤٦٧) ١٠٩٠/٢.
والمصنف في شرح السنة ١١/٩.

(٢) «خفيف الحاذ»، أي: خفيف الحال، قليل المال، وأصله: قلة اللحم، والحال والحاذ واحد، وهو ما وقع عليه اللِّبد من متن الفرس، انظر: شرح السنة: ٢٤٦/١٤.

(٣) وفي (ب) نقد بيده.

(٤) رواه الترمذي: في الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه ١٢/٧ وقال هذا حديث حسن.
وابن ماجه: في الزهد باب من لا يؤبه له ١٣٧٩/٢ وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف أيوب بن سليمان، قال فيه أبو حاتم: مجهول وتبعه على ذلك الذهبي في الطبقات وغيرها، وصدقة بن عبد الله متفق على تضعيفه.
ورواه أحمد: ٢٥٢/٥ ــ ٢٥٥ عن أبي أمامة.
ورواه المصنف في شرح السنة ٢٤٦/١٤.
وفي اسناده علي بن يزيد بن أبي زياد الألهاني أبو عبد الملك الدمشقي ضعيف من السادسة (التقريب).

الزيادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار أخبرنا أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازي أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرخ فقال: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟ فقال يارسول الله كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال:/سبحان الله إذن لا تستطيعه ولا تطيقه فهلا قلت «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي ٣١/ب
الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(١).

أخبرنا [أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا](٢) أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي اسحاق الحجاجي أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدعولي أخبرنا محمد بن مشكان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(٣).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب أنه سمع النبي ﷺ يقول: فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(٤).

قوله تعالى ﴿أولئك لهم نصيب﴾ حظ ﴿مما كسبوا﴾ من الخير والدعاء بالثواب والجزاء ﴿والله سريع الحساب﴾ يعني إذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر ولا إلى روية ولا فكر.

قال الحسن: أسرع من لمح البصر وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ماهو كائن لا محالة فهو قريب، قال الله تعالى: «وما يدريك لعل الساعة قريب» (١٧ ــ الشورى).

قوله تعالى ﴿واذكروا الله﴾ يعني التكبيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات ﴿في أيام معدودات﴾ الأيام المعدودات: هي أيام التشريق، وهي أيام منى ورمي

---

(١) رواه مسلم: في الذكر باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا برقم (٢٦٨٨) ٤/٢٠٦٨.
(٢) ساقط من «أ».
(٣) رواه البخاري: في الدعوات باب قول النبي ﷺ (ربنا آتنا..) ١١/١٩١.
ومسلم: في الذكر باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة ..) برقم (٢٦٩٠) ٤/٢٠٧٠.
(٤) رواه أبو داود في المناسك باب الدعاء في الطواف ٢/٣٨١.
وأحمد: ٣/٤١١ عن عبد الله بن السائب.
وصححه ابن حبان برقم (١٠٠١) في الحج، والحاكم: ١/٤٥٥ ووافقه الذهبي وعزاه المنذري في مختصر أبي داود للنسائي.
والمصنف في شرح السنة ٧/١٢٨.

الجمار، سميت معدودات لقلتهن كقوله: «دراهم معدودة» (٢٠ ــ يوسف) والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر. هذا قول أكثر أهل العلم وروي عن ابن عباس المعلومات: يوم النحر ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن علي قال: المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق. وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق، وروى عن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله»(١).

ومن الذكر في أيام التشريق: التكبير، واختلفوا فيه فروي عن عمر وعبد الله بن عمر أنهما كانا يكبران بمنى تلك الأيام خلف الصلاة وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهما ويتأولان هذه الآية. والتكبير أدبار الصلاة مشروع في هذه الأيام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يُبتدأ التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختم بعد العصر من آخر أيام التشريق، يروى ذلك عن علي رضي الله عنه، وبه قال مكحول، وإليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه، وذهب قوم إلى أنه يُبتدأ التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختم بعد العصر من يوم النحر، يروى ذلك عن بن مسعود رضي الله عنه وبه قال أبو حنيفة، وقال قوم يبتدأ عقيب صلاة الظهر من يوم النحر ويختم بعد الصبح من آخر أيام التشريق، يروى ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعي، قال الشافعي: لأن الناس فيه تبع للحاج وذِكْرُ الحاج قبل هذا الوقت التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر، ولفظ التكبير: كان سعيد بن جبير والحسن يقولان: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثاً نسقاً ــ وهو قول أهل المدينة، وإليه ذهب الشافعي، وقال: ومازاد من ذكر الله فهو حسن، وعند أهل العراق يكبر اثنتين يروى ذلك عن ابن مسعود.

قوله تعالى: **﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه﴾** أراد أن من نفر من الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق **﴿فلا إثم عليه﴾** وذلك أن على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة سبع حصيات، ورخص في ترك البيتوتة لرعاء الإبل وأهل سقاية الحاج(٢)، ثم كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر فيدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك له واسع لقوله تعالى **﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه﴾** ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، قوله تعالى **﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾**

(١) رواه مسلم: في الصيام باب تحريم صوم أيام التشريق برقم (١١٤١) ٢/٨٠٠.
والمصنف في شرح السنة ٦/٣٥١.

(٢) عن ابن عباس قال: استأذن العباس رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له (متفق عليه).
وعن عاصم بن عدي أن رسول الله ﷺ (رخص لرعاء الإبل في البيتوتة عن منى يرمون يوم النحر ثم يرمون الغداة ومن بعد الغد ليومين ثم يرمون يوم النفر) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن ومالك والشافعي وابن حبان والحاكم وانظر: نيل الأوطار للشوكاني ٦/١٨٧ و ١٩٠.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

يعني لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث ﴿**فلا إثم عليه**﴾ في تأخره. وقيل: معناه ﴿**فمن تعجل**﴾ فقد ترخص ﴿**فلا إثم عليه**﴾ بالترخص ﴿**ومن تأخر فلا إثم عليه**﴾ بترك الترخص وقيل معناه رجع مغفوراً له، لا ذنب عليه تعجل أو تأخر، كما روينا من «حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[(١)] وهو قول علي وابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿**لمن اتقى**﴾ أي لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئاً نهاه الله عنه كما قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق» قال ابن مسعود: انما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه ﴿**لمن اتقى**﴾ الصيد لا يحل له أن يقتل صيداً حتى تخلو[(٢)] أيام التشريق، وقال أبو العالية ذهب إثمه إن اتقى فيما بقي من عمره [﴿**واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون**﴾ تجمعون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم][(٣)].

قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا**﴾ قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أُبي وسمي الأخنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ: وكان رجلاً حلو الكلام، حلو المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه ويظهر الإسلام، ويقول إني لأحبك، ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقاً، فكان رسول الله ﷺ يدني مجلسه فنزل قوله تعالى ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا**﴾[(٤)] أي تستحسنه ويعظم في قلبك، ويقال في الاستحسان أعجبني كذا وفي الكراهية والإنكار عجبت من كذا ﴿**ويشهد الله على ما في قلبه**﴾ يعني قول المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محب ﴿**وهو ألد الخصام**﴾ أي شديد الخصومة، يقال لددت يا هذا وأنت تلد لدّاً ولدادةً، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لده يلده لداً، يقال: رجل ألد وامرأة لداء وقوم لُدُّ، قال الله تعالى: «وتنذر به قوماً لداً» (٩٧ ــ مريم). قال الزجاج: اشتقاقه من لديدي العنق وهما صفحتاه، وتأويله: أنه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال في أبواب الخصومة غلب،

---

(١) سبق تخريجه ــ انظر: ص ٢٢٧
(٢) يعني: تنقضي.
(٣) ساقط من: ب.
(٤) انظر: الطبري: ٤/٢٢٩، أسباب النزول للواحدي ص (٩٦).

والخصام مصدر خاصمه خصاماً ومخاصمة قاله أبو عبيدة. وقال الزجاج: هو جمع خصم يقال: خصْم وخصام وخصوم مثل بحر وبحار وبحور قال الحسن: ألد الخصام أي كاذب القول، قال قتادة: شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألدُّ الخَصِم»[1] ﴿**وإذا تولى**﴾ أي أدبر وأعرض عنك ﴿**سعى في الأرض**﴾ أي عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى ﴿**ليفسد فيها**﴾ قال ابن جريج قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ﴿**ويهلك الحرث والنسل**﴾ وذلك أن الأخنس[2] كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم[3].

قال مقاتل: خرج إلى الطائف مقتضياً مالاً له على غريم فأحرق له كُدْساً وعقر له أتاناً، والنسل: نسل كل دابة والناس منهم، وقال الضحاك: ﴿**وإذا تولى**﴾ أي ملك الأمر وصار والياً ﴿**سعى في الأرض**﴾ قال مجاهد: في قوله عز وجل ﴿**وإذا تولى سعى في الأرض**﴾ قال إذا ولي فعمل بالعدوان والظلم أمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل ﴿**والله لا يحب الفساد**﴾ أي لا يرضى بالفساد، قال سعيد بن المسيب: قطع الدرهم من الفساد في الأرض.

قوله ﴿**وإذا قيل له اتق الله**﴾ أي خف الله ﴿**أخذته العزة بالإثم**﴾ أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم أي بالظلم، والعزة: التكبر والمنعة، وقيل معناه ﴿**أخذته العزة**﴾ للإثم الذي في قلبه، فأقام الباء مقام اللام.

قوله ﴿**فحسبه جهنم**﴾ اي كافيه ﴿**ولبئس المهاد**﴾ أي الفراش، قال عبد الله بن مسعود: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقال: للعبد اتق الله فيقول: عليك بنفسك.

وروي أنه قيل لعمر بن الخطاب: اتق الله، فوضع خده على الأرض تواضعاً لله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾ أي لطلب رضاء الله تعالى ﴿**والله رؤوف بالعباد**﴾ روي عن ابن عباس والضحَّاك: ان هذه الآية نزلت في سرية الرجيع وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة: إنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفراً من علماء أصحابك يعلموننا دينك، وكان ذلك مكراً منهم، فبعث رسول الله ﷺ خبيب بن عدي الأنصاري ومَرْثَد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بُكَيْر وعبد الله بن طارق بن شهاب البَلَوي وزيد بن الدَّثِنَّة وأمَّر عليهم عاصم ابن

(١) رواه البخاري: في التفسير باب الألد الخصم ١٣ /١٨٠.
ومسلم: في العلم باب الألد الخصم برقم (٢٦٦٨) ٤ /٢٠٥٤.
والمصنف في شرح السنة ١٠ /٩٧.

(٢) الأخنس بن شَرِيق ــ بشين مفتوحة وراء مكسورة وقاف في آخره ــ رجل من ثقيف.

(٣) انظر: تفسير الواحدي: ٣٠٢/١، أسباب النزول له أيضاً ص (٥٨).

ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري، قال أبو هريرة: بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا فمرت عجوز فأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد ﷺ، فركب سبعون رجلاً، منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رامٍ فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزلٍ نزلوه فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد(١) فأحاط بهم القوم فقتلوا مرثداً وخالداً وعبد الله بن طارق، ونثر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلاً من عظماء المشركين ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخر النهار، ثم أحاط به المشركون فقتلوه، فلما قتلوه أرادوا حزَّ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شُهَيْد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرتْ على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فأرسل الله رِجْلاً من الدَّبْر(٢)ــ وهي الزنابير ــ فحمت عاصماً فلم يقدروا عليه فسمي حميُّ الدَّبْر فقالوا دعوه حتى تمسي فتذهب عنه فنأخذه فجاءت فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطراً كالعَزالِي(٣) فبعث الله الوادي غديراً فاحتمل عاصماً به فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين إلى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهداً أن لايمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدَّبْر منعته يقول: عجباً لحفظ الله العبدَ المؤمنَ كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته.

وأسر المشركون خبيب بن عدي الأنصاري، وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما إلى مكة، فأما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بأبيهم، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بنات الحارث موسى ليستحدَّ بها فأعارته فدرج بُنيٌّ لها وهي غافلة فما راع المرأة إلا خبيب قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده، فصاحت المرأة فقال خبيب: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة بعد: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكه من ثمرة، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً، ثم إنهم خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل وأرادوا أن يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فكان خبيب هو أول من سنَّ لكل مسلم قُتل صَبْراً(٤) الصلاة، فركع ركعتين، ثم قال لولا أن يحسبوا أن ما بي جزع لزدت، اللهم أحصهم

(١) الفدفد: المكان الصلب الغليظ المرتفع وفي أ: قُدَيْر.

(٢) الكثير من الدَّبْر.

(٣) العَزالِي: جمع العزلاء وهو فم المزادة الأسفل، شبه اتساع المطر واندفاعه بالذي يخرج من فم المزادة.

(٤) كل ذي روح يوثق حتى يقتل فقد قتل صبراً.

عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول:

فَلَسْتُ أُبالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً		على أيِّ شقٍّ كان في اللهِ مَصْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ		يُبَارِكْ على أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فصلبوه حياً فقال اللهم: إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي، ثم قام أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله.

ويقال: كان رجل من المشركين يقال له سلامان، أبو ميسرة، معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب: اتق الله فما زاده ذلك إلا عُتُوّاً فطعنه فأنفذه وذلك قوله عز جل **﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾** يعني سلامان. وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قُدِّم لِيُقْتَل: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن بمكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً ﷺ الآن في مكانه الذي هو فيه يصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتله النسطاس. فلما بلغ النبي ﷺ هذا الخبر قال لأصحابه أيكم (ينزل)[1] خبيباً عن خشبته وله الجنة؟ فقال الزبير: أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود، فخرجا يمشيان بالليل
٣١/ب ويكمنان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلًا / وإذا حول الخشبة أربعون رجلًا من المشركين نائمون نشاوى فأنزلاه فإذا هو رطب ينثي لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً، ويده على جراحته وهي تبض دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك، فحمله الزبير على فرسه وسارا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيباً فأخبروا قريشاً فركب منهم سبعون، فلما لحقوهما قذف الزبير خبيباً فابتلعته الأرض فسمي بليع الأرض.

فقال الزبير: ما جرأكم علينا يا معشر قريش، ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان يدفعان عن شبليهما فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم، فانصرفوا إلى مكة، وقدما على رسول الله ﷺ وجبريل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن الأسود **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾** حين شريا أنفسهما لإنزال خبيب عن خشبته[2].

وقال أكثر المفسرين: نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين

---

(١) في أ غزل.
(٢) انظر فتح الباري: ٣٧٨/٧ ــ ٣٧٩ وعيون الأثر لابن سيد الناس: ٥٦/٢ ــ ٦٦.

فعذبوهم، فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لا يضركم أمِنْكُم كنتُ أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني؟ ففعلوا، وكان شرط عليهم راحلة ونفقة، فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج إلى المدينة فتلقاه أبو بكر وعمر في رجال، فقال له أبو بكر ربح بيعك يا أبا يحيى، فقال له صهيب: وبيعك فلا تتحسر، قال صهيب: ماذاك؟ فقال قد أنزل الله فيك، وقرأ عليه هذه الآية.

وقال سعيد بن المسيب وعطاء: أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني لمن أرماكم رجلاً والله لا أضع سهماً مما في كنانتي .إلا في قلب رجل منكم وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا: نعم. ففعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال الحسن: أتدرون فيمن نزلت هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا إله إلا الله فيأبى أن يقولها، فقال المسلم والله لأشرين نفسي لله. فتقدم فقاتل وحده حتى قتل.

وقيل نزلت الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ابن عباس: أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم، قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله فاقتتل الرجلان لذلك، وكان علي إذا قرأ هذه الآية يقول: اقتتلا ورب الكعبة، وسمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾ فقال عمر (إنا لله وإنا إليه راجعون) قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرني حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ قال «**أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر**»[٢].

---

(١) انظر: تفسير الواحدي ١/٣٠٤، ابن كثير: ١/٤٣٧، اسباب النزول للواحدي ص (٥٨) طبقات ابن سعد: ٣/٢٢٧ ــ ٢٢٨.

(٢) رواه أبو داود: في الملاحم باب الأمر والنهي عن أبي سعيد الخدري ٦/١٩١.
والترمذي: في الفتن باب أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ٦/٣٩٥ عن أبي سعيد الخدري وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، (ويشهد له حديث أبي أمامة).
والنسائي: في البيعة باب فضل من تكلم بالحق عند سلطان جائر ٧/١٦١.
وابن ماجه: في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢/١٣٢٩.
وأحمد: ٣/١٩ جزء من حديث عن أبي سعيد الخدري ــ ٤/٣٢٤ عن طارق بن شهاب ٥/٢٥١ ــ ٢٥٦ عن أبي أمامة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾ قرأ أهل الحجاز والكسائي السَّلم هاهنا بفتح السين وقرأ الباقون بكسرها، وفي سورة الأنفال «وإن جنحوا للسلم» بالكسر، وقرأ أبو بكر والباقون بالفتح، وفي سورة محمد ﷺ بالكسر حمزة وأبو بكر.

نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى ﴿**يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾[1] أي في الإسلام، قال مجاهد في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم ﴿**كافة**﴾ أي جميعاً، وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستسلام والانقياد، ولذلك قيل للصلح سلم، قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانيه أسهم فعدَّ الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له.

﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ أي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغيره ﴿**إنه لكم عدوّ مبين**﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود فتعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون[2] أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيه ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»[3].

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٩٧).

(٢) التهوك كالتهور، وهو الوقوع بالأمر بغير روية، والمتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير.

(٣) رواه أحمد ٣/٣٨٧ ــ عن جابر.
ورواه أبو يعلى والبزار.
قال الهيثمي في المجمع ١/١٧٤ وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.
والمصنف في شرح السنة ١/٢٧٠.

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

﴿فإن زللتم﴾ أي ضللتم، وقيل: مِلْتم، يقال زلت قدمه تزل زلا وزللاً إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزل زالُّون من الناس فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون له به الحجة عليهم ﴿من بعد ما جاءتكم البينات﴾ أي الدلالات الواضحات ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ في نقمته ﴿حكيم﴾ في أمره، فالعزيز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم: ذو الإصابة في الأمر.

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون﴾ أي هل ينظر التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان يقال: نظرته وانتظرته بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الله أو بذكر الوجه أو إلى، لم يكن إلا بمعنى الرؤية ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل﴾ جمع ظلة ﴿من الغمام﴾ وهو السحاب الأبيض الرقيق سمي غماماً لأنه يغم أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلا لبني اسرائيل في تيههم: قال مقاتل: كهيئة الضباب أبيض، قال الحسن: في سترة من الغمام فلا ينظر [إليه][1] أهل الأرض ﴿والملائكة﴾ قرأ أبو جعفر بالخفض عطفاً على الغمام، تقديره: مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي مع العسكر، وقرأ الباقون بالرفع على معنى: إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة.

قال الكلبي: هذا هو المكتوم الذي لا يفسر، وكان مكحول والزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد واسحاق يقولون فيها وفي أمثالها: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عيينه: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عنه، ليس لأحد أن ٣٣/أ
يفسره إلا/الله تعالى ورسوله.

قوله تعالى: ﴿وقضي الأمر﴾ أي وجب العذاب، وفرغ من الحساب، وذلك فصل (الله)[2] القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم.

قوله تعالى: ﴿سل بني إسرائيل﴾ أي سل يا محمد يهود المدينة ﴿كم آتيناهم﴾ أعطينا آباءهم وأسلافهم ﴿من آية بينة﴾ دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام، مثل العصا واليد البيضاء، وفلق

---

(١) في ب: إليهم.

(٢) زيادة من (ب).

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

البحر وغيرها. وقيل: معناها الدلالات التي آتاهم في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ.

﴿ومن يبدل﴾ يغير ﴿نعمة الله﴾ كتاب الله، وقيل: عهد الله وقيل: من ينكر الدلالة على نبوة محمد ﷺ ﴿من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب * زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ الأكثرون على أن المزين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق إليها بأكثر من قدرها فأعجبتهم ففتنوا بها، وقال الزجاج: زين لهم الشيطان، قيل نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل واصحابه كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد ﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ أي يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين.

قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيباً وبلالاً وخباباً وأمثالهم، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه، كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال(1) ﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ لفقرهم ﴿والذين اتقوا﴾ يعني هؤلاء الفقراء ﴿فوقهم يوم القيامة﴾ لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا اسحاق الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء وإذا أهل الجدّ(2) محبوسون إلا من كان منهم من أهل النار فقد أمر به إلى النار»(3).

(1) انظر: الوسيط: ٣٠٨/١، الدر المنثور: ٥٨١/١.
(2) الغنى.
(3) قطعة من حديث أخرجه البخاري عن أنس: في النكاح باب رقم (٨٧) ٢٩٨/٩، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٦/١٤.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحاق بن ابراهيم حدثني عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشراف الناس: هذا والله حريّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله إن هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»[١].

﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال ابن عباس: يعني كثيراً بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد: يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله تعالى، معناه: يقتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء ولا يعطي كل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج إليه ولا يعطي القليل من يحتاج إليه فلا يعترض عليه، ولا يحاسَب فيما يرزق ولا يقال لِمَ أعطيت هذا وحرمت هذا؟ ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذاك؟ وقيل معناه لا يخاف نفاذ خزائنه فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لان الحساب من المعطي إنما يكون لمن يخاف من نفاذ خزائنه.

قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده، كان أمة واحدة، قال: سمي الواحد بلفظ الجمع لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى حواء ونشر منهما الناس فانتشروا وكانوا مسلمين إلى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا ﴿فبعث الله النبيين﴾ قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم، فبعث الله نوحاً وغيره من النبيين[٢]. وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله اليهم نوحاً، فكان أول نبي بعث، ثم بعث بعده النبيين.

وقال الكلبي هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح.

وروي عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد ابراهيم عليه السلام أمة واحدة كفاراً كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين، وقيل: كان العرب على دين ابراهيم إلى أن غيره عمرو بن لحي. وروي عن

(١) رواه البخاري: في النكاح باب الأكفاء في الدين ١٣٢/٩.

(٢) يرد هذا قول قتادة وعكرمة وهو مروي عن ابن عباس موقوفاً وإسناده صحيح على شرط البخاري (انظر ابن كثير: ٤٤٣/١ تخريج الوادعي).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

أبي العالية عن أبي بن كعب قال: كان الناس حين عرضوا على آدم، وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية أمة واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم نظيره في سورة يونس «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين» (١٩ ــ يونس) وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبياً ﴿**مبشرين**﴾ بالثواب من آمَنَ وأطاع ﴿**ومنذرين**﴾ محذرين بالعقاب من كفر وعصى ﴿**وأنزل معهم الكتاب**﴾ أي الكتب، تقديره وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب ﴿**بالحق**﴾ بالعدل والصدق ﴿**ليحكم بين الناس**﴾ قرأ أبو جعفر ﴿**ليحكم**﴾ بضم الياء وفتح الكاف هاهنا وفي أول آل عمران وفي النور موضعين لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما (الحكم)(٢) به، وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف، أي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق» (٢٩ ــ الجاثية). وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه ﴿**فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه**﴾ أي في الكتاب ﴿**إلا الذين أوتوه**﴾ أي أعطوا الكتاب ﴿**من بعد ماجاءتهم البينات**﴾ يعني أحكام التوراة والإنجيل، قال الفراء: ولاختلافهم معنيان:

أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله تعالى: «ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض»
٣٢/ب (١٥٠ ــ النساء)/والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله تعالى: «يحرفون الكلم عن مواضعه» (٤٦ ــ النساء) وقيل الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه اختلف فيه أهل الكتاب ﴿**من بعد ما جاءتهم البينات**﴾ صفة محمد ﷺ في كتبهم ﴿**بغياً**﴾ ظلماً وحسداً ﴿**بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه**﴾ أي لما اختلفوا فيه ﴿**من الحق بإذنه**﴾ بعلمه وارادته فيهم. قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى المغرب ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت والنصارى الأحد فهدانا الله للجمعه واختلفوا في ابراهيم عليه السلام، فقالت اليهود كان يهودياً، وقالت النصارى كان نصرانياً فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيس فجعلته اليهود لِفِرْيَةٍ وجعلته النصارى إلهاً وهدانا الله للحق فيه ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾.

قوله تعالى: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**﴾ قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق

---

(١) في ب: يحكم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال الله تعالى: «وبلغت القلوب الحناجر» (١٠ ـــ الاحزاب) وقيل نزلت في حرب أحد.

وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة اشتد عليهم الضر، لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسرَّ قوم النفاق فأنزل الله تعالى تطييباً لقلوبهم ﴿**أم حسبتم**﴾ أي: أحسبتم، والميم صلة، قاله الفراء، وقال الزجاج: بل حسبتم، ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ﴿**ولما يأتكم**﴾ وما صلة ﴿**مثل الذين خلوا**﴾ شبه الذين مضوا ﴿**من قبلكم**﴾ من النبيين والمؤمنين ﴿**مستهم البأساء**﴾ الفقر والشدة والبلاء ﴿**والضراء**﴾ المرض والزمانة ﴿**وزلزلوا**﴾ أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا ﴿**حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله**﴾ مازال البلاء بهم حتى استبطؤوا النصر.

قال الله تعالى: ﴿**ألا إن نصر الله قريب**﴾ قرأ نافع حتى يقول الرسول بالرفع معناه حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه (لفظ)[1] المستقبل فلك فيه الوجهان الرفع والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام، لأن حتى تنصب الفعل المستقبل، والرفع لأن معناه الماضي، وحتى لا تعمل في الماضي.

قوله تعالى: ﴿**يسئلونك ماذا ينفقون**﴾ نزلت في عمرو بن الجموح، وكان شيخاً كبيراً ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق؟ فأنزل الله تعالى ﴿**يسألونك ماذا ينفقون**﴾ وفي قوله ﴿**ماذا**﴾ وجهان من الإعراب أحدهما أن يكون محله نصباً بقوله ﴿**ينفقون**﴾ تقديره أي شيء ينفقون والآخر أن يكون رفعاً بما، ومعناه ما الذي ينفقون ﴿**قل ما أنفقتم من خير**﴾ أي من مال ﴿**فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم**﴾ يجازيكم به قال أهل التفسير: كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة.

قوله تعالى: ﴿**كتب عليكم القتال**﴾ أي فرض عليكم الجهاد، واختلف العلماء في حكم هذه الآية

(١) زيادة من «ب».

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ
الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢١٧﴾

فقال عطاء: الجهاد تطوع، والمراد من الآية أصحاب رسول الله ﷺ دون غيرهم، وإليه ذهب الثوري واحتج من ذهب إلى هذا بقوله تعالى: «فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى» (٩٥ ـــ النساء) ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يكن يعده الحسنى، وجرى بعضهم على ظاهر الآية، وقال: الجهاد فرض على كافة المسلمين إلى قيام الساعة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي الخوارزمي أخبرنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أُبيِّ الفراتيّ أخبرنا أبو الهيثم بن كليب أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا سعيد بن عثمان السعيدي عن عمر بن محمد بن المنكدر عن سُمَيّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»(١).

وقال قوم، وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين مثل صلاة الجنازة ورد السلام، قال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا، فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة إن استعين به أعان وإن استنفر نفر وإن استغني عنه قعد.

قوله تعالى: ﴿**وهو كره لكم**﴾ أي شاق عليكم قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه، من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة، نسخها قوله تعالى: ﴿**سمعنا وأطعنا**﴾ يعني أنهم كرهوه ثم أحبوه فقالوا (سمعنا وأطعنا). قال الله تعالى: ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمه وإما الشهادة والجنة ﴿**وعسى أن تحبوا شيئاً**﴾ يعني القعود عن الغزو ﴿**وهو شر لكم**﴾ لما فيه من فوات الغنيمة والأجر ﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾.

قوله تعالى: ﴿**يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه**﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم: في الإمارة باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو برقم (١٩١٠) ١٥١٧/٣.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾

بعث عبد الله بن جحش، وهو ابن عمة النبي ﷺ أخت أبيه في جمادى الآخرة، قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين: سعد ابن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتاباً وقال له: «سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهنَّ أحداً من أصحابك على السير معك» فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فسر على بركة الله بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تأتينا منها بخبر، فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه ذلك، وقال إنه نهاني أن أُستكره أحداً منكم، فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع، ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفُرُع بموضع من الحجاز يقال له بُحْران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف.

فبينما هم كذلك إذ مرت عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة / من تجارة الطائف، فيهم عمرو بن ٣:
الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم، فقال عبد الله بن جحش: إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فقالوا: قوم عُمَّار لا بأس عليكم، فأمنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم، فأجمعوا أمرهم في مواقعة القوم، فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين [وهو أول قتيل في الهجرة وأدى النبي ﷺ دية ابن الحضرمي إلى ورثته من قريش. قال مجاهد وغيره لأنه كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش عهد، وادع أهل مكة سنين أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه][(١)].

واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم، واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب وعيَّر بذلك أهل مكة من كان فيها من المسلمين وقالوا: يا معشر الصباة

(١) ساقط من (ب).

استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه!

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، ووقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك، فعظم ذلك على أصحاب السرية، وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم، وقالوا: يا رسول الله إنّا قد قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى؟ وأكثَرَ الناسُ في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ العير فعزل منها الخمس، فكان أول خمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية، وكان أول غنيمة في الإسلام وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم فقال «بل نقفهم حتى يقدم سعد وعقبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما» فلما قدما فاداهما، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة، فقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً فقتله الله، فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله ﷺ خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية، فهذا سبب نزول هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام**﴾ يعنى رجباً سمي بذلك لتحريم القتال فيه.

﴿**قتال فيه**﴾ أي عن قتال فيه ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**قتال فيه كبير**﴾ عظيم، تمَّ الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال ﴿**وصد عن سبيل الله**﴾ أي فصدُّكم المسلمين عن الإسلام ﴿**وكفر به**﴾ أي كفركم بالله ﴿**والمسجد الحرام**﴾ أي المسجد الحرام وقيل وصدكم عن المسجد الحرام ﴿**وإخراج أهله**﴾ أي اخراج أهل المسجد ﴿**منه أكبر**﴾ وأعظم وزراً ﴿**عند الله والفتنة**﴾ أي الشرك الذي أنتم عليه ﴿**أكبر من القتل**﴾ أي من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمني مكة إذا عيَّركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر واخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام، ثم قال: ﴿**ولا يزالون**﴾ يعني مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له مثل عسى ﴿**يقاتلونكم**﴾ يا معشر المؤمنين ﴿**حتى يردوكم**﴾ يصرفوكم ﴿**عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت**﴾ جزم بالنسق ﴿**وهو كافر فأولئك حبطت**﴾ بطلت ﴿**أعمالهم**﴾ حسناتهم ﴿**في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ فقال أصحاب السرية يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا، وهل نطمع ان يكون سفرنا هذا غزواً؟ فأنزل الله تعالى ﴿**إن الذين آمنوا والذين هاجروا**﴾ فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم ﴿**وجاهدوا**﴾ المشركين ﴿**في سبيل الله**﴾ طاعة

(١) أورده ابن هشام في السيرة عن ابن اسحاق ٢٥١/٢ وما بعدها ورواه البيهقي في سننه الكبرى: ١٢/٩ بسند صحيح عن الزهري عن عروة مرسلاً وقد وصله هو وابن أبي حاتم من طريق سليمان التيمي عن الحضرمي عن أبي السوار عن جندب أبي عبدالله.. وسنده صحيح إن كان الحضرمي هذا هو ابن لاحق، (انظر: تخريج الألباني لأحاديث فقه السيرة للغزالي ص٢٣٠،٢٣١) أسباب النزول ص (٩٩ــ١٠٢).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

لله، فجعلها جهاداً، ﴿**أولئك يرجون رحمة الله**﴾ أخبر أنهم على رجاء الرحمة ﴿**والله غفور رحيم**﴾ .

قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر**﴾ الآية، نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال؟ فأنزل الله هذه الآية(*).

وجملة القول في تحريم الخمر على ما قال المفسرون أن الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة وهي: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً» (٦٧ ـــ النحل) فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ، ثم نزلت في مسألة عمر ومعاذ بن جبل ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير**﴾ فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله ﴿**إثم كبير**﴾ وشربها قوم لقوله ﴿**ومنافع للناس**﴾ إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا، وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرأ «قل ياأيها الكافرون أعبد ما تعبدون» هكذا إلى آخر السورة بحذف «لا» فأنزل الله تعالى «ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» (٤٣ ـــ النساء) فحرم السكر في أوقات الصلاة، فلما نزلت هذه الآية تركها قوم، وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة، حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر، ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر، واتخذ عتبان بن مالك صنيعاً ودعا رجالاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير، فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند ذلك (وانتسبوا)[1] وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء للأنصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجه شجة موضحة[2] فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاري فقال عمر: اللهم بيِّن لنا

(*) انظر: الوسيط للواحدي: ٣١٦/١، أسباب النزول ص (١٠٢ـــ١٠٣) المستدرك للحاكم: ٢٧٨/٢.

(١) من (ب). (٢) الشَّجَّة بالرأس تكشف العظم.

رأيك في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة: إلى قوله (فهل أنتم منتهون).

وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب، قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرَّم عليهم شيئاً أشد من الخمر(*).

٣٤/أ [عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت الآية في / سورة المائدة حرمت الخمر فخرجنا بالحباب[١] إلى الطريق فصببنا ما فيها فمنا كسر صبَّه ومنا من غسله بالماء والطين، ولقد غودرت[٢] أزقة المدينة بعد ذلك حيناً فلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها][٣].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف اخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا يعقوب بن ابراهيم اخبرنا ابن علية أخبرنا عبد العزيز بن صهيب قال: قال لي أنس بن مالك ما كان لنا خمر غير فضيخكم[٤] واني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: حرمت الخمر. فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس قال فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل[٥].

عن أنس: سميت خمراً لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير، وعن ابن المسيب: لأنها تركت حتى صفا صفوها، ورسب كدرها، واختلف الفقهاء في ماهية الخمر، فقال قوم: هي عصير العنب أو الرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار فيه، واتفقت الأئمة على أن هذا الخمر نجس يحد شاربه ويفسق ويكفر مستحلّها، وذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة وجماعة إلى أن التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرهما كالمتخذ من الحنطة والشعير والذرة والعسل والفانيد[٦] إلا أن يسكر منه فيحرم، وقالوا إذا طبخ عصير العنب والرطب حتى ذهب نصفه فهو حلال ولكنه يكره، وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا هو حلال مباح شربه إلا أن السكر منه حرام، ويحتجون بما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله أن أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه.

ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث.

وقال قوم: إذا طبخ العصير أدنى طبخ صار حلالاً، وهو قول اسماعيل بن عُليّه.

وذهب أكثر أهل العلم الى أن كل شراب أسكر كثيره فهو خمر فقليله حرام يحد شاربه.

(*) انظر: الدر المنثور: ١/٦٠٥،٦٠٦.

(١) الخابية فارسية معرَّبة.

(٢) تركت.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) شراب يتخذ من البُسْر.

(٥) رواه مسلم: في الأشربة ـــ باب: تحريم الخمر.... برقم (١٩٨٠) ٣/١٥٧١.

(٦) نوع من الحلوى.

واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد اخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت سئل رسول الله ﷺ عن البِتْع[(١)] فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام»[(٢)].

أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي ابن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن داود ابن بكر بن أبي الفرات عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[(٣)].

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغفار بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي اخبرنا حماد بن زيد حدثنا أيوب بن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها ولم يتب لم يشربها في الآخرة»[(٤)].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسماعيل أنا أحمد بن أبي رجاء أنا يحيى، عن أبي حيان التيمي عن الشعبي عن ابن عمر قال: خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال انه قد نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة أشياء: من العنب والتمر، والحنطة والشعير والعسل، والخمر ماخامر العقل»[(٥)].

وروى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العنب خمراً، وان من التمر

---

(١) نبيذ العسل.

(٢) رواه البخاري: في الأشربة باب الخمر من العسل ٤١/١٠.
ومسلم: في الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر (٢٠٠١) ١٥٨٥/٣.
والمصنف في شرح السنة ٣٥٠/١١.

(٣) رواه أبو داود: في الأشربة باب النهي عن المسكر ٢٦٦/٥.
والترمذي: في الأشربة ـ باب: ماأسكر كثيره فقليله حرام ٦٠٦/٥ وقال: حديث حسن غريب.
وابن حبان: في الأشربة ـ باب: في قليل ما أسكر كثيره رقم (١٣٨٥)ص ٣٣٦ موارد الظمآن.
وابن ماجه: في الأشربة ـ باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام رقم (٣٣٩٣ ـ ٣٣٩٤) ١١٢٥/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٣٥١/١١.
وانظر التلخيص الحبير: ٧٣/٤.

(٤) رواه البخاري: في الأشربة ـ باب: قوله تعالى: إنما الخمر والميسر.... ٣٠/١٠.
ومسلم: في الأشربة ـ باب: بيان أن كل مسكر خمر برقم (٢٠٠٣) ١٥٨٧/٣.
والمصنف في شرح السنة: ٣٥٥/١١ وشيخ شيخه فيه: (عبدالغافر بن محمد).

(٥) رواه البخاري: في الأشربة ـ باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل... ٤٥/١٠.
والمصنف في شرح السنة: ٣٥١/١١.

خمراً، وإن من العسل خمراً، وإن من البر خمراً وإن من الشعير خمراً»(١) فثبت أن الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال اني وجدت من فلان ريح شراب، وزعم أنه شرب الطلاء، وأنا سائل عما شرب فإن كان يسكر جلدته، فجلده عمر الحد تامّاً(٢)، وما روى عن عُمَرَ وأبي عبيده ومعاذ في الطلاء فهو فيما طبخ حتى خرج عن أن يكون مسكراً. وسئل ابن عباس عن الباذق(٣) فقال: سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام.

قوله تعالى: ﴿والميسر﴾ يعني القمار، قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله تعالى هذه الآية، والميسر: مفعل من قولهم يُسِّرَ لي الشيء إذا وجب يَيْسِر يسراً ومَيْسِراً، ثم قيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر، وكان أصل الميسر في الجزور وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الأزلام والأقلام، لسبعةٍ منها أنصباء وهي: الفذُّ وله نصيب واحد، والتوأم وله نصيبان، والرقيب وله ثلاثة أسهم، والحلس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلّى وله سبعة، وثلاثة منها: لا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد، ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الرِّبابة ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض، ثم يجيلها ويخرج قدحاً منها باسم رجل منهم، فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج، فإن خرج له واحد من الثلاثة التي لا أنصباء لها كان لا يأخذ شيئاً ويغرم ثمن الجزور كله.

وقال بعضهم كان لا يأخذ شيئاً ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغواً ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك ويسمونه البُرَمَ وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب. والمراد من الآية أنواع القمار كلها، قال طاووس وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه

(١) رواه أبو داود: في الأشربة ــ باب: الخمر ممَّ هي؟ ٥/٢٦٢.
والترمذي: في الأشربة ــ باب: ما جاء في الحبوب التي تتخذ منها الخمر وفي سنده إبراهيم بن المهاجر البجلي الكوفي وهو صدوق فيه لين. وقال الترمذي: هذا حديث غريب وللحديث شواهد وذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر كما تقدم.
وأخرجه أحمد: ٤/٢٦٧ عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه البخاري معلقاً في الأشربة باب الباذق ومن نهى عن كل مسكر في الأشربة، ١٠/٦٢.
ومالك في الموطأ باب الحد في من الخمر موصولاً عن الزهري عن السائب بن يزيد وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن عينيه عن الزهري سمع السائب بن يزيد يقول: قام عمر على المنبر فقال: ذكر لي أن عبيد الله بن عمر وأصحابه شربوا شراباً ــ فساقه.
والمصنف في شرح السنة ١١/٣٥٣، وسنده صحيح.

(٣) ما طبخ من عصير العنب أدنى طبخ فصار شديداً وهو مسكر.

قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، وروي عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج أنهما من الميسر.

قوله تعالى: ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ وزر عظيم من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش، قرأ حمزة والكسائي إثم كثير بالثاء المثلثة وقرأ الباقون بالباء فالإثم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة. «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» (٩١ ـ المائدة) ﴿ومنافع للناس﴾ فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها، ومنفعة الميسر إصابة المال من غير كد ولا تعب وارتفاق الفقراء به. والإثم فيه أنه إذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه فقصده بالسوء.

٣٥/أ ﴿وإثمهما اكبر من نفعهما﴾ / قال الضحاك وغيره: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، وقيل: إثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل من العداوة والبغضاء.

قوله تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق؟ فقال ﴿قل العفو﴾ قرأ أبو عمرو العفو بالرفع، معناه: الذي ينفقون هو العفو. وقرأ الآخرون بالنصب، على معنى قل: أنفقوا العفو.

واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فضل عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية، ثم نسخ بآية الزكاة. وقال مجاهد: معناه: التصدق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كَلّاً على الناس.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا ابراهيم بن عبد الله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»(١) وقال عمرو بن دينار: الوسط من غير إسراف ولا إقتار قال الله تعالى «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» (٦٧ ـ الفرقان) وقال طاووس: ما يسر، والعفو: اليسر من كل شيء (ومنه قوله تعالى) «خذ العفو» (١٩٩ ـ الأعراف) أي الميسور من أخلاق الناس.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا

(١) رواه البخاري: في الزكاة ـ باب: لا صدقة إلى عن ظهر غني ٣/٢٩٤ وفي النفقات.
ومسلم: في الزكاة ـ باب: أن اليد العليا خير من اليد السفلى برقم (١٠٣٤) ٢/٧١٧.
والمصنف في شرح السنة: ٦/١٨٧.

الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عندي دينار قال ﷺ: «أنفقه على نفسك» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على ولدك» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على أهلك» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على خادمك» قال: عندي آخر قال: «أنت أعلم»(١).

قوله تعالى: ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات**﴾ قال الزجاج: إنما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قال: كذلك أيها القبيل، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ لأن خطابه يشتمل على خطاب الأمة كقوله تعالى: «ياأيها النبي إذا طلقتم النساء» (١ ــ الطلاق).

قوله تعالى: ﴿**لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة**﴾ قيل: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى، وقال أكثر المفسرين: معناها هكذا: يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة، ﴿**لعلكم تتفكرون**﴾ في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها.

قوله تعالى: ﴿**ويسألونك عن اليتامى**﴾ قال ابن عباس وقتادة: لما نزل قوله تعالى: «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن» (١٥٢ ــ الأنعام) وقوله تعالى «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» الآية (١٠ ــ النساء) تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجاً شديداً حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم حتى كان يُصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد، فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿**قل إصلاح لهم خير**﴾ أي (الإصلاح لأموالهم)(٢) من غير أجرة ولا أخذ عوض خير لكم وأعظم أجراً، لما لكم في ذلك من الثواب، وخير لهم، لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم، قال مجاهد: يوسع عليهم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم ﴿**وإن تخالطوهم**﴾ هذه إباحة المخالطة أي وإن تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأمورهم وتكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم ﴿**فإخوانكم**﴾ أي فهم إخوانكم، والإخوان يعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا ﴿**والله يعلم المفسد**﴾ لأموالهم ﴿**من المصلح**﴾ لها يعني الذي يقصد بالمخالطة

---

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب صلة الرحم: ٢/٢٦٠، وقال المنذري: في إسناده محمد بن عجلان.
والنسائي في الزكاة، باب اليد العليا: ٥/٦٢.
والإمام أحمد في المسند: ٢/٢٥١، ٤٧١ عن أبي هريرة وصححه الحاكم على شرط مسلم: ١/٤١٥.
وابن حبان في موارد الظمآن برقم (٨٢٨)، والشافعي ٢/٤١٨، ٤١٩.
والبغوي في شرح السنة: ٦/١٩٣، وانظر تعليق المحقق.
ومحمد بن عجلان، صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، من الخامسة (التقريب ٢/١٩٠ وميزان الاعتدال ٣/٦٤٤).
(٢) زيادة من (ب).

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

الخيانة وإفساد أموال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم، وقال ابن عباس: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً لكم، وأصل العنت الشدة والمشقة. ومعناه: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم ﴿إن الله عزيز﴾ والعزيز الذي يأمر بعزة ـــ سهل على العباد أو شق عليهم ﴿حكيم﴾ فيما صنع من تدبيره وترك الإعنات.

قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ﴾ سبب نزول هذه الآية أن أبا مرثد الغنوي بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق، وكانت خليلته في الجاهلية، فأتته وقالت: يا أبا مرثد ألا تخلو؟ فقال لها ويحك يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، قالت: فهل لك أن تتزوج بي؟ قال نعم، ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأستأمره، فقالت أبي تتبرم؟ ثم استغاثت عليه فضربوه ضرباً شديداً، ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله ﷺ أعلمه بالذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال: يارسول الله أيحل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾(*).

وقيل: الآية منسوخة في حق الكتابيات بقوله تعالى «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» (٥ ـــ المائدة) فإن قيل: كيف أطلقتم اسم الشرك على من لا ينكر إلا نبوة محمد ﷺ؟ قال أبو الحسن ابن فارس لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره، وقال قتادة وسعيد بن جبير: أراد بالمشركات الوثنيات، فإن عثمان رضي الله عنه تزوج نائله بنت فرافصة، وكانت نصرانية فأسلمت تحته، وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية [فكتب إليه عمر رضي الله عنه خلِّ سبيلها. فكتب إليه أتزعم أنها حرام؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن](١).

قوله تعالى: ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ بجمالها ومالها، نزلت في خنساء وليدة سوداء، كانت لحذيفة بن اليمان، قال حذيفة: ياخنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى، على سوادك ودمامتك

(*) انظر: الطبري: ٣٦٨/٤، الوسيط: ٣٢٠/١ــ٣٢١.
(١) ساقط من (ب).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

فأعتقها وتزوجها، وقال السدي نزلت في عبدالله بن رواحة كانت له أمة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم فزع فأتى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال له ﷺ وما هي ياعبدالله؟ قال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال: «هذه مؤمنة» قال عبدالله: فوالذي بعثك بالحق نبياً لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل ذلك فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: أتنكح أمة؟ وعرضوا عليه حرة مشركة، فانزل الله تعالى هذه الآية[1]

قوله تعالى: ﴿**ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا**﴾ هذا اجماع: لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك

٣٥/ب ﴿**ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم، أولئك**﴾ يعني / المشركين ﴿**يدعون إلى النار**﴾ أي إلى الأعمال الموجبة للنار ﴿**والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه**﴾ أي بقضائه وإرادته ﴿**ويبين آياته للناس**﴾ أي أوامره ونواهيه ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ يتعظون.

قوله تعالى: ﴿**ويسألونك عن المحيض**﴾ أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد بن سلمة أنا ثابت البناني عن انس بن مالك أن اليهود كانت إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى ﴿**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض**﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح» فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر إلى النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا ننكحهن في المحيض؟ فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فبعث في آثارهما فسقاهما فظننا أنه لم يجد عليهما[2].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري عن السدي مرسلاً ٤ /٣٦٨ بتحقيق أحمد شاكر.

(٢) رواه مسلم: في الحيض ــ باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها... برقم (٣٠٢) ٢٤٦/١. والمصنف في شرح السنة ١٢٥/٢.

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ أي عن الحيض وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً كالسير والمسير، وأصل الحيض الانفجار والسيلان وقوله ﴿قل هو أذى﴾ أي قذر، والأذى كل ما يكره من كل شيء ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ أراد بالاعتزال ترك الوطء ﴿ولا تقربوهن﴾ أي لا تجامعوهنَّ، أما الملامسة والمضاجعة معها فجائزة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا قبيصة أنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت اغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني أن أتزر فيباشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه إليّ وهو معتكف فأغسله وأنا حائض»(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سعد بن حفص أنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم سلمة قالت: «حضت وأنا مع رسول الله ﷺ في الخميلة **فَانْسَلَلْتُ** فخرجت منها فأخذت ثياب حيضي فلبستها فقال لي رسول الله ﷺ: أنفست؟ قلت: نعم، فدعاني فأدخلني معه في الخميلة»(٢).

أخبرنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنيفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم(٣) أنا أبو **الموجّه** محمد بن عمرو أنا صدقة أنا وكيع أنا مسعر وسفيان عن المقدام(٤) بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي ﷺ **فيضع فاه على موضع فيّ وأتَعَرَّقُ العَرْقَ فيتناوله فيضع فاه على موضع فيّ**»(٥).

فوطء الحائض حرام، ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعزره الإمام، إن علم منه ذلك، واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه، فذهب **أكثرهم**(٦) إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب إليه.

وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه منهم: قتادة والأوزاعي وأحمد واسحاق، لما أخبرنا عبد الواحد بن

---

(١) رواه البخاري في الحيض باب مباشرة الحائض ١ /٤٠٣.
والمصنف في شرح السنة: ٢ /١٣١.
(٢) رواه البخاري في الحيض ــ باب النوم مع الحائض وهي في ثيابها ٤٢٢/١.
ومسلم: في الحيض ــ باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد برقم (٢٩٦) ٢٤٣/١.
والمصنف في شرح السنة: ١٢٩/٢.
(٣) في شرح السنة: محمد بن حليم ــ باللام.
(٤) في شرح السنة: المقداد بن شريح وهو خطأ.
(٥) رواه مسلم: في الحيض ــ باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها برقم (٣٠٠) ٢٤٥/١ ــ ٢٤٦.
والمصنف في شرح السنة: ١٣٤/٢.
(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣ /٨٧.

أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن عبد الكريم بن أبي المخارق عن مقسم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قال: «إن كان الدم عبيطاً فليتصدق بدينار، وإن كان صفرة فبنصف دينار»(١).

ويروى هذا موقوفاً عن ابن عباس، ويمنع الحيض جواز الصلاة ووجوبها، ويمنع جواز الصوم، ولا يمنع وجوبه، حتى إذا طهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلاة، وكذلك النفساء.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا علي بن حجر أنا علي بن مسهر عن عبيده بن مُعَتّب الضبي عن ابراهيم النخعي عن الأسود عن عائشة قالت: «كنا نحيض عند رسول الله ﷺ ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة»(٢).

ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد، ولا مس المصحف، ولا قراءة القرآن، ولا يجوز للزوج غشيانها.

أخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلوي أنا أبو داود أنا مسدد أنا عبد الواحد بن زياد أنا أفلت بن خليفة قال: حدثني جسرة بنت دجاجة قالت: سمعت عائشة تقول جاء رسول الله ﷺ ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال: «وجِّهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»(٣).

قوله تعالى: ﴿حتى يطهرن﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء يعني: حتى يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء، فخفف، ومعناه حتى يطهرن من الحيض وينقطع

---

(١) رواه الدارمي: في الوضوع ــ باب: من قال عليه الكفارة: ٢٥٥/١ وانظر تحفة الأحوذي: ٤٢١/١ ــ ٤٢٢.
والمصنف في شرح السنة: ١٢٧/٢ مع التعليق.
وإسناده ضعيف لضعف عبد الكريم بن أبي المخارق (التقريب ــ ميزان الاعتدال).
ذكره النسائي في الضعفاء والمتروكين.

(٢) رواه البخاري: في الحيض ــ باب: لا تقضي الحائض الصلاة ٤٢١/١ وليس فيها تعرض لقضاء الصوم.
ومسلم: في الحيض ــ باب: وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة برقم (٣٣٥) ٢٦٥/١.

(٣) رواه أبو داود: كتاب الطهارة ــ باب: في الجنب يدخل المسجد: ١٥٧/١ قال المنذري: وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير وفيه زيادة، وذكر بعده حديث عائشة.... سدوا هذه الأبواب إلا باب أبي بكر ثم قال: هذا أصح، وقال الخطابي: وضعفوا هذا الحديث وقالوا: أفلت: راويه مجهول، لا يصح الاحتجاج بحديثه (انظر مختصر المنذري: ١٥٨/١).
والبيهقي: ٤٤٢/٢ ــ ٤٤٣.
وقد ضعفه الألباني وقال: وفيه جَسرة بنت دجاجة، قال البخاري: وعند جسرة عجائب قال البيهقي وهذا إن صح فمحمول في الجنب على المكث فيه دون العبور بدليل الكتاب، (إرواء الغليل: ٢١٠/١ ــ ٢١٢).

دمهن ﴿فإذا تطهرن﴾ يعني اغتسلن ﴿فأتوهن﴾ أي فجامعوهنَّ ﴿من حيث أمركم الله﴾ أي من حيث أمركم أن تعتزلوهن منه، وهو الفرج، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة، وقال ابن عباس: طؤوهن في الفرج ولا تعدوه إلى غيره أي اتقوا الأدبار، وقيل (من) بمعنى (في) أي في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج، كقوله تعالى: «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة» (٩ ــ الجمعة) أي في يوم الجمعة وقيل ﴿فأتوهن﴾ من الوجه الذي أمركم الله أن تأتوهن وهو الطهر، وقال ابن الحنفية: من قبل الحلال دون الفجور، وقيل: لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات: وأتوهنَّ وغشيانهن لكم حلال، واعلم أنه لا يرتفع تحريم شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء إلا تحريم الصوم، فإن الحائض إذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فوقع غسلها بالنهار صح صومها، والطلاق في حال الحيض يكون بدعياً، وإذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعياً، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه إذا انقطع دمها لأكثر الحيض وهو عدة عشرة أيام يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل، وقال مجاهدوطاووس: إذا غسلت فرجها جاز للزوج غشيانها قبل الغسل.

وأكثر أهل العلم على التحريم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء، لأن الله تعالى علق جواز وطئها بشرطين:/بانقطاع الدم والغسل، فقال ﴿حتى يطهرن﴾ يعني من الحيض ﴿فإذا تطهرن﴾ يعني اغتسلن ٣٦/أ ﴿فأتوهن﴾ ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد من ذلك: الغسل كقوله تعالى «وإن كنتم جنباً فاطهروا» (٦ ــ المائدة) أي فاغتسلوا فدل على أن قبل الغسل لا يحل الوطء.

قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي: يحب التوابين من الذنوب، ويحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات، وقال مقاتل بن حيان: يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك، وقال سعيد بن جبير: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب، وقال مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها، والتواب: الذي كلما أذنب تاب، نظيره قوله تعالى: «فإنه كان للأوابين غفوراً» (٢٥ ــ الاسراء).

قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني أخبرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادي أنا يونس أنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله هلكت، قال وما الذي أهلكك؟ قال: حولت رحلي البارحة، فلم يرد عليه شيئاً، فأوحى الله إليه ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ يقول أدبر وأقبل واتق الدبر والحيضة[(١)].

(١) أخرجه الترمذي: في التفسير، وقال: هذا حديث حسن غريب ٨/٣٢٤ والإمام أحمد عن ابن عباس ١/٢٩٧ وعزاه المباركفوري لأبي داود وابن ماجة، انظر تحفة الأحوذي ٨/٣٢٤ وابن كثير ١/٤٦٣. وعزاه السيوطي أيضاً لعبد بن حميد والنسائي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والبيهقي والضياء. انظر: الدر المنثور: ١/٦٢٩.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا ابن عيينة عن ابن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها: إن الولد يكون أحول، فنزلت ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنىَّ شئتم**﴾[(١)].

وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرت عليه وقالت إنا كنا نؤتى على حرف فإن شئت فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، حتى سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿**نساؤكم حرث لكم**﴾ الآية يعني موضع الولد ﴿**فأتوا حرثكم أنىَّ شئتم**﴾ مقبلات ومدبرات ومستلقيات وأنّى حرف استفهام يكون سؤالاً عن الحال والمحل، معناه: كيف شئتم وحيث شئتم، بعد أن يكون في صمام واحد، وقال عكرمة ﴿**أنى شئتم**﴾ إنما هو الفرج، ومثله عن الحسن، وقيل ﴿**حرث لكم**﴾ أي مزرع لكم ومنبت للولد، بمنزلة الأرض التي تزرع، وفيه دليل على تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القُبُل لا الدبر.

وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل، يعني إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال: حرثك إن شئت فأعطش، وإن شئت فأروِ، وروى عنه أنه قال: تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية، وبه قال أحمد، وكره جماعة العزل وقالوا: هو الوأد الخفي، وروى عن مالك عن نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية ﴿**نساؤكم حرث لكم**﴾ فقال أتدري فيم نزلت هذه الآية؟ قلت لا قال: نزلت في رجل اتى امرأته في دبرها، فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية[(٢)].

ويحكى عن مالك إباحة ذلك، وانكر ذلك أصحابه، وروي عن عبد الله بن الحسن أنه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا أبا عمر ما حديث يُحَدِّث نافع عن عبد الله أنه لم يكن يرى بأساً بإتيان النساء في أدبارهن فقال: كذَبَ العبد وأخطأ، إنما قال عبد الله: يؤتون في فروجهن من أدبارهن، والدليل على تحريم الأدبار ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي بن شافع أخبرنى عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح عن خزيمة بن ثابت أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن اتيان النساء في

---

(١) رواه البخاري: في التفسير: سورة البقرة ــ باب: نساؤكم حرث لكم ١٨٩/٨.
ومسلم: في النكاح ــ باب: جواز مجامعة امرأته في قبلها من قدامها...... برقم (١٤٣٥) ١٠٥٨/٢.
والمصنف في شرح السنة: ١٠٥/٦.

(٢) عزاه السيوطي للدار قطني في غرائب مالك. انظر: الدر المنثور: ٦٣٦/١.

أدبارهن فقال النبي ﷺ «في أي الخرمتين أو في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين أمن دبرها في قبلها فنعم أو من دبرها في دبرها فلا، فإن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن»(١).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا عبد الله بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دبرها»(٢).

قوله تعالى: **﴿وقدموا لأنفسكم﴾** قال عطاء: التسمية عند الجماع قال مجاهد **﴿وقدموا لأنفسكم﴾** يعني إذا أتى أهله فَلْيَدْعُ.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسماعيل أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً»(٣). وقيل قدموا لأنفسكم يعني: طلب الولد.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٤)، وقيل: هو التزوج بالعفائف ليكون الولد صالحاً.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن عبيد الله حدثني سعيد ابن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع

(١) مسند الشافعي: ٣٦٠/٢.
وابن حبان: (١٢٩٩) وصححه.
وأحمد: ٢١٣/٥ عن خزيمة بلفظ «فإن الله لا يستحي من الحق..».
الطحاوي: ٢٥/٢ وسنده صحيح (انظر الفتح: ١٤٣/٨).
(٢) رواه أبو داود: في النكاح ــ باب جامع في النكاح: ٧٧/٣.
وابن ماجه: في النكاح ــ باب: النهي عن اتيان النساء في أدبارهن برقم (١٩٢٣) ٦١٩/٢.
بلفظ: لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها، وقال في الزوائد: إسناده صحيح.
والمصنف في شرح السنة: ١٠٦/٩.
(٣) رواه البخاري: في النكاح ــ باب: ما يقول الرجل إذا أتى أهله: ٢٢٨/٩.
ومسلم: في النكاح ــ باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع برقم (١٤٣٤) ١٠٥٨/٢.
(٤) رواه مسلم: في الوصية ــ باب: ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته برقم (١٦٣١) ١٢٥٥/٣.
والمصنف في شرح السنة: ٣٠٠/١.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١) وقيل معنى الآية تقديم الأفْرَاط.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن
٣٦/ب مالك عن ابن شهاب / عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»(٢) وقال الكلبي والسدي: وقدموا لأنفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ صائرون إليه فيجزيكم بأعمالكم ﴿وبشر المؤمنين﴾ .

قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ نزلت في عبدالله بن رواحة، كان بينه وبين ختنه على أخته بشير بن النعمان الأنصاري شيء، فحلف عبدالله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه، وإذا قيل له فيه قال: قد حلفت بالله أن لا أفعل، فلا يحل لي إلا أن تبر يميني، فأنزل الله هذه الآية(٣).

وقال ابن جريج: نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك(٤)، والعرضة: أصلها الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة، لقُوَّتِها عليه، ثم قيل لكل ما يصلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا للمرأة هي عرضة النكاح إذا صلحت له والعرضة كل ما يعترض فيمنع عن الشيء ومعنى الآية ﴿لا تجعلوا﴾ الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم إلى صلة رحم أو بر فيقول حَلَفت بالله أن لا أفعله، فيعتل بيمينه في ترك البر ﴿أن تبروا﴾ معناه أن لا تبروا كقوله تعالى «يبين الله لكم أن تضلوا» (١٧٦ ــ النساء) أي لئلا تضلوا ﴿وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾.

---

(١) رواه البخاري: في النكاح ــ باب الأكفاء في الدين: ١٣١/٩.
ومسلم: في النكاح ــ باب: استحباب نكاح ذات الدين برقم (١٤٦٦) ١٠٨٦/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٨/٩.

(٢) رواه البخاري: في الأيمان والنذور ــ باب: قول الله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم: ٥٤١/١١.
ومسلم: في البر والصلة والآداب ــ باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه برقم (٢٦٣٢) ٢٠٢٨/٤.
والمصنف في شرح السنة: ٤٥٠/٥.

(٣) انظر: أسباب النزول ص (١١٠)، الوسيط: ٣٢٤/١.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٤.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «من حلف بيمين فرأى غيرها خيراً منها فَلْيُكَفِّرْ عن يمينه، وليفعلِ الذي هو خير»[1].

قوله تعالى: ﴿**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم**﴾ اللغو كل مطَّرح من الكلام لا يعتدُّ به، واختلف أهل العلم في اللغو في اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة لصلة الكلام، من غير عقد وقصد، كقول القائل: لا والله وبلى والله وكلا والله.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلى والله، ورفعه بعضهم[2] وإلى هذا ذهب الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي.

ويروى عن عائشة: أيمان اللغو ما كانت في الهزل والمراء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب، وقال قوم: هو أن يحلف على شيء يرى أنه صادق فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وهو قول الحسن والزهري وابراهيم النخعي وقتادة ومكحول، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه، وقالوا لا كفارة فيه ولا إثم عليه، وقال علي: هو اليمين على الغضب، وبه قال طاووس وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه الله بالحنث فيها، بل يحنث ويكفر، وقال مسروق ليس عليه كفارة أيكفر خطوات الشيطان؟ وقال الشعبي في الرجل يحلف على المعصية كفارته أن يتوب منها وكل يمين لا يحل لك أن تفي بها فليس فيها كفارة ولو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم على قوله وقال زيد بن أسلم: هو دعاء الرجل على نفسه **تقول لإنسان** أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا وكذا [أخرجني الله من مالي إن لم آتك غداً، ويقول: هو كافر **إن** فعل كذا][3] فهذا كله لغو لا يؤاخذه الله به ولو آخذهم به لعجل لهم العقوبة «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم» (١١ ــ يونس)، وقال «ويَدْعُ الانسان بالشر دعاءه بالخير» (١١ ــ الإسراء».

قوله تعالى: ﴿**ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**﴾ أي عزمتم وقصدتم إلى اليمين، وكسب القلب العقد والنية ﴿**والله غفور رحيم**﴾ واعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بالله أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته: فاليمين بالله أن يقول: والذي أعبده، والذي أصلي له، والذي نفسي بيده، ونحو ذلك، واليمين بأسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه، واليمين بصفاته كقوله: وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدرة الله

---

(١) رواه مسلم: في الايمان ــ باب: ندب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها برقم (١٦٤٩) ٣/٢٢٧٢.

(٢) رواه أبو داود: في الايمان ــ باب: لغو اليمين ٤/٣٥٩ وقال المنذري (وذكر أن غير واحد رواه عن عطاء عن عائشة موقوفاً). انظر: الزيلعي في نصب الراية: ٣/٢٩٣.

(٣) ساقط من (أ).

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

ونحوها، فإذا حلف بشيء منها على أمر في المستقبل فحنث يجب عليه الكفارة وإذا حلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن أو على أنه لم يكن وقد كان، إن كان عالماً به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس، وهو من الكبائر، وتجب فيه الكفارة عند بعض أهل العلم، عالماً كان أو جاهلاً، وبه قال الشافعي، ولا تجب عند بعضهم وهو قول أصحاب الرأي وقالوا إن كان عالماً فهو كبيرة ولا كفارة لها كما في سائر الكبائر وان كان جاهلاً فهو يمين اللغو عندهم ومن حلف بغير الله مثل أن قال: والكعبة وبيت الله ونبي الله، أو حلف بأبيه ونحو ذلك، فلا يكون يميناً، فلا تجب عليه الكفارة إذا حلف، وهي يمين مكروهة، قال الشافعي: وأخشى أن يكون معصية.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»(١).

قوله تعالى: ﴿**للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر**﴾ يؤلون أي يحلفون، والإلية: اليمين والمراد من الآية: اليمين على ترك وطء المرأة، قال قتادة: كان الإيلاء طلاقاً لأهل الجاهلية، وقال سعيد بن المسيَّب: كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فيتركها لا أيماً ولا ذات بعل، وكانوا عليه في ابتداء الإسلام، فضرب الله له أجلاً في الإسلام، واختلف أهل العلم فيه: فذهب أكثرهم إلى أنه إن حلف أن لا يقرب زوجته أبداً أو سمى مدة أكثر من أربعة أشهر، يكون مولياً، فلا يتعرض له قبل مضي أربعة أشهر، وبعد مضيها يوقف ويؤمر

---

(١) رواه البخاري: في الأيمان ــ باب: لا تحلفوا بآبائكم ١١/٥٣٠.
ومسلم: في الأيمان والنذور ــ باب: النهي عن الحلف بغير الله برقم (١٦٤٦) ٣/١٢٦٦.
وزاد عمر قال: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ذاكراً ولا آثراً، انظر شرح السنة للمصنف حول الحلف واليمين ١٠/٣ ــ ٨.

بالفيء أو بالطلاق بعد مطالبة المرأة، والفيء هو الرجوع عما قاله بالوطء، إن قدر عليه، وإن لم يقدر فبالقول، فإن لم يفء ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة، وذهب إلى الوقوف بعد مضي المدة عمر وعثمان وعلي وأبو الدرداء وابن عمر، قال سليمان بن يسار: أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي ﷺ كلهم يقول بوقف المولي. وإليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد، وبه قال مالك والشافعي وأحمد واسحق وقال بعض أهل العلم: إذا مضت أربعة أشهر تقع عليه طلقة بائنة، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وقال سعيد بن المسيَّب والزهري: تقع طلقة رجعية، ولو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مولياً، بل هو حالف، فإذا وطئها قبل مضي تلك المدة تجب عليه كفارة اليمين، ولو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر لا يكون مولياً عند من يقول بالوقف بعد مضي المدة، لأن بقاء المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالفيء أو الطلاق، وقد مضت المدة. وعند من لا يقول بالوقف يكون مولياً، ويقع الطلاق بمضي المدة.

ومدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعاً عند الشافعي رحمه الله، لأنها ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع، وهو قلة صبر المرأة عن الزوج، فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العُنَّة.

وعند مالك رحمه الله وأبي حنيفة رحمه الله تتنصف مدة العنة بالرق، غير أن عند أبي حنيفة تتنصف برق المرأة، وعند مالك برق الزوج، كما قالا في الطلاق.

قوله تعالى: ﴿**تربص أربعة أشهر**﴾ أي انتظار أربعة أشهر، والتربص: التثبت والتوقف.﴿**فإن فآؤا**﴾ رجعوا عن اليمين بالوطء ﴿**فإن الله غفور رحيم**﴾ وإذا وطيء خرج عن الايلاء وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم، وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة: لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة فقال ﴿**فإن الله غفور رحيم**﴾ وذلك عند الأكثرين في اسقاط العقوبة لا في الكفارة، ولو قال لزوجته: إن قربتك فعبدي حر أو صرت طالقاً، أو لله علي عتق رقبة أو صوم أو صلاة فهو مولٍ لأن المولي من يلزمه أمر بالوطء، ويوقف بعد مضي المدة فإن فاء يقع الطلاق أو العتق المعلق به، وإن التزم في الذمة تلزمه كفارة اليمين في قولٍ، وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته من الاعتاق والصلاة والصوم ﴿**وإن عزموا الطلاق**﴾ أي حققوه بالإيقاع ﴿**فإن الله سميع**﴾ لقولهم ﴿**عليم**﴾ بنياتهم، وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها، لأنه شرط فيه العزم، وقال: ﴿**فإن الله سميع عليم**﴾ فدل على أنه يقتضي مسموعاً والقول هو الذي يسمع.

قوله تعالى: ﴿**والمطلقات**﴾ أي المخليات من حبال أزواجهن ﴿**يتربصن**﴾ ينتظرن ﴿**بأنفسهن ثلاثة قروء**﴾ فلا يتزوجن، والقروء: جمع قرء، مثل فرع، وجمعه القليل أقرؤ والجمع الكثير أقراء، واختلف أهل

العلم في القروء فذهب جماعة إلى أنها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وبه قال الحسن
٣٧/أ ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي / واحتجوا بأن النبي ﷺ قال للمستحاضة «دعي الصلاة أيام أقرائك»[(١)] وإنما تدع الصلاة أيام حيضها. وذهب جماعة إلى أنها الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة والزهري وبه قال ربيعة ومالك والشافعي، واحتجوا بأن ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي ﷺ لعمر: «مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء»[(٢)].

فأخبر أن زمان العدة هو الطهر، ومن جهة اللغة قول الشاعر:

ففي كُلِّ عامٍ أنت جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيـمَ عَزَائِكَـا
مُوَرِّثَـةٍ مالاً، وفي الحيِّ رِفْعَـةً لِمَا ضَاعَ فيها من قُرُوءِ نِسَائِكَا

وأراد به أنه كان يخرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فتضيع أقراؤهن وإنما تضيع بالسفر زمان الطهر لازمان الحيضة، وفائدة الخلاف تظهر في أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها أطهاراً وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءاً، قالت عائشة رضي الله عنها: إذا طعنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرىء منها. ومن ذهب إلى أن الأقراء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة، وهذا الاختلاف من حيث أن اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعاً، يقال أقرأت المرأة: إذا حاضت وأقرأت: إذا طهرت، فهي مقرىء، واختلفوا في أصله فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة: هو الوقت لمجيء الشيء وذهابه، يقال: رجع فلان لقرئه ولقارئه أي لوقته الذي يرجع فيه وهذا قارىء الرياح أي وقت هبوبها، قال مالك بن الحارث الهذلي:

كَرِهْتُ العَقْرَ عَقْرَ بَنِي شَلِيْلٍ إذا هَبَّتْ لِقَارِئِهَـا الرِّيَـاحُ

أي لوقتها، والقرء يصلح للوجهين، لأن الحيض يأتي لوقت، والطهر مثله، وقيل: هو من القرأ وهو الحبس والجمع، تقول العرب: ما قرأت الناقة سلاً قط أي لم تضم رحمها على ولد ومنه قريت الماء في المقراة وهي الحوض أي جمعته، بترك همزها، فالقرء هاهنا احتباس الدم واجتماعه، فعلى هذا يكون الترجيح

---

(١) رواه أبو داود: في الطهارة ــ باب: من قال تغتسل من طهر إلى طهر ١٩١/١.
والترمذي: في الطهارة ــ باب: ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة ٣٩٣/١.
وابن ماجه: في الطهارة ــ باب: ما جاء في المستحاضة ٢٠٤/١.
والدارقطني: في الحيض ــ ٢١٢/١ وانظر نصب الراية: ٢٠٢/١ ــ ٢٠٤.

(٢) رواه البخاري في الطلاق ــ باب: قول الله تعالى: يأأيها النبي إذا طلقتم النساء ٣٤٥/٩.
ومسلم: في الطلاق ــ باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها برقم: (١٤٧١) ١٠٩٣/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٠٢/٩ ــ ٢٠٣.

فيه للطهر لأنه يحبس الدم ويجمعه، والحيض يرخيه ويرسله، وجملة الحكم في العِدد: أن المرأة إذا كانت حاملاً فعدتها بوضع الحمل، سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج بالطلاق أو بالموت لقوله تعالى «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» (٤ ــ الطلاق) فإن لم تكن حاملاً نظر: إن وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها أن تعتد بأربعة أشهر وعشر، سواء مات الزوج قبل الدخول أو بعده، وسواء كانت المرأة ممن تحيض، أو لا تحيض لقول الله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» (٢٣٤ ــ البقرة) وان وقعت الفرقة بينهما في الحياة نظر بأن كان الطلاق قبل الدخول بها، فلا عدة عليها، لقول الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها» (٤٩ ــ الأحزاب).

وإن كان بعد الدخول نظر: إن كانت المرأة ممن لم تحض قط أو بلغت في الكبر سن الآيسات فعدتها ثلاثة أشهر لقول الله تعالى: «واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن» (٤ ــ الطلاق).

وإن كانت ممن تحيض فعدتها ثلاثة أقراء لقوله تعالى: ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**﴾ وقوله ﴿**يتربصن بأنفسهن**﴾ لفظه خبر ومعناه أمر، وعدة الأمة ان كانت حاملاً بوضع الحمل كالحرة، وإن كانت حائلاً ففي الوفاة عدتها شهران وخمس ليال، وفي الطلاق، إن كانت ممن تحيض فعدتها قرءان، وان كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف: وقيل شهران كالقُرْأيْن في حق من تحيض: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ينكح العبد امرأتين ويطلق طلقتين وتعتد الأمة بحيضتين، فإن لم تكن تحيض فشهرين أو شهراً ونصفاً.

وقوله عز وجل: ﴿**ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن**﴾ قال عكرمة: يعني الحيض وهو أن يريد الرجل مراجعتها فتقول: قد حضت الثالثة وقال ابن عباس وقتادة: يعني الحمل، ومعنى الآية لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد ﴿**إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ معناه أن هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء كما تقول، أدِّ حقي إن كنت مؤمناً، يعني أداء الحقوق من فعل المؤمنين.

﴿**وبعولتهن**﴾ يعني أزواجهن جمع بعل، كالفحولة جمع فحل، سمي الزوج بعلاً لقيامه بأمور زوجته وأصل البعل السيد والمالك ﴿**أحق بردهن**﴾ أولى برجعتهن إليهم ﴿**في ذلك**﴾ أي في حال العدة ﴿**إن أرادوا إصلاحا**﴾ أي إن أرادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الإضرار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فإذا قرب انقضاء عدتها، راجعها ثم تركها مدة، ثم طلقها ثم إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها ﴿**ولهن**﴾ أي للنساء على الأزواج مثل

الذي عليهن للأزواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه: اني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي لأن الله تعالى قال: ﴿**ولهن مثل الذي عليهنّ بالمعروف**﴾ .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي أنا أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة أنا أبو داود السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد أنا أبو قزعة سويد بن حُجير الباهلي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**»[١].

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد **الفارسي** أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو**إسحاق** إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا محمد بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا حاتم ابن اسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ فسرد قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبته يوم عرفة قال: «فاتقوا الله في النساء، فانهن عوان عندكم، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن **تضلوا** بعده: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد»[٢] ثلاث مرات.

٣٧/ب **أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي/أنا محمد ابن يحيى أنا يعلى بن عبيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائكم»**[٣].

---

(١) رواه أبو داود في النكاح ــ باب: حق المرأة على زوجها ٣/٦٧ ــ ٦٨.
وابن ماجه: في النكاح ــ باب: في حق المرأة على الزوج برقم (١٨٥٠) ١/٥٩٣.
رواه أحمد: ٤/٤٤٦ ــ ٤٤٧ و ٥/٣ ــ ٥ جزء من حدث عن معاوية بن حيدة.
والمصنف في شرح السنة: ٩/١٦٠.

(٢) سبق تخريجه ص (٢١٩) هامش رقم (٢).

(٣) أبو داود: في السنة: بلفظ (أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً): ٧/٤٤ وبهذا اللفظ أخرجه الدارمي في الرقاق باب: في حسن الخلق: ٢/٣٢٣.
والترمذي: في الرضاع ــ باب: ما جاء في حق المرأ على زوجها ٤/٣٢٥ وقال: حسن صحيح.
وابن حبان: (١٩٢٦) وصححه.
وأحمد: ٢/٢٥٠ و ٤٧٢ عن أبي هريرة.
والمصنف في شرح السنة: ٩/١٨٠.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿**وللرجال عليهن درجة**﴾ قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال، وقال قتادة: بالجهاد، وقيل بالعقل، وقيل بالشهادة، وقيل بالميراث، وقيل بالدية وقيل بالطلاق، لأن الطلاق بيد الرجال، وقيل بالرجعة، وقال سفيان وزيد بن أسلم: بالإمارة وقال القتيبي وللرجال عليهن درجة معناه فضيلة في الحق ﴿**والله عزيز حكيم**﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد ابن عبدالله الصفار أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي ﷺ فيها ثم رجع فرأى رجالاً يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»(١).

قوله تعالى: ﴿**الطلاق مرتان**﴾ روي عن عروة بن الزبير قال: كان الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد، وكان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها يقصد مضارتها فنزلت هذه الآية ﴿**الطلاق مرتان**﴾ يعني الطلاق الذي يملك الرجعة عقيبه مرتان، فإذا طلق ثلاثاً فلا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر.

قوله تعالى: ﴿**فإمساك بمعروف**﴾ قيل: أراد بالإمساك الرجعة بعد الثانية، والصحيح أن المراد منه: الإمساك بعد الرجعة، يعني إذا راجعها بعد الرجعة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف، والمعروف كل ما

---

(١) رواه ابن ماجه: في النكاح: باب حق الزوج على المرأة برقم (١٨٥٣) ١/٥٩٥.
وأبو داود: في النكاح: باب في حق الزوج على المرأة ٣/٦٧.
وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (١٢٩٠) ص ٣١٤
وأحمد: ٤/٣٨١، عن عبد الله بن أبي أوفى ٥/٢٢٨ عن معاذ بن جبل ٦/٧٦ عن عائشة بلفظ آخر.
والمصنف في شرح السنة : ٩/١٥٨.
وذكره الهيثمي في المجمع ٤/٣٠٩ وقال: رواه بتمامة البزار وأحمد باختصار ورجاله رجال الصحيح.

يعرف في الشرع، من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة ﴿**أو تسريح بإحسان**﴾ هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها وقيل الطلقة الثالثة.

قوله تعالى: ﴿**أو تسريح بإحسان**﴾ وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة: الطلاق والفراق والسراح، وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فحسب، وجملة الحكم فيه أن الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها يجوز له مراجعتها بغير رضاها مادامت في العدة، وإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها، أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له إلا بنكاح جديد بإذنها، وإذن وليها فإن طلقها ثلاثاً فلا تحل له، ما لم تنكح زوجاً غيره، وأما العبد إذا كانت تحته امرأة، فطلقها طلقتين، فإنها لا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر.

واختلف أهل العلم فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً، فذهب أكثرهم إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج، فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث طلقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلا طلقتين، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الطلاق بالرجال والعدة بالنساء، يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر العدة حال المرأة، وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمدوإسحاق، وذهب قوم إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا طلقتين وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

قوله تعالى ﴿**ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن**﴾ أعطيتموهن ﴿**شيئاً**﴾ من المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال ﴿**إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله**﴾ نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال: حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت إليه زوجها وقالت له: إنه يسيىء إلي ويضربني فقال: ارجعي إلى زوجك فإني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال: فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب فقال لها: ارجعي إلى زوجك، فلما رأت أن أباها لا يشكيها أتت رسول الله ﷺ فشكت إليه زوجها وأرته آثاراً بها من ضربه وقالت يا رسول الله: لا أنا ولا هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت فقال: «مالك ولأهلك؟» فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما على وجه الأرض أحب إلي منها غيرك، فقال لها: ماتقولين؟ فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ حين سألها فقالت: صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت أن يهلكني فأخرجني منه، وقالت: يا رسول الله ما كنت لأحدثك حديثاً ينزل الله عليك خلافه، هو من أكرم الناس محبة لزوجته، **ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو، قال ثابت: قد أعطيتها حديقة فلتردها علي وأخلي** سبيلها فقال لها: «تردين عليه حديقته وتملكين أمرك»؟ قالت: نعم فقال رسول الله ﷺ «يا ثابت خذ

منها ما أعطيتها وخل سبيلها»[1] ففعل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا زاهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ثابت ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر بعد الإسلام، قال رسول الله ﷺ «أتردين عليه حديقته»؟ قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة»[2].

قوله تعالى: ﴿**إلا أن يخافا**﴾ أي يعلما ﴿**أن لا يقيما حدود الله**﴾ قرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب ﴿**إلا أن يخافا**﴾ بضم الياء أي يعلم ذلك منهما، يعني: يعلم القاضي والولي ذلك من الزوجين، بدليل قوله تعالى: ﴿**فإن خفتم**﴾ فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل فإن خافا، وقرأ الآخرون ﴿**يخافا**﴾ بفتح الياء أي يعلم الزوجان من أنفسهما ﴿**أن لا يقيما حدود الله**﴾ تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها، فنهى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيئاً مما آتاها، إلا أن يكون النشوز من قبلها، فقالت: لا أطيع لك أمراً ولا أطألك مضجعاً ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿**فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به**﴾ أي فيما افتدت به المرأة نفسها منه، قال الفراء: أراد بقوله ﴿**عليهما**﴾ الزوج دون المرأة، فذكرهما جميعاً لاقترانهما كقوله تعالى «نسياحوتهما» (٦١ ــ الكهف)، وإنما الناسي فتى موسى دون موسى وقيل: أراد أنه لا جناح / عليهما جميعاً، **لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية ، ولا فيما افتدت** ٣٨/أ
به وأعطت من المال، لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير الحق، ولا على الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخُلع جائز على أكثر مما أعطاها وقال الزهري: لا يجوز بأكثر مما أعطاها من المهر.

وقال سعيد بن المسيب: لا يأخذ منها جميع ما أعطاها بل يترك منه شيئاً، ويجوز الخلع على غير حال النشوز غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري أنا عبد الله بن

(١) رواه مختصراً أبو داود عن حبيبة بنت سهل الأنصارية في الطلاق ــ باب في الخلع ١٤٣/٣.
والنسائي من حديث الرُّبَيِّع بنت معوذ في الطلاق ــ باب عدة المختلعة ١٨٦/٦.
وابن جرير في التفسير ٥٥٤/٤.
وانظر الكافي الشاف ص١٩ ــ ٢٠.
(٢) رواه البخاري: في الطلاق ــ باب: الخلع وكيف الطلاق فيه ٣٩٥/٩.
والمصنف في شرح السنة ــ ١٩٤/٩.

محمد بن شيبة أنا أحمد بن جعفر المستملي أنا أبو محمد يحيى بن اسحق بن شاكر بن أحمد بن خباب أنا عيسى بن يونس أنا عبد الله بن الوليد الوصافي عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق»(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن أبي أنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنا أبي أنا اسامة عن حماد بن زيد عن أبي أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»(٢).

وقال طاووس: الخُلع يختص بحالة خوف النشوز لظاهر الآية، والآية خرجت على وفق العادة أن الخُلع لا يكون إلا في حال خوف النشوز غالباً، وإذا طلق الرجل امرأته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينونة وانتقص به العدد.

واختلف أهل العلم في الخلع فذهب أكثرهم إلى أنه تطليقة بائنة ينتقص به عدد الطلاق، وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي، وإليه ذهب مالك والثوري والأوزاعي وأصحاب الرأي وهو أظهر قولي الشافعي، وذهب قوم إلى أنه فسخ لا ينتقص به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وبه قال عكرمة وطاووس وإليه ذهب أحمد واسحق، واحتجوا بأن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع، ثم ذكر بعده الطلقة الثالثة فقال، **﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾** ولو كان الخلع طلاقاً لكان الطلاق أربعاً، ومن قال بالأول جعل الطلقة الثالثة: **(أو تسريح بإحسان)**.

(١) حديث ضعيف رواه أبو داود في الطلاق ــ باب: في كراهية الطلاق: ٣/٩٢.
وابن ماجه: في الطلاق ــ باب رقم (١) برقم (٢٠١٨)، والدارقطني في الطلاق عن معاذ: ٤/٣٥.
والحاكم: ٢/١٩٦ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.
قال المنذري: والمشهور فيه هو المرسل وهو غريب، وقال البيهقي وفي رواية ابن أبي شيبة (يعني محمد بن عثمان) عن عبد الله بن عمر موصولاً ولا أراه يحفظه، والمصنف في شرح السنة ٩ /١٩٥.
وإن ما قاله أبو حاتم والدارقطني والبيهقي هو الراجح أن الحديث مرسل وضعفه الألباني في إرواء الغليل ٧ /١٠٦ فلينظر (انظر مختصر المنذري ٣/٩٣ وانظر: التلخيص الحبير لابن حجر: ٣/٢٠٥.
(٢) رواه أبو داود: في الطلاق ــ باب: الخلع: ٣/١٤٢.
والترمذي: في الطلاق ــ باب: ما جاء في المختلعات ٤/٣٦٧ وقال: هذا حديث حسن.
وابن ماجه: في الطلاق ــ باب: كراهية الخلع للمرأة برقم (٢٠٥٥) ١/٦٦٢.
والدارمي: في الطلاق ــ باب: النهي عن أن تسأل المرأة زوجها طلاقها ٢/١٦٢.
وأحمد: ٥/٢٧٧، ٢٨٣ عن ثوبان.
والمصنف في شرح السنة ٩/١٩٥ وإسناده قوي.

قوله تعالى: ﴿تلك حدود الله﴾ أي هذه أوامر الله ونواهيه، وحدود الله: ما منع الشرع من المجاوزة عنه ﴿فلا تعتدوها﴾ فلا تجاوزوها ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

قوله تعالى: ﴿فإن طلقها﴾ يعني الطلقة الثالثة ﴿فلا تحل له من بعد﴾ أي من بعد الطلقة الثالثة ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾ أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعاً، نزلت في تميمة وقيل في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمعها تقول: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبتَّ طلاقي، وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة» قالت نعم قال: «لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته»(١).

وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي قد مسني فقال لها النبي ﷺ كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر. فلبثت حتى قبض النبي ﷺ فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت: يا خليفة رسول الله ﷺ أرجع إلى زوجي الأول فإن زوجي الآخر مسني وطلقني فقال لها أبو بكر: قد شهدت رسول الله ﷺ حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه، أتت عمر رضي الله عنه وقالت له: مثل ذلك فقال لها عمر رضي الله عنه: لئن رجعت إليه لأرجمنك»(٢).

قوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ يعني فإن طلقها الزوج الثاني بعد ما جامعها ﴿فلا جناح عليهما﴾ يعني على المرأة وعلى الزوج الأول ﴿أن يتراجعا﴾ يعني بنكاح جديد ﴿إن ظنا﴾ أي علما وقيل رَجَوَا، لأن أحداً لا يعلم ما هو كائن إلا الله عز وجل ﴿أن يقيما حدود الله﴾ أي يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة، وقال مجاهد: معناه إن علما أن نكاحهما على غير الدُّلْسَة، وأراد بالدُّلْسة التحليل، وهو مذهب سفيان الثوري والأوزاعي ومالك وأحمدوإسحاق،قالوا: إذا تزوجت المطلقة ثلاثاً زوجاً آخر ليحللها للزوج الأول: فإن النكاح فاسد، وذهب جماعة إلى أنه إن لم يشرط في النكاح

---

(١) رواه البخاري: في الطلاق ـــ باب: من قال لامرأته أنت علي حرام ٣٧١/٩.
ومسلم: في النكاح ـــ باب: لا تحل المطلقة ثلاثة لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره برقم (١٤٣٣) ١٠٥٥/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/٩.
(٢) انظر الكافي الشاف لابن حجر ص ٢٠ وقد عزاه لعبدالرزاق وهي عنده مختصرة، المصنف ٣٤٧/٦.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

مع الثاني أنه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل ولها صداق مثلها، غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمي أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنا الحسن بن الفرج أخبرنا عمرو بن خالد الحراني عن عبيد الله بن عبد الكريم هو الجزري عن أبي واصل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه «لعن المحلل والمحلل له»[(١)] وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال له: إن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً، فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للأول فقال: لا، إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ وقال رسول الله ﷺ، «لعن الله المحلل والمحلل له»[(٢)] **﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ يعني يعلمون ما** أمرهم الله تعالى به.

قوله تعالى: **﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾** الآية، نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت **ابن يسار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها، يقصد بذلك مضارتها[(٣)].**

---

(١) حديث ابن مسعود وله طريقان الأول عن أبي قيس عن هزيل بن عبد الرحمن عنه بلفظ: (لعن رسول الله المحلل والمحلل له).
أخرجه الترمذي في النكاح ـــ باب ما جاء في المحلل والمحلل له ٢٦٤/٤ وقال هذا حديث حسن صحيح.
والنسائي في الطلاق مطولًا ـــ باب إحلال المطلقة ثلاثاً وما فيه من التغليظ ١٤٩/٦.
والدارمي في النكاح ـــ باب في النهي عن التحليل ١٥٨/٥.
والبيهقي ٢٠٨/٧.
وأحمد ٤٤٨/١، ٤٦٢.
وقال الحافظ في التلخيص ١٧٠/٣ (وصححه ابن القطان وابن دقيق العيد على شرط البخاري).
والطريق الآخر عن أبي الواصل.
أخرجها أحمد ٤٥٠/١، ٤٥١ وأبو الواصل مجهول كما قال الحسيني وذكر الحافظ طريقاً ثالثة أخرجها عبد الرزاق من طريق عبد الله بن مرة عن الحارس عن ابن مسعود، والحارث هذا هو الأعور الكوفي وهو ضعيف وقالوا كذاب.
وله طرق أخرى عن أبي هريرة، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وعقبة بن عامر.
رواها أبو داود وابن ماجه والترمذي وأحمد وغيرهم.
فالحديث صحيح.
انظر إرواء الغليل ٣٠٧/٦ ـــ ٣١١.

(٢) صححه الحاكم على شرط الشيخين: ١٩٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠/٥.

قوله تعالى: ﴿**فبلغن أجلهن**﴾ أي أشرفن على أن يبنّ بانقضاء العدة، ولم يرد حقيقة انقضاء العدة، لأن العدة إذا انقضت لم يكن للزوج امساكها، فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة، وفي قوله تعالى بعد هذا ﴿**فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن**﴾ حقيقة انقضاء العدة، والبلوغ يتناول المعنيين، يقال: بلغ المدينة إذا قرب منها وإذا دخلها ﴿**فأمسكوهن**﴾ أي راجعوهن ﴿**بمعروف**﴾ قيل المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء.

﴿**أو سرحوهن بمعروف**﴾ أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن أملك بأنفسهن ﴿**ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا**﴾ أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس ﴿**ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه**﴾ أي أضر / بنفسه بمخالفة أمر الله تعالى ﴿**ولا تتخذوا آيات الله هزواً**﴾ قال الكلبي يعني قوله تعالى: ٣٨/ب

«فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزواً، قال أبو الدرداء هو أن الرجل كان يطلق امرأته ثم يقول: كنت لاعباً، ويعتق ويقول: مثل ذلك [وينكح ويقول مثل ذلك](١).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمرو الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا على بن حجر أخبرنا اسماعيل بن جعفر عن أبي حبيب ابن أردك عن عطاء بن أبي رباح عن ابن ماهك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: الطلاق والنكاح والرجعة»(٢).

﴿**واذكروا نعمة الله عليكم**﴾ بالإيمان ﴿**وما أنزل عليكم من الكتاب**﴾ يعني: القرآن ﴿**والحكمة**﴾ يعني: السنة، وقيل: مواعظ القرآن ﴿**يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء**

---

(١) ساقط من (أ).

(٢) رواه أبو داود: في الطلاق ــ باب: في الطلاق على الهزل ٣/١١٨ ــ ١١٩.
والترمذي: في الطلاق ــ باب: ما جاء في الجد والهزل في الطلاق ٤/٣٦٢ وقال: هذا حديث حسن غريب.
وابن ماجه: في الطلاق ــ باب: من طلق أو نكح أو راجع لاعباً برقم (٢٠٣٩) ١/٦٥٨.
والحاكم: ٢/١٩٧ وصححه والدارقطني في السنن ٣/٢٥٦ ــ ٢٥٧.
وفي إسناده عبد الرحمن بن حبيب بن أردك وهو مختلف فيه: قال النسائي: منكر الحديث ووثقه غيره، قال الحافظ فهو على هذا حسن (تحفة الأحوذي: ٤/٣٦٢).
والمصنف في شرح السنة ٩/٢١٩ وانظر التلخيص الحبير ٣/٢٠٧ وإرواء الغليل ٦/٢٢٤ ــ ٢٢٨.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

عليم* وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ نزلت في جميلة بنت يسار أخت معقل بن يسار المزني، كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أحمد بن أبي عمرو حدثني أبي حدثني إبراهيم عن يونس عن الحسن قال حدثني معقل ابن يسار قال زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها؟ لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله تعالى **﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾** فقلت: الآن أفعل يارسول الله، قال: فزوجتها إياه[1].

قوله تعالى: **﴿فبلغن أجلهن﴾** أي انقضت عدتهن **﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾** أي لا تمنعوهن عن النكاح، والعضل: المنع، وأصله الضيق والشدة، يقال: عضلت المرأة إذا نشب ولدها في بطنها فضاق عليه الخروج، والداء العضال الذي لا يطاق، وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى، وقيل الآية خطاب مع الأزواج لمنعهم من الإضرار لأن ابتداء الآية خطاب معهم، والأول أصح.

﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ بعقد حلال ومهر جائز **﴿ذلك﴾** أي ذلك الذي ذكر من النهي **﴿يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾** وإنما قال ذلك موحداً، والخطاب للأولياء لأن الأصل في مخاطبة الجمع: ذلكم، ثم كثر حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف وليست بكاف خطاب فقالوا ذلك، فإذا قالوا هذا كانت الكاف موحدة منصوبة في الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر قيل هو خطاب للنبي ﷺ فلذلك وحد ثم رجع إلى خطاب المؤمنين فقال **﴿ذلكم أزكى لكم﴾** أي خير لكم **﴿وأطهر﴾** لقلوبكم من الريبة وذلك أنه إذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما، ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون **﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** أي يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه مالا تعلمون أنتم.

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي: ١٨٣/٩، وفي التفسير: ١٩٢/٨.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٣)

قوله تعالى: ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن**﴾ يعني: المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن يرضعن، خبر بمعنى الأمر، وهو أمر استحباب لا أمر ايجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من ترضع الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق: «فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن» (٦ ـــ الطلاق) فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها ﴿**حولين كاملين**﴾ أي سنتين، وذكر الكمال للتأكيد كقوله تعالى: «تلك عشرة كاملة» (١٩٦ ـــ البقرة) وقيل إنما قال كاملين لأن العرب قد تسمي بعض الحول حولاً وبعض الشهر شهراً كما قال الله تعالى: «الحج أشهر معلومات» (١٩٧ ـــ البقرة)، وانما هو شهران وبعض الثالث وقال: «فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه» (٢٠٣ ـــ البقرة)، وانما يتعجل في يوم وبعض يوم، ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين وانما أقام به حولاً وبعض آخر، فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان، أربعة وعشرون شهراً، واختلف أهل العلم في هذا الحدِّ، فمنهم من قال هو حد لبعض المولودين، فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها إذا وضعت لستة أشهر فإنها ترضعه حولين كاملين، وإن وضعته لسبعة أشهر فإنها ترضعه ثلاثة وعشرين شهراً، وإن وضعت لتسعة اشهر فإنها ترضعه أحدا وعشرين شهراً، وإن وضعت لعشرة أشهر فإنها ترضعه عشرين شهراً، كل ذلك تمام ثلاثين شهراً لقوله تعالى: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» (١٥ ـــ الأحقاف).

وقال قوم: هو حدٌّ لكل مولود بأي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق الأبوين فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه لقوله تعالى: «**فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور**﴾ وهذا قول ابن جريج والثوري ورواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: المراد من الآية: بيان أن الرضاع الذي تثبت به الحرمة ما يكون في الحولين، فلا يحرم ما يكون بعد الحولين، قال قتادة: فرض الله على الوالدات إرضاع حولين كاملين ثم أنزل التخفيف فقال: ﴿**لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ أي هذا منتهى الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به ﴿**وعلى المولود له**﴾ يعني الأب ﴿**رزقهن**﴾ طعامهن ﴿**وكسوتهن**﴾ لباسهن ﴿**بالمعروف**﴾ أي على قدر الميسرة ﴿**لا تكلف نفس إلا وسعها**﴾ أي طاقتها ﴿**لا تضار والدة بولدها**﴾ قرأ ابن كثير

وأهل البصرة برفع الراء نسقاً على قوله ﴿**لا تكلف**﴾ وأصله تضارر فأدغمت الراء في الراء، وقرأ الآخرون تضارَّ بنصب الراء، قالوا: لما أدغمت الراء في الراء حركت إلى أخف الحركات وهو النصب ومعنى الآية ﴿**لا تضار والدة بولدها**﴾ فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه ﴿**ولا مولود له بولده**﴾ أي لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعدما ألفها، تضاره بذلك، وقيل معناه ﴿**لا تضار والدة**﴾ فتكره على ارضاعه إذا كرهت إرضاعه، وقبلَ الصبي من غيرها، لأن ذلك ليس بواجب عليها ﴿**ولا مولود له بولده**﴾ فيحتمل أن تعطى الأم أكثر مما يجب لها إذا لم يرتضع من غيرها.

فعلى هذين القولين أصل الكلمة لا تضارر بفتح الراء الأولى على الفعل المجهول، والوالدة والمولود له مفعولان، ويحتمل أن يكون الفعل لهما وتكون تضار بمعنى تضارر بكسر الراء الأولى على تسمية الفاعل والمعنى ﴿**لا تضار والدة**﴾ فتأبى أن ترضع ولدها ليشق على أبيه ﴿**ولا مولود له**﴾ أي لا يضار الأب أم
٣٩/أ الصبي، فينزعه منها ويمنعها من ارضاعه، وعلى هذه الأقوال يرجع الإضرار إلى / الوالدين يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد، ويجوز أن يكون الضرار راجعاً إلى الصبي، أي لا يضار كل واحد منهما الصبي، فلا ترضعه الأم حتى يموت أو لا ينفق الأب أو ينتزعه من الأم حتى يضر بالصبي، فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه (لا تضار والدة بولدها) ولا أب بولده وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين.

قوله تعالى: ﴿**وعلى الوارث مثل ذلك**﴾ اختلفوا في هذا الوارث، فقال قوم: هو وارث الصبي، معناه: وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته، ثم اختلفوا في أي وارث هو من ورثته فقال بعضهم: هو عصبة الصبي من الرجال مثل: الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم، وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وبه قال ابراهيم والحسن ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا: إذا لم يكن للصبي ما ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه، وقيل: هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء: وهو قول قتادة وابن أبي ليلى ومذهب أحمد وإسحاق وقالوا: يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبة كانوا أو غيرهم.

وقال بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى فغير مراد بالآية، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي نفسه، الذي هو وارث أبيه المتوفى تكون أجرة رضاعه ونفقته في ماله، فإن لم يكن له مال فعلى الأم، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله، وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان على الأب من أجرة الرضاع والنفقة والكسوة.

وقيل: ليس المراد منه النفقة، بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة، وبه قال الشعبي والزهري ﴿**فإن أرادا**﴾ يعني الوالدين ﴿**فصالا**﴾ فطاماً قبل الحولين ﴿**عن تراض منهما**﴾ أي اتفاق من الوالدين

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾

﴿**وتشاور**﴾ أي يشاورون أهل العلم به حتى يخبروا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج الرأي ﴿**فلا جناح عليهما**﴾ أي لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين ﴿**وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم**﴾ أي لأولادكم مراضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم أن يرضعنهم أو تعذر لعلة بهن، أي: انقطاع لبن أو أردن النكاح ﴿**فلا جناح عليكم إذا سلمتم**﴾ إلى أمهاتهم ﴿**ما آتيتم**﴾ ما سميتم لهن من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن، وقيل إذا سلمتم أجور المراضع إليهن بالمعروف، قرأ ابن كثير ﴿**ما آتيتم**﴾وفي الروم «وما أتيتم من ربا» (٣٩ ــ الروم) بقصر الألف ومعناه ما فعلتم يقال: أتيت جميلًا إذا فعلته، فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم الأجرة يعني إذا سلمتم لأمره وانقدتم لحكمه، وقيل إذا سلمتم للاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار ﴿**واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير**﴾.

قوله تعالى: ﴿**والذين يتوفون منكم**﴾ أي يموتون وتتوفى آجالهم، وتوفى واستوفى بمعنى واحد، ومعنى التوفي أخذ الشيء وافياً ﴿**ويذرون أزواجاً**﴾ يتركون أزواجاً ﴿**يتربصن**﴾ ينتظرن ﴿**بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً**﴾ أي يعتددن بترك الزينة والطيب والنقلة على فراق أزواجهن هذه المدة إلا أن يَكُنَّ حوامل فعدتهن بوضع الحمل، وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولاً كاملاً لقوله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج» (٢٤٠ ــ البقرة) ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر.

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: كانت هذه العدة يعني أربعة أشهر وعشراً واجبة عند أهل زوجها فأنزل الله تعالى: ﴿**متاعاً إلى الحول**﴾ فجعل لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل: «غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن» (٢٤٠ ــ البقرة) فالعدة كما هي واجبة عليها.

وقال: عطاء قال: ابن عباس رضي الله عنهما: نسخت هذه الآية عدتها عند أهله وسكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت، قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ السكنى **فتعتدّ** حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب عليها الإحداد في عدة الوفاة، وهي أن تمتنع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين رأسها بأي دهن سواء كان فيه طيب أو لم يكن، ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه، فإن كان فيه طيب فلا يجوز، ولا يجوز لها أن تكتحل بكحل فيه طيب أو فيه زينة كالكحل الأسود ولا بأس بالكحل الفارسي

الذي لا زينة فيه فإن اضطرت إلى كحل فيه زينة فرخص فيه كثير من أهل العلم منهم سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وعطاء والنخعي وبه قال مالك وأصحاب الرأي، وقال الشافعي رحمه الله: تكتحل به ليلاً وتمسحه بالنهار.

قالت أم سلمة: دخل عليَّ رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة وقد جعلت عليَّ صبراً فقال «إنه يشُبُّ(١) الوجه فلا تجعليه إلا بالليل وتنزعيه بالنهار»(٢).

ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والديباج والحلي ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر، ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالأحمر والأخضر الناضر والأصفر، ويجوز ما صبغ لغير زينة كالسواد والكحلي وقال سفيان: لا تلبس المصبوغ بحال.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن محمد بن عمر بن حزم عن حميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة أنها أخبرته بهذه الأحاديث الثلاثة قالت زينب: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفى أبوها أبو سفيان ابن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة، خلوق أو غيره، فدهنت به جارية ثم مست به بطنها ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»(٣).

وقالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى أخوها عبد الله فدعت بطيب فمست به ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» قالت زينب: وسمعت أمي أم سلمة تقول:

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله ان ابنتي توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا»، ثم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول»(٤) قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟

---

(١) يشُبُّ: يلونه ويحسنه، النهاية لابن الأثير.

(٢) رواه أبو داود في الطلاق: باب: فيما تجتنبه المعتدة في عدتها ٢٠١/٣ ــ ٢٠٢.
والنسائي: في الطلاق ــ باب: الرخصة للحادة أن تمتشط بالسدر ٢٠٤/٦.

(٣) رواه البخاري: في الطلاق ــ باب: تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ٤٨٤/٩ وفي الجنائز.
ومسلم: في الطلاق ــ باب: وجوب الإحداد برقم (١٤٨٦) ١١٢٤/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٣٠٦/٩ ــ ٣٠٧.

(٤) قطعة من الحديث السابق.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حِفْشاً[(١)] أي بيتاً صغيراً ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بدابة، حمار أو شاة أو طير فتفتضُّ به، أي تمسح فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطي بعرة فترمي بها، / ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب أو ٣٩/ب
غيره، وقال مالك: تفتضُّ أي تمسح جلدها.

وقال سعيد بن المسيَّب: الحكمة في هذه المدة أن فيها ينفخ الروح في الولد، ويقال إن الولد يرتكض أي يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل أربعة أشهر وعشراً قريباً من نصف مدة الحمل، وإنما قال عشراً بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي لأن العرب إذا أبهمت العدد بين الليالي والأيام غلَّبت عليها الليالي فيقولون صمنا عشراً والصوم لا يكون إلا بالنهار.

وقال المبرد: إنما أنَّثَ العشر لأنه أراد المدد أي عشر مدد كل مدة يوم وليلة، وإذا كانت المتوفى عنها زوجها حاملاً فعدتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم وروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشراً، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى أراد بالقصرى سورة الطلاق «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» (٤ ــ الطلاق) نزلت بعد قوله تعالى: «يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً» في سورة البقرة فحمله على النسخ، وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبيعة وهو ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة أن سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليالٍ فجاءت إلى رسول الله ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت[(٢)].

قوله تعالى **﴿فإذا بلغن أجلهنَّ﴾** أي انقضت عدتهن **﴿فلا جناح عليكم﴾** خطاب للأولياء **﴿فيما فعلن في أنفسهن﴾** أي من اختيار الأزواج دون العقد فإن العقد إلى الولي، وقيل فيما فعلن من التزين

(١) الحِفْش بالكسر الدُرْج، وقيل: الحِفش البيت الصغير الذليل القريب السمك سمي به لضيقه.النهاية لابن الأثير.
(٢) رواه البخاري: في الطلاق باب: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ٩/٤٦٩.
ومسلم: في الطلاق ــ باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل برقم (١٤٨٥) ٢/١١٢٣.

للرجال زينة لا ينكرها الشرع ﴿بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾ والإحداد واجب على المرأة في عدة الوفاة، أما المعتدة عن الطلاق نُظِرَ فإن كانت رجعية فلا إحداد عليها في العدة لأن لها أن تصنع ما يشوق قلب الزوج إليها ليراجعها، وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلاثة قولان: أحدهما: عليها الإحداد كالمتوفى عنها زوجها، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال أبو حنيفة، والثاني: لا إحداد عليها وهو قول عطاء، وبه قال مالك.

قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ أي النساء المعتدات وأصل التعريض هو التلويح بالشيء، والتعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح في العدة وهو أن يقول: رُبَّ راغب فيك، من يجد مثلك، إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك علي لكريمة، وإني فيك لراغب، وإنَّ من غرضي أن أتزوج وإن جمع الله بيني وبينك بالحلال أعجبني ولئن تزوجتك لأحسننَّ إليك، ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنكحيني والمرأة تجيبه بمثله إن رغبت فيه، وقال إبراهيم: لا بأس أن يهدي لها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت من شأنه.

روي أن سكينة بنت حنظلة بانت من زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال: يا بنت حنظلة أنا من قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقالت سكينة أتخطبني وأنا في العدة وأنت يؤخذ العلم عنك؟ فقال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ، قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله على يده[1]..

والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة، أما المعتدة عن فرقة الحياة نظر: إن كانت ممن لا يحل لمن بانت منه نكاحها كالمطلقة ثلاثاً والمبانة باللعان والرضاع: يجوز خطبتها تعريضاً وإن كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها يجوز لزوجها خطبتها تعريضاً وتصريحاً.

وهل يجوز للغير تعريضاً؟ فيه قولان: أحدهما يجوز كالمطلقة ثلاثاً، والثاني لا يجوز لأن المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضها بالخطبة.

وقوله تعالى: ﴿من خطبة النساء﴾ الخطبة التماس النكاح وهي مصدر خطب الرجل المرأة يخطب خطبة، وقال الأخفش: الخطبة الذكر، والخطبة التشهد فيكون معناه: فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن، ﴿أو أكننتم﴾ أضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ من نكاحهن يقال: أكننت الشيء وكننته لغتان، وقال ثعلب: أكننت الشيء أي أخفيته في نفسي وكننته سترته، وقال السدي: هو أن يدخل فيسلم ويهدي إن

(١) أخرجه ابن المبارك في كتاب النكاح، ورواه الدارقطني من رواية محمد بن الصلت عن عبد الرحمن بن سليمان، وهو ابن الغسيل.. انظر: الكافي الشافي لابن حجر ص ٢١.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

شاء ولا يتكلم بشيء ﴿علم الله أنكم ستذكرونهنّ﴾ بقلوبكم ﴿ولكن لا تواعدوهن سراً﴾ اختلفوا في السر المنهي عنه فقال قوم: هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزنية وهو يتعرض بالنكاح ويقول لها: دعيني فإذا أوفيت عدتك أظهرت نكاحك، هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال زيد بن أسلم: أي لا ينكحها سراً فيمسكها فإذا حلت أظهر ذلك.

وقال مجاهد: هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك، وقال الشعبي والسدي لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره، وقال عكرمة: لا ينكحها ولا يخطبها في العدة.

قال الشافعي: السر هو الجماع، وقال الكلبي: أي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول آتيك الأربعة والخمسة وأشباه ذلك، ويذكر السر ويراد به الجماع قال امرىء القيس:

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ القَـومِ أنني   كبرتُ وأَلَّا يُحْسِنُ السِرَّ أَمْثَالِـي

وإنما قيل للزنا والجماع سر لأنه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة.

قوله تعالى: ﴿إلا أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة.

قوله تعالى: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ أي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله أي: حتى تنقضي العدة وسماها الله كتاباً لأنها فرض من الله كقوله تعالى: «كتب عليكم» أي فرض عليكم ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ أي فخافوا الله ﴿واعلموا أن الله غفور حليم﴾ لا يعجل بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة﴾ أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا، نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهراً ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله ﷺ: / «متعها ولو بقلنسوتك»[1]. ٤٠/أ

قرأ حمزة والكسائي ﴿ما لم تماسوهن﴾ بالألف ههنا وفي الأحزاب على المفاعلة لأن بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه كما قال الله تعالى: «من قبل أن يتماسا» (٣ ـــ المجادلة) وقرأ الباقون ﴿تمسوهن﴾

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص ٢١: «لم أجده».

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

بلا ألف لأن الغشيان يكون من فعل الرجل دليله قوله تعالى: «ولم يمسسني بشر» (٤٧ ــ آل عمران).

قوله تعالى: ﴿**أو تفرضوا لهن فريضة**﴾ أي توجبوا لهن صداقاً فإن قيل فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قيل: الطلاق قطع سبب الوصلة وجاء في الحديث «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»(١).

فنفى الجناح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة، وقيل: لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضاً كانت المرأة أو طاهراً لأنه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض ﴿**ومتعوهن**﴾ أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد ﴿**على الموسع**﴾ أي على الغني ﴿**قدره وعلى المقتر**﴾ أي الفقير ﴿**قدره**﴾ اي إمكانه وطاقته قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص قدره بفتح الدال فيهما وقرأ الآخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل: القدْر بسكون الدال المصدر وبالفتح الاسم، متاعاً: نصب على المصدر أي متعوهن ﴿**متاعاً بالمعروف**﴾ أي بما أمركم الله به من غير ظلم ﴿**حقاً على المحسنين**﴾، وبيان حكم الآية أن من تزوج امرأة ولم يفرض لها مهراً ثم طلقها قبل المسيس تجب لها المتعة بالاتفاق وإن طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الأكثرين ولها نصف المهر المفروض.

واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة إلى أنه لا متعة لها لأنها تستحق المهر وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنها تستحق المتعة لقوله تعالى «وللمطلقات متاع بالمعروف» (٢٤١ ــ البقرة) وهو قول عبد الله بن عمر وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد وإليه ذهب الشافعي لأن استحقاقها المهر بمقابلة ما أتلف عليها من منفعة البضع فلها المتعة على وحشة الفراق، فعلى القول الأول لا متعة إلا لواحدة وهي المطلقة قبل الفرض والمسيس، وعلى القول الثاني لكل مطلقة متعة إلا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، وقال عبد الله بن عمر: لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها ولم يمسها زوجها فحسبها نصف المهر.

قال الزهري: متعتان يقضي بإحداهما السلطان ولا يقضي بالأخرى بل تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى.

---

(١) سبق تخريجه، عند قوله تعالى «فإن خفتم ألا يقيما حدود الله».

فأما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل الفرض والمسيس وهو قوله تعالى ﴿**حقاً على المحسنين**﴾، والتي تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضي بها السلطان فهي المطلقة بعد المسيس وهو قوله تعالى: ﴿**حقاً على المتقين**﴾.

وذهب الحسن وسعيد بن جبير إلى أن لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الفرض والمسيس أو بعد الفرض قبل المسيس لقوله تعالى: «وللمطلقات متاع بالمعروف» (٢٤١ — البقرة) ولقوله تعالى في سورة الأحزاب: «فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً» (٤٩ — الأحزاب)، وقالا: معنى قوله تعالى ﴿**لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهنَّ فريضة**﴾ أي أو لم تفرضوا لهن فريضة، وقال بعضهم: المتعة غير واجبة والأمر بها أمر ندب واستحباب.

وروي أن رجلاً طلق امرأته وقد دخل بها فخاصمته إلى شريح في المتعة فقال شريح: لا تأب أن تكون من المحسنين ولا تأب أن تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك.

واختلفوا في قدر المتعة فروي عن ابن عباس: أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب، درع وخمار وإزار، ودون ذلك وقاية أو شيء من الوَرِق وبه قال الشعبي والزهري وهذا مذهب الشافعي، وقال: أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها أقل ما لَه ثمن، وحسن ثلاثون درهماً، وطلق عبد الرحمن بن عوف امرأته وحَمَّمَها جارية سوداء أي متعها ومتع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم فقالت: «متاع قليل من حبيب مفارق».

وقال أبو حنيفة رحمه الله: مبلغها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والآية تدل على أنه يعتبر حال الزوج في العسر واليسر، ومن حكم الآية: أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح، وللمرأة مطالبته بأن يفرض لها صداقاً، فإن دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وإن طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة، وإن مات أحدهما قبل الفرض والدخول اختلف أهل العلم في أنها هل تستحق المهر أم لا ؟ فذهب جماعة إلى أنه لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم إلى أن لها المهر لأن الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في ايجاب مهر المثل إذا لم يكن في العقد مسمى وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعودٌ: لها صداق نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله ﷺ في بِرْوَع بنت واشق امرأة منا مثل

ما قضيت ففرح بها ابن مسعود رضي الله عنه(١).

وقال الشافعي رحمه الله: فإن ثبت حديث بِرْوَع بنت واشق فلا حجة في قول أحد دون قول النبي ﷺ وإن لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث، وكان علي يقول: في حديث بِرْوَع لا يقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض، وإن مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض، والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع، واختلف أهل العلم فيما لو خلا الرجل بامرأته ثم طلقها قبل أن يدخل بها فذهب قوم إلى أنه لا يجب لها إلا نصف الصداق، ولا عدة عليها لأن الله تعالى أوجب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر، ولم يوجب العدة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود وبه قال الشافعي رحمه الله.

وقال قوم: يجب لها كمال المهر، وعليها العدة، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا أُرخيت الستور فقد وجب الصداق، ومثله عن زيد بن ثابت، وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق إليها إذا سلمت نفسها لا على تقدير الصداق، وقيل هذه الآية ناسخة للآية التي في سورة الأحزاب «فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن» (٤٩ ــ الأحزاب) فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فنسخت بهذه الآية، وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها.

٤/ب / وقوله تعالى ﴿وقد فرضتم لهن فريضة﴾ أي سميتم لهن مهراً ﴿فنصف ما فرضتم﴾ أي لها نصف المهر المسمى ﴿إلا أن يعفون﴾ يعني النساء أي إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج.

قوله تعالى: ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ اختلفوا فيه: فذهب بعضهم إلى أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه، معناه: إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها إلى

---

(١) رواه أبو داود في النكاح ــ باب: فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات ٥١/٣ ــ ٥٣.
والترمذي: في النكاح ــ باب: ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، وقال حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح وقد روي عنه من غير وجه ٢٩٩/٤ ــ ٣٠١.
والنسائي: في النكاح ــ باب: إباحة التزوج بغير صداق: ١٢١/٦ ــ ١٢٢.
وابن ماجه: في النكاح ــ باب: الرجل يتزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك برقم (١٨٩١) ٦٠٩/١.
وابن حبان: برقم (١٢٦٣ ــ ١٢٦٤ ــ ١٢٦٥) ص ٣٠٨ من موارد الظمآن.
والإمام أحمد في المسند: ٢٧٩/٤ ــ ٢٨٠ عن ابن مسعود.
وانظر: نصب الراية: ٢٠١/٣ ــ ٢٠٢ التلخيص الحبير ١٩١/٣ ــ ١٩٢.
إرواء الغليل ٣٥٧/٦ ــ ٣٦٠.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩﴾

الزوج إن كانت ثيباً من أهل العفو، أو يعفو وليها فيترك نصيبها إن كانت المرأة بكراً أو غير جائزة الأمر فيجوز عفو وليها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهري وربيعة، وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكراً فإن كانت ثيباً فلا يجوز عفو وليها، وقال بعضهم: الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، وهو قول علي، وبه قال سعيد بن المسيَّب وسعيد بن جبير والشعبي وشريح ومجاهد وقتادة، وقالوا: لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق، بكراً كانت أو ثيباً كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق وكما لايجوز له أن يهب شيئاً من مالها، وقالوا: معنى الآية إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق، فعلى هذا التأويل وجه الآية: الذي بيده عقدة النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده **﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾** موضعه رفع بالابتداء أي فالعفو أقرب للتقوى، أي إلى التقوى، والخطاب للرجال والنساء جميعاً لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه: وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى **﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾** أي افضال بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، حثهما جميعاً على الإحسان **﴿إن الله بما تعملون بصير﴾**.

قوله تعالى: **﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾** أي واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها وإتمام أركانها، ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها، والوسطى تأنيث الأوسط، ووسط الشيء: خيره وأعدله واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم: هي صلاة الفجر، وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر، وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد، وإليه مال مالك والشافعي، لأن الله تعالى قال: **﴿وقوموا لله قانتين﴾** والقنوت طول القيام، وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام وبالقنوت لأن الله تعالى خصها في آية أخرى من بين الصلوات فقال الله: «وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً» (٧٨ ــ الإسراء)، يعني تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار، ولأنها بين صلاتي جمع وهي لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها.

وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر، وهو قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد، لأنها في وسط النهار وهي أوسط صلاة النهار في الطول.

أخبرنا عمر بن عبد العزيز أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود أنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر أنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم قال: سمعت الزبرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشدَّ على أصحاب النبي ﷺ منها، فنزلت: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾(١).

وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله ﷺ وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة رضوان الله عليهم وبه قال إبراهيم النخعي وقتادة والحسن.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما أنه قال: أمرتني عائشة أن اكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنّي ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾ فلما بلغتها آذنتها فأملت عليّ ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾ «صلاة العصر» ﴿**وقوموا لله قانتين**﴾(٢) قالت عائشة رضي الله عنها: سمعتها من رسول الله ﷺ وعن حفصة مثل ذلك.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر الرَّيَّاني أنا حميد بن زنجويه أخبرنا أبو نعيم أنا سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: قلنا لعبيدة سل علياً عن الصلاة الوسطى فسأله فقال: كنا نرى أنها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الخندق: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً»(٣) ولأنها صلاتي نهار وصلاتي ليل، وقد خصها النبي ﷺ بالتغليظ.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسلم بن ابراهيم أنا هشام أنا يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال: كنا مع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: عن زيد بن ثابت ٥/١٨٣.
وأبو داود في الصلاة باب وقت العصر: ١/٢٤٠.
والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/١٦٧.
والطبري في التفسير: ٥/٢٠٦، والبيهقي: ١/٤٥٨، وعزاه السيوطي أيضاً للبخاري في تاريخه الكبير وأبي يعلى والطبراني، انظر: الدرالمنثور: ١/٧٢٠، تفسير الطبري بتعليق محمود شاكر ٥/٢٠٧.

(٢) رواه مسلم: في المساجد ــ باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر برقم (٦٢٩) ١/٤٣٧.
والمصنف في شرح السنة ٢/٢٣٢.

(٣) رواه البخاري: في تفسير سورة البقرة ــ باب: حافظوا على الصوات والصلاة الوسطى : ٨/١٩٥.
ومسلم: في المساجد ــ باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصبر برقم (٦٢٧) ١/٤٣٦.
والمصنف في شرح السنة: ٢/٢٣٣ ــ ٢٣٤.

بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال: بكِّروا بصلاة العصر فإن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»(١).

وقال قبيصة بن ذؤيب: هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا بأكثرها، ولم ينقل عن أحد من السلف أنها صلاة العشاء وإنما ذكرها بعض المتأخرين لأنها بين صلاتين لا تقصران، وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها، أبهمها الله تعالى تحريضاً للعباد على المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى الاسم الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها.

قوله تعالى: ﴿**وقوموا لله قانتين**﴾ أي مطيعين، قال الشعبي وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاووس؛ والقنوت: الطاعة، قال الله تعالى «أمة قانتاً» (١٢٠ ــ النحل) أي مطيعاً.

وقال الكلبي ومقاتل: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين، وقيل القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا أحمد بن منيع أنا هشيم أنا اسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن شُبَيْل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه إلى جنبه حتى نزلت ﴿**وقوموا لله قانتين**﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام(٢).

وقال مجاهد: خاشعين، وقال: من القنوت طول الركوع وغض البصر والركود وخفض الجناح، كان العلماء إذ قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً، وقيل: المراد من القُنوت طول القيام.

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا ابن
٤١/أ أبي عمر أنا سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر قال: قيل للنبي ﷺ / أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»(٣) وقيل ﴿**قانتين**﴾ أي داعين.

---

(١) رواه البخاري: في المواقيت: باب: من ترك العصر ٣١/٢ وباب التبكير في الصلاة في يوم غيم.
والمصنف في شرح السنة: ٢١٣/٢ ــ ٢٣٧.

(٢) رواه البخاري: في العمل في الصلاة ــ باب: ما ينهى من الكلام في الصلاة ٣ /٧٣ وفي التفسير.
ومسلم: في المساجد ــ باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة برقم (٥٣٩) ٣٨٣/١.

(٣) رواه مسلم: في صلاة المسافرين ــ باب: أفضل الصلاة طول القنوت برقم (٧٥٦) ٥٢٠/١.
والمصنف في شرح السنة: ١٥٢/٣ ــ ١٥٣.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾

دليله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً يدعو على أحياء من سليم على رعل وذكوان وعصيةً،[(١)] وقيل معناه مصلين لقوله تعالى «أمن هو قانت آناء الليل» (٩ — الزمر) أي مصلٍ.

قوله تعالى: ﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً﴾ (فرجالاً) أي رجالة، يقال: راجل ورجال مثل صاحب وصحاب وقائم وقيام ونائم ونيام ﴿أو ركباناً﴾ على دوابهم وهو جمع راكب، معناه إن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين للصلاة حقها لخوف فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركباناً على ظهور دوابكم، وهذا في حال المقاتلة والمسايفة يصلي حيث كان وجهه راجلاً أو راكباً مستقبل القبلة وغير مستقبلها ويومىء بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع، وكذلك إذا قصده سبع أو غشيه سيل يخاف منه على نفسه َفعدا أمامه مصلياً بالايماء يجوز.

والصلاة في حال الخوف على أقسام فهذه صلاة شدة الخوف وسائر الأقسام سيأتي بيانها في سورة النساء إن شاء الله تعالى، ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم، وروى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة[(٢)] وهو قول عطاء وطاووس والحسن ومجاهد وقتادة: أنه يصلي في حال شدة الخوف ركعة، وقال سعيد بن جبير: إذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضاً فقل «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر واذكر الله فتلك صلاتك» ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله﴾ أي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم﴾ يا معشر الرجال ﴿ويذرون﴾ أي يتركون ﴿أزواجاً﴾ أي زوجات ﴿وصية لأزواجهم﴾ قرأ أهل البصرة وابن عامر وحمزة وحفص وصيةً بالنصب على معنى

---

(١) رواه البخاري في الوتر — باب: القنوت قبل الركوع وبعده ٢/٤٩٠ ورواية البخاري عن أنس قال «قنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو على رعلٍ وذكوان وقد روى الحديث أحمد وأبو داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات.
والمصنف في شرح السنة: ٣/١٢٢.

(٢) رواه مسلم: في المسافرين — باب: صلاة المسافرين وقصرها برقم (٦٨٧) ١/٤٧٩.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ٢٤١ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢٤٢﴾

فليوصوا وصية، وقرأ الباقون بالرفع أي كتب عليكم الوصية ﴿**متاعاً إلى الحول**﴾ متاعاً نصب على المصدر أي متعوهن متاعاً، وقيل: جعل الله ذلك لهن متاعاً، والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنها وما تحتاج إليه ﴿**غير إخراج**﴾ نصب على الحال، وقيل بنزع حرف على الصفة أي من غير إخراج، نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته فمات، فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي ﷺ والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيئاً، وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولاً كاملاً، وكانت عدة الوفاة في ابتداء الإسلام حولاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، ولم يكن لها الميراث، فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن، ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشر.

قوله تعالى: ﴿**فإن خرجن**﴾ يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة ﴿**فلا جناح عليكم**﴾ يا أولياء الميت ﴿**فيما فعلن في أنفسهن من معروف**﴾ يعني التزين للنكاح، ولرفع الجناح عن الرجال وجهان:

أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة إذا خرجن قبل انقضاء الحول.

والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيَّرها الله تعالى بين أن تقيم حولاً ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج فلا نفقة ولا سكنى إلى أن نسخه بأربعة أشهر وعشر.

﴿**والله عزيز حكيم * وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين**﴾ إنما أعاد ذكر المتعة هاهنا لزيادة معنى، وذلك أن في غيرها بيان حكم غير الممسوسة، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة، وقيل: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره**﴾ إلى قوله ﴿**حقاً على المحسنين**﴾ (٢٣٦ ـــ البقرة) قال رجل من المسلمين: أن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: ﴿**وللمطلقات متاع**﴾ جعل المتعة لهن بلام التمليك فقال: ﴿**حقاً على المتقين**﴾ يعني المؤمنين المتقين الشرك، ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون**﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم**﴾ قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها: داوردان قِبلَ واسط بها وقع الطاعون، فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة، فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها، وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح[1] فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا فماتوا جميعاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ[2] بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[3] فرجع عمر من سرغ، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: إنما فروا من الجهاد وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم، فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم: إن الأرض التي تأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء، فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فراراً من الموت فلما رأى الملك ذلك قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك، فلما خرجوا قال لهم الله تعالى: موتوا، عقوبة لهم، فماتوا جميعاً وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا

(١) واسعاً.
(٢) بفتح أوله وسكون ثانيه ثم غين معجمة والمهملة لغة فيه: أول الحجاز وآخر الشام، وقيل: قرية بوادي تبوك انظر مرصد الإطلاع ٢/٧٠٧ ـــ ٧٠٨.
(٣) رواه البخاري: في الطب باب: ما يذكر في الطاعون ١٠/١٧٩.
ومسلم: في السلام ـــ باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٩) ٤/١٧٤٢.

عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها[١].

واختلفوا في مبلغ عددهم، قال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف، وقال وهب: أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي: ثمانية آلاف، وقال أبو روق: عشرة آلاف، وقال السدي: بضعة وثلاثون ألفاً، وقال ابن جريج: أربعون ألفاً، وقال عطاء ابن أبي رباح: سبعون ألفاً، وأولى الأقاويل: قولُ من قال كانوا زيادة على عشرة آلاف، لأن الله تعالى قال «وهم ألوف» والألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف، ولا يقال لما دون عشرة آلاف ألوف، قالوا: فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبي يقال له حزقيل بن بودى ثالث خلفاء بني اسرائيل من بعد موسى عليه السلام، وذلك أن القيم بأمر بني اسرائيل كان بعد موسى يوشع بن نون[٢] ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه
كانت عجوزاً فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها، قال / الحسن ٤١/ب
ومقاتل: هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لأنه تكفل بسبعين نبياً وأنجاهم من القتل، فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجباً فأوحى الله تعالى إليه تريد أن أريك آية؟ قال نعم: فأحياهم الله وقيل: دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم.

وقال مقاتل والكلبي: هم كانوا قوم حزقيل أحياهم الله بعد ثمانية أيام، وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال: يارب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيداً لا قوم لي، فأوحى الله تعالى إليه: أني جعلت حياتهم إليك، قال حزقيل: إحيوا بإذن الله فعاشوا.

قال مجاهد: إنهم قالوا حين أحيوا، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم وعاشوا دهراً طويلاً وسحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وانها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح، قال قتادة:

(١) ذكر ابن عطية رحمه الله بعض الروايات في ذلك ثم قال: وهذا القصص كله ليِّن الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمداً ﷺ أخباراً في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم ليروا هم وكل من خلف بعدهم: أن الإماتة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف، ولا اغترار مغتر.

وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين، من أمة محمد ﷺ، بالجهاد، هذا قول الطبري، وهو ظاهر وصف الآية، ولموردي القصص في هذه القصة زيادات اختصرتها لضعفها»، المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٤٥/٢.

(٢) ذكر ابن كثير ــ رحمه الله هذا القول عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وقال: قال: ابن جرير يعني أفرايم بن يوسف بن يعقوب وهذا القول بعيد لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل، وكان ذلك في زمان داود عليه السلام كما هو مصرح به في القصة، وقد كان بين داود وموسى ماينيف على ألف سنة والله أعلم.
ابن كثير: ٥٣٣/١ بتخريج الوادعي.

مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثوا ليستوفوا مدة آجالهم [ولو جاءت آجالهم](١) ما بعثوا فذلك قوله تعالى: ﴿**ألم تر**﴾ أي ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب.

قال أهل المعاني: هو تعجيب يقول هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان؟ وكل ما في القرآن أم تر ولم يعاينه النبي ﷺ، فهذا وجهه ﴿**ألم تر إلى الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف**﴾ جمع ألف وقيل مؤتلفة قلوبهم جمع آلف مثل قاعد وقعود، والصحيح أن المراد منه العدد ﴿**حذر الموت**﴾ أي خوف الموت ﴿**فقال لهم الله موتوا**﴾ أمر تحويل كقوله «كونوا قردة خاسئين» (٦٥ ـــ البقرة) ﴿**ثم أحياهم**﴾ بعد موتهم ﴿**إن الله لذو فضل على الناس**﴾ قيل هو على العموم في حق الكافة في الدنيا، وقيل على الخصوص في حق المؤمنين ﴿**ولكن أكثر الناس لا يشكرون**﴾ أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر.

﴿**وقاتلوا في سبيل الله**﴾ أي في طاعة الله أعداء الله ﴿**واعلموا أن الله سميع عليم**﴾ قال أكثر أهل التفسير: هذا خطاب للذين أحيوا أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا، وقيل: الخطاب لهذه الأمة، أمرهم بالجهاد.

قوله تعالى: ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً**﴾ القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه، فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ماوعدهم من الثواب قرضاً، لأنهم يعملونه لطلب ثوابه، قال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيىء، وأصل القرض في اللغة القطع، سمي به القرض لأنه يقطع من ماله شيئاً يعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازه: من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه، كقوله تعالى: «إن الذين يؤذون الله ورسوله» (٥٧ ـــ الأحزاب) أي يؤذون عباد الله، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة يابنَ آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي»(٢).

وقوله عز وجل: ﴿**يقرض الله**﴾ أي ينفق في طاعة الله ﴿**قرضاً حسناً**﴾ قال الحسين بن علي الواقدي: يعني محتسباً، طيبة بها نفسه، وقال ابن المبارك: من مال حلال وقيل لا يمن به ولا يؤذي ﴿**فيضاعفه له**﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب ﴿**فيضعفه**﴾ وبابه بالتشديد، ووافق أبو عمرو في سورة الأحزاب وقرأ الآخرون ﴿**فيضاعفه**﴾ بالألف مخففاً وهما لغتان، ودليل التشديد قوله

(١) ساقط من «أ».

(٢) رواه مسلم: في البر ـــ باب: فضل عيادة المريض برقم (٢٥٦٩) ٤/١٩٩٠.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

﴿**أضعافاً كثيرة**﴾ لأن التشديد للتكثير، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء، وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام، وقيل بإضمار أن، وقرأ الآخرون برفع الفاء نسقاً على قوله: يقرض ﴿**أضعافاً كثيرة**﴾ قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقيل سبعمائة ضعف ﴿**والله يقبض ويبسط**﴾ قرأ أهل البصرة وحمزة يبسط، هاهنا وفي الأعراف، بسطة، بالسين كنظائرهما، وقرأهما الآخرون بالصاد قيل يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقتير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض بقبول التوبة والصدقة ويبسط بالخلف والثواب، وقيل هو الإحياء والإماتة فمن أماتة فقد قبضه ومن مدَّ له في عمره فقد بسط له، وقيل هذا في القلوب، لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، قال: يقبض بعض القلوب فلا ينشط بخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيراً كما جاء في الحديث «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»(١) الحديث.

﴿**وإليه ترجعون**﴾ أي إلى الله تعودون فيجزيكم بأعمالكم، قال قتادة: الهاء راجعة إلى التراب كناية عن غير مذكور، أي من التراب خلقهم وإليه يعودون.

قوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الملأ من بني اسرائيل**﴾ والملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم، وأصل الملأ الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه، كالقوم والرهط والإبل والخيل والجن وجمعه أملاء ﴿**من بعد موسى**﴾ أي من بعد موت موسى ﴿**إذ قالوا لنبي لهم**﴾ واختلفوا في ذلك النبي فقال قتادة هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقال السدي: اسمه شمعون، وإنما سمي شمعون، لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب الله دعاءها فولدت غلاماً فسمته سمعون تقول سمع الله تعالى دعائي والسين تصير شيناً بالعبرانية، وهو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب، وقال سائر المفسرين: هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة، وقال مقاتل: هو من نسل هارون، وقال مجاهد: هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة.

---

(١) رواه مسلم: في القدر ــ باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم (٢٦٥٤) ٤/٢٠٤٥.
والمصنف في شرح السنة ١/١٦٥.

وقال وهب وابن إسحاق والكلبي وغيرهم: كان سبب مسألتهم إياه ذلك لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون، يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله، ثم عظمت الأحداث في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس نبياً فدعاهم إلى الله تعالى، وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة، ثم خلف من بعد إلياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله، وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلشَاثَا، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة
٤٢/أ فظهروا على / بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعين وأربعمائة غلاماً، فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم، ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدير أمرهم، وكان سبط النبوة قد هلكوا، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيتٍ رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لِما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً، فسمته اشمويل تقول: سمع الله تعالى دعائي، فكبر الغلام فأسلمته ليتعلم التوراة في بيت المقدس فكفله شيخ من علمائهم وتبناه، فلما بلغ الغلام أتاه جبريل وهو نائم إلى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحداً فدعاه جبريل بلحن الشيخ يااشمويل، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ فقال: له يا أبتاه دعوتني؟ فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يابني ارجع فنم، فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام ياأبت دعوتني؟ فقال ارجع فنم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني (فرجع الغلام فنام)(١) فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله عز وجل قد بعثك فيهم نبياً، فلما أتاهم كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم تَنَلْك، وقالوا له: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، آية من نبوتك، وإنما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لأنبيائهم، فكان الملك هو الذي يسير بالجموع، والنبي يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه، قال وهب بن منبه: بعث الله تعالى اشمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل: ﴿**ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله**﴾ جزم على جواب الأمر فلما قالوا ذلك ﴿**قال هل عسيتم**﴾ استفهام شك.

قرأ نافع: عسيتم بكسر السين كل القرآن، وقرأ الباقون بالفتح وهي اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى: (عسى ربكم) ﴿**إن كتب**﴾ فرض ﴿**عليكم القتال**﴾ مع ذلك الملك ﴿**أن لا تقاتلوا**﴾ أن لاتفوا بما تقولوا معه ﴿**قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله**﴾ فإن قيل فما وجه دخول أن في هذا الموضع والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل وإنما يقال مالك لا تفعل؟ قيل: دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان

(١) ساقط من ب، ومن المطبوع.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

فالإثبات كقوله تعالى: «مالك أن لا تكون مع الساجدين» (٣٢ ـــ الحجر) والحذف كقوله تعالى: «ما لكم لا تؤمنون بالله» (٨ ـــ الحديد) وقال الكسائي: معناه وما لنا في أن لا نقاتل فحذف «في» وقال الفراء: أي وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل الله كقوله تعالى: «ما منعك أن لا تسجد» (١٢ ـــ الأعراف) وقال الأخفش: «أن» هاهنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله **﴿وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾** أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم، ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم وإنما أخرج من أسر منهم، ومعنى الآية أنهم قالوا مجيبين لنبيهم: إنما كنَّا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا وأولادنا.

قال الله تعالى: **﴿فلما كُتب عليهم القتال تولوا﴾** أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله **﴿إلا قليلاً منهم﴾** وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغَرفة على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، **﴿والله عليم بالظالمين﴾** .

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ وذلك أن اشمويل سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فأتى بعصا وقرن[١] فيه دهن القدس وقيل: له إن صاحبكم الذي يكون مَلِكاً طوله طول هذه العصا وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش[٢] الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم، وكان طالوت اسمه بالعبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين ابن يعقوب سمي طالوت لطوله وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبيه، وكان رجلاً دباغاً يعمل الأديم[٣] قاله وهب، وقال السدي: كان رجلاً سقاء يسقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه، وقيل كان خربندجا، وقال وهب: بل ضلت حُمُر لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له في طلبها فمر ببيت إشمويل فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا، فدخلا عليه فبينا هما عنده يذكران له شأن الحمر إذ نش الدهن الذي في القرن فقام إشمويل عليه السلام فقاس

(١) أراد القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها.
(٢) نش الماء ينش نشاً ونشيشاً: إذا صوت عند الغليان.
(٣) الجلد أول ما يدبغ فإذا رد في الدباغ مرة أخرى فهو اللديم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

طالوت بالعصا فكانت طوله، فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس، ثم قال له: انت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت: أما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل؟ (قال بلى)[1] قال فبأي آية قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك.

ثم قال لبني اسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴿قالوا أنّى يكون له الملك علينا﴾ أي من أين يكون له الملك علينا ﴿ونحن أحق﴾ أولى ﴿بالملك منه﴾ وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان: سبط نبوة وسبط مملكة، فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من أحدهما إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم وكانوا يسمونه سبط الإثم، فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا عليه لأنه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو فقير ﴿ولم يؤت سعة من المال، قال إن الله اصطفاه﴾ اختاره ﴿عليكم وزاده بسطة﴾ فضيلة وسعة ﴿في العلم والجسم﴾ وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته وقيل: إنه أتاه الوحي حين أوتي الملك، وقال الكلبي (وزاده بسطة في العلم) بالحرب وفي (الجسم) بالطول وقيل الجسم بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ قيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم العالم، وقيل العالم بما كان والعليم بما يكون فقالوا له: فما آية ملكه؟ فقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فذلك قوله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾. وكانت قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الأنبياء عليهم السلام، وكان من عود الشمشاذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم إلى أن مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثها أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه، فكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام، ثم تداولته

---

(١) ساقط من (أ).

أنبياء بني اسرائيل إلى وقت إشمويل وكان فيه ما ذكر الله تعالى[1]: ﴿فيه سكينة من ربكم﴾ اختلفوا في السكينة / ما هي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ريح خَجُوجٌ هفَّافة لها رأسان ووجه ٤٢/ب
كوجه الإنسان، وعن مجاهد: شيء يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان، وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد فكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هي طست من ذهب من الجنة كان يُغسل فيه قلوب الأنبياء، وعن وهب بن منبه قال: هي روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء تخبرهم ببيان ما يريدون[2]، وقال عطاء بن أبي رباح: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، وقال قتادة والكلبي: السكينة فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا[3] ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون﴾ يعني موسى وهرون أنفسهما كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت.

وكان السبب في ذلك أنه كان لعيلى العالم الذي ربى إشمويل عليه السلام ابنان شابان وكان عيلى حبرهم وصاحب قربانهم فأحدث ابناه في القربان شيئاً لم يكن فيه وذلك أنه كان لعيلى منوط القربان الذي كانوا ينوطونه به كلابين، فما أخرجا كان للكاهن الذي ينوطه، فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فأوحى الله تعالى إلى إشمويل عليه السلام انطلق إلى عيلى فقل له منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن أن يحدثا في قرباني وقدسي وأن يعصياني فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك وإياهم، فأخبر إشمويل عيلى بذلك ففزع فزعاً شديداً فسار إليهم عدو ممن حولهم

---

(١) هذا الكلام عن التابوت وهيئته وتوارثه... إلخ ليس فيه شيء ثابت عن النبي ﷺ، ولو ثبت ما جاء في التفسير له عن بعض الصحابة أو التابعين، فإنه يبقى محتملاً للصدق والكذب، لأن ثبوت القول ونسبته للصحابي في هذه الأمور لا يعني صحته في واقع الأمر، وعلى كل حال لا يتوقف فهم الآيات الكريمة على شيء مما ذكر، والله أعلم.

(٢) ليس في السنة الثابتة عن النبي ﷺ ما يدل على شيء من هذا التفسير للسكينة، وهي منقولة عن أهل الكتاب، ولسنا بحاجة إلى شيء من ذلك لتفسير الآية الكريمة، وانظر: الاسرائيليات والموضوعات للشيخ أبي شهبة ص (٢٤٠).

(٣) قال ابن عطية، رحمه الله، مرجحاً هذا المعنى: «والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك، وتأنس به وتقوى، فالمعهود أن الله ينصر الحق والأمور الفاضلة عنده، والسكينة على هذا: فَعِيْلَة مأخوذة من السكون، كما يقال: عزم عزيمة، وقطع قطيعة».
المحرر الوجيز لابن عطية: ٢/٣٦١.
وانظر: تفسير الطبري: ٥/٣٢٩ ـ ٣٣٠.

فأمر ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيؤوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه وأخبره أن الناس قد انهزموا وأن ابنيك قد قتلا، قال فما فعل التابوت؟ قال ذهب به العدو، فشهق ووقع على قفاه من كرسيه ومات فمرج أمر بني اسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً فسألوه البينة فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت.

وكانت قصة التابوت، أن الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه في بيت صنم لهم، ووضعوه تحت الصنم الأعظم، فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمَّروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم أن إله بني اسرائيل لا يقوم له شيء، فأخرجوه إلى قرية كذا فبعث الله على أهل تلك القرية فأراً فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتاً قد أكلت ما في جوفه فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه في مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فتحيروا، فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني اسرائيل من أولاد الأنبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم، فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فأقبلا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد بني إسرائيل ورجعا إلى أرضهما فلم يرع بني إسرائيل إلا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله[1] فذلك قوله تعالى ﴿**تحمله الملائكة**﴾ أي تسوقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم، وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت فأقروا بملكه ﴿**إن في ذلك لآية**﴾ لعبرة ﴿**لكم إن كنتم مؤمنين**﴾قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن

(١) كل هذا من أخبار بني إسرائيل الذين غيّروا وبدّلوا، فالله أعلم بصحتها.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ
فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا
الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن
فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة(١).

﴿**فلما فصل طالوت بالجنود**﴾ أي خرج بهم، وأصل الفصل: القطع، يعني قطع مستقره شاخصاً إلى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود، وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفاً لم يتخلف عنه إلا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو معذور لعذره، وذلك أنهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا حاجة لي في كل ما أرى، لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا أبتغي إلا الشباب النشيط الفارغ فاجتمع له ثمانون ألفاً ممن شرطه وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم فقالوا: إن المياه قليلة لا تحملنا فادع الله أن يجري لنا نهراً.

﴿**قال**﴾ طالوت ﴿**إن الله مبتليكم**﴾ مختبركم ليرى طاعتكم ـــ وهو أعلم ـــ ﴿**بنهر**﴾ قال ابن عباس والسدي: هو نهر فلسطين، وقال قتادة نهر بين الأردن وفلسطين عذب ﴿**فمن شرب منه فليس مني**﴾ أي ليس من أهل ديني وطاعتي ﴿**ومن لم يطعمه**﴾ لم يشربه ﴿**فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده**﴾ **قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «غرفة» بفتح الغين وقرأ الآخرون بضم الغين وهما لغتان، قال الكسائي:** الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غرف، والغرفة: بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر ﴿**فشربوا منه إلا قليلاً منهم**﴾ نصب على الاستثناء واختلفوا في القليل الذين لم يشربوا، فقال

---

(١) يقول الشيخ أبو شهبة رحمه الله: «والذي نقطع به، ويجب الإيمان به: أنه كان في بني إسرائيل تابوت ـــ أي صندوق ـــ من غير بحث في حقيقته، وهيئته، ومن أين جاء، إذ ليس في ذلك خبر صحيح عن المعصوم، وأن هذا التابوت كان فيه مخلفات من مخلفات موسى وهارون ـــ عليهما السلام ـــ مع احتمال أن يكون تعيين ذلك في بعض ما ذكرنا آنفا ـــ مما سبق في البغوي وغيره من روايات ـــ وأن هذا التابوت كان مصدر سكينة وطمأنينة لبني اسرائيل، ولا سيما عند قتالهم عدوهم، وأنه عاد إلى بني اسرائيل، تحمله الملائكة، من غير بحث في الطريق التي حملته بها الملائكة، وبذلك: كان التابوت آية دالة على صدق طالوت في كونه ملكاً عليهم، وما وراء ذلك من الأخبار التي سمعتها: لم يقم عليها دليل»، انظر: الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٤٣.
وأما الأستاذ سيد قطب، رحمه الله، فقد أعرض عن كل هذه الروايات الاسرائيلية، ليعرض لنا ما توحي إليه الايات الكريمة من دروس مستخلصة من تجارب تلك الأمم السابقة، مما جاء القرآن الكريم لتثبيته في النفوس المؤمنة وتربيتها عليه، انظر: في ظلال القرآن: ٢/٢٦٠ وما بعدها، طبع دار الشروق.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾

السدي: كانوا أربعة آلاف وقال غيره: ثلاثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة[1].

٤٣/أ ويروى ثلاثمائة وثلاثة عشر / فلما وصلوا إلى النهر وقد أُلْقي عليهم العطش فشرب منه الكل إلا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالماً وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودَّت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح.

وقيل كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال إلا الذين لم يشربوا **﴿فلما جاوزه﴾** يعني النهر **﴿هو﴾** يعني طالوت **﴿والذين آمنوا معه﴾** يعني القليل **﴿قالوا﴾** يعني الذين شربوا وخالفوا أمر الله، وكانوا أهل شك ونفاق **﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي: فانحرفوا ولم يجاوزوا **﴿قال الذين يظنون﴾** يستيقنون **﴿أنهم ملاقوا الله﴾** وهم الذين ثبتوا مع طالوت **﴿كم من فِئة﴾** جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعه فئات وفئون في الرفع وفئين في الخفض والنصب **﴿قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾** بقضائه وإرادته **﴿والله مع الصابرين﴾** بالنصر والمعونة.

﴿ولما برزوا﴾ يعني طالوت وجنوده يعني المؤمنين **﴿لجالوت وجنوده﴾** المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى **﴿قالوا ربنا أفرغ علينا﴾** أَنزِل واصبب **﴿صبراً وثبت أقدامنا﴾** قوِّ قلوبنا **﴿وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله﴾** أي بعلم الله تعالى **﴿وقتل داود جالوت﴾** وصفة قتله: قال أهل التفسير[2]:

(١) رواه البخاري في المغازي: باب: عدة أصحاب بدر. ٧/٢٩٠.

(٢) هذه الأقوال عن أهل التفسير بمجملها من الاسرائيليات، ونحن في غنية عنه مما في أيدينا من الكتاب والسنة، وليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ما يدل على ما ذكروه، ولسنا في حاجة إلى شيء من هذا في فهم القرآن وتدبره، فلا تُلْقِ إليه بالاً... وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن ذلك مما ذكر في الإسرائيليات انظر تفسير ابن كثير ١/٥٣٧ طبع دار الأرقم. الاسرائيليات والموضوعات لشيخ أبي شهبة ص ٢٤٨ — ٢٤٩.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ
ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود في ثلاثة عشر ابناً له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال لأبيه يوماً يأبتاه ما أرمي بقذافتي شيئاً إلا صرعته فقال: أبشر يا بني فإن الله جعل رزقك في قذافتك، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبته فأخذت بأذنيه فلم يهجني، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير يريده الله بك ثم أتاه يوماً آخر فقال: يأبتاه إني لأمشي بين الجبال فأسبح فما يبقى جبل إلا سبح معي، فقال: أبشر يابني فإن هذا خير أعطاكه الله تعالى فأرسل جالوت إلى طالوت أن ابرز إلي أو أبرز إلي من يقاتلني فإن قتلني فلكم ملكي وإن قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوَّجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا الله في ذلك، فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه ويكون على رأسه كهيئة الإكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه، فدعا طالوت بني إسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحى الله إلى نبيهم أنّ في ولد إيشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت إيشا فقال: اعرض عليَّ بنيك فأخرج له اثنى عشر رجلاً أمثال السواري[(١)] فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئاً فقال: لإيشا هل بقي لك ولد غيرهم فقال لا، فقال النبي: يارب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم، فقال كذب، فقال النبي: إنَّ ربي كذبك فقال: صدق الله يا نبي الله إن لي ابناً صغيراً يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته (فخلَّفته)[(٢)] في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا، وكان داود رجلاً قصيراً مسقاماً[(٣)]

(١) جمع سارية: وهي الأسطوانة، من حجارة أو آجر، وفي الحديث أنه نهى أن يصلي بين السواري، وذلك في صلاة الجماعة، من أجل انقطاع الصف.

(٢) في أ فجعلته.

(٣) رجل مسقام، وامرأة مسقام أيضاً: أي كثير السقم لا يكاد يبرأ.

مصفاراً[١] أزرق[٢] أمعر[٣]، فدعاه طالوت، ويقال: بل خرج طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح إليها. فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه قال: هذا هو لاشك فيه، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي قال: نعم قال: وهل آنست من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله؟ قال: نعم، أنا أرعى فيجيء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم إليه فأفتح لحييه عنها وأضرقها إلى قفاه، فرده إلى عسكره، فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه الحجر يادواد احملني فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا، فحمله في مخلاته، ثم مر بحجر آخر فقال: احملني فإني حجر موسى الذي قتل بي ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته، ثم مر بحجرآخر فقال: احملني فإني حجرك الذي تقتل بي جالوت فوضعه في مخلاته، فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة انتدب له داود فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريباً ثم انصرف إلى الملك فقال: من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال: ما شأنك؟ فقال: إن الله إن لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح شيئاً، فدعني أقاتل كما أريد، قال: فافعل ما شئت قال: نعم، فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الرجال وأقواهم، وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة[٤] فيها ثلاثمائة رطل حديد فلما نظر إلى داود أُلْقِي في قلبه الرعب فقال له: أنت تبرز إلي؟ قال: نعم.

وكان جالوت على فرس أبلق[٥] عليه السلاح التام، قال: فأتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب؟ قال: نعم أنت شر من الكلب، قال لاجرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء قال داود: أو يقسم الله لحمك، فقال داود: باسم إله إبراهيم وأخرج حجراً ثم أخرج الآخر وقال: باسم إله إسحاق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجراً واحداً ودوَّر داود المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً، وهزم الله تعالى الجيش وخرَّ جالوت قتيلاً فأخذه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت، ففرح المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داودُ طالوتَ وقال أنجز لي ما وعدتني، فقال: أتريد ابنة الملك بغير صداق؟ فقال داود: ما

---

(١) من قولهم اصفار لونه: غلبته الصفرة، وذلك من المرض والضعف.

(٢) يريد أزرق العينين، وكانت العرب تتشاءم من الزرق.

(٣) قليل الشعر.

(٤) لباس الرأس في الحرب.

(٥) سواد وبياض وارتفاع التحجيل إلى الفخذين.

شرطت على صداقاً وليس لي شيء فقال لا أكلِّفك إلا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غُلْفٌ[1] فإذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحداً منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت فألقى إليه وقال ادفع إلي امرأتي فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود وأحبوه وأكثروا ذكره، فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت رجلٌ يقال له ذو العينين فقالت لداود إنك مقتول في هذه الليلة قال: ومن يقتلني؟ قالت أبي / قال وهل أجرمت جرماً قالت: حدثني من لا يكذب ولا عليك أن تغيب الليلة حتى ننظر ٤٣/ب
مصداق ذلك، فقال: لئن كان أراد الله ذلك لا أستطيع خروجاً ولكن ائتيني بزق[2] خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه[3] ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها: أين بعلك؟ فقالت: هو نائم على السرير فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الشراب قال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر، وخرج.

فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال: إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني ثأره فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه الحجبة وفتح له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه، فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله ثم خرج، فلما استيقظ طالوت بَصُر بالسهام فعرفها فقال: يرحم الله تعالى داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكفَّ عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه، فلما كانت القابلة أتاه ثانياً وأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هدب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارى، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشي في البرية فقال: اليوم أقتله فركض على أثره، فاشتد داود وكان إذا فزع لم يدرك، فدخل غاراً فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسج عليه بيتاً فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال: لو كان دخل هاهنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى، فانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبَّد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلا قتله، وأغرى بقتل العلماء فلم يكن يقدر علي عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله، حتى أتي بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها

(١) جمع أغلف، وهو الذي لم يختتن.

(٢) الزق: (بكسر الزاي) جلد شاة يسلخ من رجل واحدة، ومن قبل رأسه وعنقه، ثم يعالج حتى يكون سقاء، وكانوا أكثر ما يتخذونه للخمر.

(٣) غطاه ومد عليه ثوباً.

الخباز وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس.

وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي: أنشد الله عبداً يعلم أن لي توبة إلا أخبرني بها، فلما أكثر عليهم ناداه مناد من القبور ياطالوت أما ترضى أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتاً فازداد بكاء وحزناً فرحمه الخباز فقال: مالك أيها الملك؟ قال: هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله هل لي من توبة فقال الخباز: إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال: لا تتركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال لأصحابه: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقالوا له: وهل تركت ديكاً نسمع صوته؟ ولكن هل تركت عالماً في الأرض؟ فازداد حزناً وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال له: أرأيتك إن دللتك على عالم لعلك أن تقتله قال: لا فتوثق عليه الخباز فأخبره أن المرأة العالمة عنده قال: انطلق بي إليها أسألها هل لي من توبة ؟ وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الأعظم فإذا فنيت رجالهم علمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز إنها إذا رأتك فزعت فخلفه خلفه ثم دخله عليها فقال لها: ألست أعظم الناس مِنَّةً عليك أنجيتك من القتل وآويتك، قالت: بلى، قال: فإن لي إليك حاجة هذا طالوت يسأل هل لي من توبة؟ فغشي عليها من الفَرَق فقال لها: إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة؟ قالت: لا والله لا أعلم لطالوت توبة، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي؟ فانطلق بهما إلى قبر إشمويل فصلت ودعت ثم نادت يا صاحب القبر فخرج إشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر إليهم ثلاثتهم قال: ما لكم أقامت القيامة؟ قالت: لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة؟ قال إشمويل: يا طالوت ما فعلت بعدي؟ قال: لم أدع من الشر شيئاً إلا فعلته وجئت أطلب التوبة قال: كم لك من الولد؟ قال عشرة رجال، قال: ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله، ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم، ثم رجع إشمويل إلى القبر وسقط ميتاً، ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم: أرأيتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تفدونني؟ قالوا: نعم نفديك بما قدرنا عليه قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا: فاعرض علينا فذكر لهم القصة، قالوا: وإنك لمقتول قال: نعم، قالوا: فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت، فتجهز بماله وولده فتقدَّم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم حتى قتل فجاء قاتله إلى داود ليبشره وقال: قتلت عدوك فقال داود: ما أنت بالذي تحيا بعده، فضرب عنقه، وكان ملك طالوت إلى أن قُتِل أربعين سنة وأتى بنو إسرائيل إلى داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم.

قال الكلبي والضحاك: ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود فذلك قوله تعالى: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ يعني: النبوة؛ جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن من قبل، بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو العلم مع العمل.

قوله تعالى: ﴿وعلمه مما يشاء﴾ قال الكلبي وغيره يعني: صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده، وقيل منطق الطير (وكلام الحكل)[1] والنمل والكلام الحسن وقيل هو الزبور وقيل هو الصوت الطيب والألحان فلم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته، وكان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء (الجاري)[2] ويسكن الريح.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة، فعلم داود ذلك الحدث، ولا يمسها ذو عاهة إلا برىء، وكانوا يتحاكمون إليها بعد داود عليه السلام إلى أن رفعت، فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقاً أتى السلسلة فمن كان صادقاً مد يده إلى السلسلة فتناولها، ومن كان كاذباً لم ينلها
فكانت كذلك إلى أن ظهر بهم المكر والخديعة فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلًا / جوهرة ثمينة ٤٤/أ
فلما استردها أنكر فتحاكما إلى السلسلة، فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكازة فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهرة: رد علي الوديعة فقال صاحبه: ما أعرف لك عندي من وديعة فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة، فتناولها بيده فقيل للمنكر قم أنت فتناولها فقال لصاحب الجوهرة: خذ عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها عنده ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها فقال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها عليَّ قد وصلت إليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة.

قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب ﴿دفاع الله﴾ بالألف هاهنا وفي سورة الحج، وقرأ الآخرون بغير الألف لأن الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدافع وحده، ومن قرأ بالألف قال: قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدفاع، قال ابن عباس ومجاهد: ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين، وخربوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها، ولكن الله

(١) من ب، والحكل: مالا يسمع له صوت.
(٢) ساقط من (أ).

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه أنا أبو بكر بن خرجة أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي أنا يحيى بن سعيد العطار أنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض»[1] **﴿لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾**.

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾ أي كلمه الله تعالى يعني موسى عليه السلام **﴿ورفع بعضهم درجات﴾** يعني محمداً ﷺ، قال الشيخ الإمام رحمة الله عليه: وما أوتي نبي آية إلا وقد أوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل: انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على مفارقته، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى، وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء وأهل الأرض عن الإتيان بمثله.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس بن محمد بن إسحاق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد، أنا الليث بن سعد عن سعيد بن أبي

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير: ٥/٣٧٤، وفيه يحيى بن سعيد العطار، ضعّفه ابن معين وغيره، وقال أبو داود: «جائز الحديث» وقال محمد بن مصفّى الحمصي الحافظ: ثقة. وترجمه البخاري في الكبير، فلم يذكر فيه جرحاً.
وقال ابن كثير بعد عزو الحديث للطبري: هذا إسناد ضعيف فإن يحيى بن سعيد ضعيف جداً، التفسير ١/٥٣٧، دار الأرقم وعزاه الهيثمي للطبراني في الكبير والأوسط، وقال: فيه يحيى بن سعيد وهو ضعيف انظر: مجمع الزوائد: ٨/١٦٣ — ١٦٤، فيض القدير: ٢/٢٦١.

سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد ابن إسماعيل، أنا محمد بن سنان، أخبرنا(٢) هشيم، أنا سيار، أنا يزيد الفقير، أنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(٣).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقيّ أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الله ابن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر، أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»(٤).

قوله تعالى: **﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم﴾** أي من بعد الرسل **﴿من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن﴾** ثبت على إيمانه بفضل الله **﴿ومنهم من كفر﴾** بخذلانه **﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾** أعاده تأكيداً **﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾** يوفق من يشاء فضلاً، ويخذل من يشاء عدلاً.

سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر؟ فقال: طريق مظلم لا تسلكه، فأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه، فأعاد السؤال، فقال: سر الله في الأرض قد خفي عليك فلا تفتشه(٥).

(١) أخرجه البخاري: في الإعتصام بالكتاب والسنة ـ باب: قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم ٢٤٧/١٣ وفي فضائل القرآن.
ومسلم: في الايمان ـ باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ برقم (٢٣٩) ١٣٤/١.
والمصنف في شرح السنة ١٩٥/١٣ ـ ١٩٦.

(٢) ساقط من «أ» والتصحيح من شرح السنة للمصنف، وفي المخطوط يسار بدلاً من سيار.

(٣) أخرجه البخاري: في أول كتاب التيمم ـ الباب الأول ٤٣٦/١ وفي كتاب الصلاة وفي الجهاد وفي بدء الخلق والأنبياء ومسلم: في المساجد برقم (٥٢١) ٣٧٠/١ ـ ٣٧١
والمصنف في شرح السنة ١٩٦/١٣.

(٤) أخرجه مسلم: في المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٣) ٣٧١/١ وفي رواية أخرى بعثت بجوامع الكلم.
والمصنف في شرح السنة ١٩٧/١٣.

(٥) رواه الآجري في الشريعة ص (٢٠٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: ٦٢٩/٤.

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ
وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ
حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ
بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم**﴾ قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير ﴿**من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه**﴾ أي لا فداء فيه، سماه بيعاً لأن الفداء شراء نفسه ﴿**ولا خلة**﴾ لا صداقة ﴿**ولا شفاعة**﴾ إلا بإذن الله، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة كلها بالنصب، وكذلك في سورة إبراهيم (الآية ٣١) «لا بيعَ فيه ولا خلالَ» وفي سورة الطور (الآية ٢٣) «لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ» وقرأ الآخرون كلها بالرفع والتنوين ﴿**والكافرون هم الظالمون**﴾ لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

قوله عز وجل: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي شيبة أنا عبد الأعلى عن الجريري عن أبي السليل[1] عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أبا المنذر أيُّ آية من كتاب الله أعظم» قلت ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ قال فضرب في صدري ثم قال: «لِيَهْنِكَ العلم» ثم قال: «والذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية لساناً وشفتين تقدّس المَلِك عند ساق العرش»[2].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو: أخبرنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني مُحتاج وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة قال: فخليت سبيله

---

(١) أبي السليل: هو ضريب بن نُقير ويقال نُقيل أبو السليل القيسي الجريري البصري، قال إسحاق بن منصور: عن يحيى بن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات: تهذيب التهذيب ج ٤ ــ ص ٤٠١.

(٢) أخرجه مسلم: في صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨١٠) ١/١٥٦ برواية مختلفة.
والمصنف في شرح السنة ٤/٤٥٩. وقوله: (ليهنك العلم) أي: ليكن العلم هنيئاً لك.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

فأصبحت / فقال رسول الله ﷺ «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟» قلت : يارسول الله ٤٤/ب
شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال ولا أعود، فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال: لي رسول الله ﷺ: «ياأبا هريرة ما فعل أسيرك» قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة» قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي؟ قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ وقال: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص الناس على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة» قلت: لا قال «ذاك شيطان»(١).

أخبرنا عبد الواحد المليحى أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر هو المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (٢ ــ غافر) حفظ في يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح»(٢).

(١) أخرجه البخاري في الوكالة، باب إذا وكّل رجلاً فترك الوكيل شيئاً.. ٤٨٦/٤ ــ ٤٨٧، وفي بدء الخلق ــ باب صفة إبليس وجنوده ٣٣٥/٦ ــ ٣٣٦ وفي فضائل القرآن.
والمصنف في شرح السنة ٤٦٠/٤.

(٢) أخرجه الترمذي: في فضائل القرآن ــ باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي ١٨٢/٨ وقال هذا حديث غريب.
وفي سنده عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكه (بالتصغير) كما في المغني وهو ضعيف من السابعة ــ التقريب. ميزان الاعتدال ٢ /٥٥٠.

قوله تعالى: ﴿الله﴾ رفع بالإبتداء وخبره في ﴿لا إله إلا هو الحي﴾ الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى ﴿القيوم﴾ قرأ عمر وابن مسعود «القيام» وقرأ علقمة «القيم» وكلها لغات بمعنى واحد، قال مجاهد ﴿القيوم﴾ القائم على كل (شيء)[1] وقال الكلبي: القائم على كل نفس بما كسبت وقيل هو القائم بالأمور. وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ السِّنَة: النعاس وهو النوم الخفيف، والوسنان بين النائم واليقظان يقال منه وسن يسن وسناً وسنة والنوم هو الثقيل المزيل للقوة والعقل، قال المفضل الضبي: السِّنة في الرأس والنوم في القلب، فالسِّنة أول النوم وهو النعاس، وقيل السِّنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزه عن الآفات ولأنه تغير ولا يجوز عليه التغير.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله ابن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، ولكنه يخفض القسط، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[2]. ورواه المسعودي عن عمرو بن مرة وقال: حجابه النار.

﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ مِلْكاً وخَلْقاً **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾** بأمره **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾** قال مجاهد وعطاء والسدي: **﴿ما بين أيديهم﴾** من أمر الدنيا **﴿وما خلفهم﴾** من أمر الآخرة، وقال الكلبي: **﴿ما بين أيديهم﴾** يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها **﴿وما خلفهم﴾** الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم ما مضى أمامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم، ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم أي ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي ما قدموه من خير أو شر وما خلفهم ما هم فاعلوه **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾** أي من علم الله **﴿إلا بما شاء﴾** أن يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل كما قال الله تعالى: (فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) (٣٦ ـ الجن) قوله تعالى: **﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾** أي ملأ وأحاط به، واختلفوا في الكرسي فقال الحسن: هو العرش نفسه

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه مسلم: في الإيمان ــ باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه برقم (١٧٩) ١/١٦١ ــ ١٦٢.
والمصنف في شرح السنة: ١/١٧٣.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الكرسي موضوع أمام العرش ومعنى قوله: «وسع كرسيه السموات والأرض» أي سعته مثل سعة السموات والأرض، وفي الأخبار أن السموات والأرض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة، والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة. ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن السماوات السبع والأرضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس[١].

وقال علي ومقاتل: كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع، وهو بين يدي العرش، ويحمل الكرسي أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام، ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام، وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور وهو يسأل للإنعام الرزق من السنة إلى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد يسأل للسباع الرزق من السنة إلى السنة، [وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل الرزق للطير من السنة إلى السنة][٢] وفي بعض الأخبار أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد بالكرسي علمه[٣] وهو قول مجاهد، ومنه قيل لصحيفة العلم كراسه، وقيل: كرسيه ملكه وسلطانه، والعرب تسمى الملك القديم كرسياً، ﴿**ولا يؤده**﴾ أي لا يثقله ولا يشق عليه يقال: آدني الشي أي أثقلني ﴿**حفظهما**﴾ أي حفظ السموات والأرض ﴿**وهو العلي**﴾ الرفيع فوق خلقه والمتعالى عن الأشياء والأنداد، وقيل العلي بالملك والسلطنة ﴿**العظيم**﴾ الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة، (المقلاة من النساء)[٢] لا يعيش لها ولد وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتُهَوِّدَنَّه

---

(١) أورده الطبري في التفسير برواية أخرى قال: حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» ٣٩٩/٥.
ورواه محمد بن أبي شيبة في كتاب العرش، وعزاه ابن كثير لابن مردوية، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ١٤٩/٢ وفيه إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني: متروك كذبه أبو حاتم وأبو زرعة، وطرق الحديث كلها واهية، فلا تعتضد لضعفها، انظر: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص ٢٨٣.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) نقل ذلك عنه الطبري في التفسير: ٣٩٧/٥ ــ ٣٩٨، والبيهقي في الأسماء والصفات، فقال: «وروينا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «علمه».
ثم قال: وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش، انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ١٣٤/٢ ــ ١٣٥.

٤٥/أ فإذا عاش ولدها جعلته في اليهود، فجاء الإسلام وفيهم منهم / فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا: هم أبناؤنا وإخواننا فنزلت هذه الآية ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ فقال رسول الله ﷺ «خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم»(١).

وقال مجاهد: كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبنَّ معهم ولندينَنَّ بدينهم، فمنعهم أهلوهم، فنزلت ﴿**لا إكراه في الدين**﴾(٢).

وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بن سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي ﷺ ثم قدمًا المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تسلما، فتخاصما إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر فأنزل الله تعالى ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ فخلى سبيلهما(٣).

وقال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم إلا الإسلام، فلما أسلموا طوعاً أو كرها أنزل الله تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا أو يقروا بالجزية فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الإسلام، وقيل كان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنهما، ﴿**قد تبين الرشد من الغي**﴾ أي الإيمان من الكفر والحق من الباطل ﴿**فمن يكفر بالطاغوت**﴾ يعني الشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل كل ما يطغي الإنسان، فاعول من الطغيان، زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل، كقولهم حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدلة من هاء التأنيث ﴿**ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾ أي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى: ﴿**لا انفصام لها**﴾ لا انقطاع لها ﴿**والله سميع**﴾ قيل: لدعائك إياهم إلى الإسلام ﴿**عليم**﴾ بحرصك على إيمانهم.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٤٠٩/٥ ـــ ٤١٠ عن سعيد بن جبير مرسلاً، والبيهقي في السنن: ١٨٦/٩، ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.
وأخرج الواحدي بسنده قطعة منه دون قول النبي ﷺ « قد خيِّر أصحابكم.... أسباب النزول ص٧٧.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٧٨، تفسير الطبري ٤١١/٥، وفي أسباب النزول للواحدي ص ٧٧ قال مجاهد: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له: صُبَيح، وكان يكرهه على الإسلام.

(٣) عزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص(٢٣) للواحدي في أسباب النزول وكذلك البغوي، وهو عند الواحدي في ص ٧٨ دون سند.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**الله ولي الذين آمنوا**﴾ ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: وليُّ هدايتهم ﴿**يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ أي من الكفر إلى الإيمان، قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام، «وجعل الظلمات والنور» فالمراد منه الليل والنهار، سمي الكفر ظلمه لالتباس طريقه وسمي الإسلام نوراً لوضوح طريقه ﴿**والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت**﴾ قال مقاتل: يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة ﴿**يخرجونهم من النور إلى الظلمات**﴾ يدعونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكراً ومؤنثاً وواحداً وجمعاً، قال تعالى في المذكر والواحد: «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به» (٦٠ ــ النساء) وقال في المؤنث: «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها» (١٧ ــ الزمر) وقال في الجمع: ﴿**يخرجونهم من النور إلى الظلمات**﴾ فإن قيل: قال: يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟ قيل: هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته، فلما بعث كفروا به، وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفار، قالوا: منعهم إياهم من الدخول فيه إخراج كما يقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه، كما قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: «إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله» (٣٧ ــ يوسف) ولم يكن قط في ملتهم ﴿**أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾.

قوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه**﴾ معناه هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل، وهو نمرود وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ ﴿**أن آتاه الله الملك**﴾ أي لأن آتاه الله الملك فطغى أي كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملك الأرض أربعة، مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبختنصر.

واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه بالنار فقال له: من ربك الذي تدعونا إليه؟ فقال: ربي الذي يحيى ويميت، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار، وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون[1] من عنده الطعام، فكان إذا

(١) يجلبون الطعام.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك؟ فإن قال أنت، باع منه الطعام، فأتاه إبراهيم فيمن أتاه فقال له نمرود: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيى ويميت، فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئاً فرجع إبراهيم فمر على كثيب من رمل أعفر فأخذ منه تطيبياً لقلوب أهله إذا دخل عليهم، فلما أتى أهله ووضع متاعه نام، فقامت أمرأته إلى متاعه ففتحته فإذا هو أجود طعام ما رآه أحد، فأخذته فصنعت له منه فقربته إليه فقال: من أين هذا؟ قالت من الطعام الذي جئت به فعرف أن الله رزقه، فحمد الله.

قال الله تعالى: ﴿**إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت**﴾ [وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له: من ربك؟ فقال إبراهيم ﴿**ربي الذي يحيى ويميت**﴾][(1)] قرأ حمزة ﴿**ربي الذي يحيى ويميت**﴾ بإسكان الياء وكذلك «حرم ربي الفواحش» (٣٣ ـــ الاعراف) و «عن آياتي الذين يتكبرون» (١٤٦ ـــ الأعراف) و «قل لعبادي الذين» (٣١ ـــ إبراهيم) و «آتاني الكتاب» (٣٠ ـــ مريم) و «مسني الضر» (٨٣ ـــ الأنبياء) و «عبادي الصالحون» (١٠٥ ـــ الأنبياء) و «عبادي الشكور» (١٣ ـــ سبأ) و «مسني الشيطان» (٤١ ـــ ص) و «إن أرادني الله» (٣٨ ـــ الزمر) و «إن أهلكني الله» (٢٨ ـــ الملك) أسكن الياء فيهن حمزة، ووافق ابن عامر والكسائي في «لعبادي الذين آمنوا» وابن عامر «آياتي الذين» وفتحها الآخرون، ﴿**قال**﴾ نمرود ﴿**أنا أحيي وأميت**﴾.

قرأ أهل المدينة (أنا) بإثبات الألف والمد في الوصل إذا تلتها ألف مفتوحة أو مضمومة والباقون بحذف الألف، ووقفوا جميعاً بالألف، قال أكثر المفسرين: دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء له، فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، لا عجزاً، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالاحياء إحياء الميت فكان له أن يقول: فأحي من أمتَّ إن كنت صادقاً فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى.

﴿**قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر**﴾ أي تحير

---

(١) ساقط من (ب).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

ودهش وانقطعت حجته. فإن قيل: كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قيل: إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه السلام ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.

قوله تعالى: ﴿**أو كالذي مر على قرية**﴾ وهذه الآية منسوقة على الآية الأولى، تقديره ﴿**ألم تر إلى الذي / حاج إبراهيم**﴾ وإلى الذي مر على قرية، وقيل: تقديره هل رأيت الذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت الذي مر على قرية؟ واختلفوا في ذلك المارِّ، فقال قتادة وعكرمة والضحاك: هو عزير بن شرخيا، وقال وهب بن منبه: هو أرميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون، وهو الخضر وقال مجاهد: هو كافر شك في البعث، واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقتادة: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الأرض المقدسة، وقال الكلبي: هي دير سابر أباد، وقال السدي: سلما باذ، وقيل: ديرهرقل، وقيل: هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقيل: هي قرية العنب، وهي على فرسخين من بيت المقدس ﴿**وهي خاوية**﴾ ساقطة يقال: خوي البيت بكسر الواو يخوي خوىً، مقصوراً، إذا سقط وخوَى البيت بالفتح خواءً ممدوداً إذا خلا ﴿**على عروشها**﴾ سقوفها، واحدها عرش وقيل: كل بناء عرش، ومعناه: أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها. ٤٥/ب

﴿**قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها**﴾ وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن إسحاق بن منبه[1] أن الله تعالى بعث إرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل يسدده في ذلك ويأتيه بالخبر من الله عز وجل، فعظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى إلى ارمياء: أن ذكِّر قومك نعمي وعرفهم أحداثهم وادعهم إليَّ، فقال إرمياء إني ضعيف إن لم تقوِّني، عاجز إن لم تبلغني، مخذول إن لم تنصرني، فقال الله عز وجل: أنا ألهمك، فقام إرمياء فيهم ولم يدرِ ما يقول فألهمه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة بيَّنَ لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني

(١) القصة في الطبري: ٥/٤٤٧ ــ ٤٥٤، ووهب بن منبه رحمه الله ولد سنة أربع وثلاثين مشهور في الرواية عن الاسرائيليات، فعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام ولهما عن أبي هريرة نسخة مشهورة أكثرها في الصحاح، رواها عنه معمر توفي سنة أربع عشرة ومائة، انظر تذكرة الحفاظ ١/١٠٠ سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤.

أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم، ولأسلطنَّ عليهم جباراً فارسياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله تعالى إلى إرمياء إني مهلك بني إسرائيل بيافث، ويافث من أهل بابل، وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، فلما سمع إرمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرعه وبكاءه ناداه: ياإرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك قال: نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل مالا أسر به فقال الله تعالى: وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قِبَلِكَ، ففرح إرمياء بذلك وطابت نفسه، فقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل، ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً صالحاً فاستبشر وفرح فقال: إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن عفا عنا فبرحمته.

ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقلَّ الوحي، ودعاهم الملك إلى التوبة، فلم يفعلوا، فسلط الله عليهم بختنصر، فخرج في ست مائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما فصل سائراً أتى الملك الخبر، فقال لإرمياء: أين مازعمت أن الله أوحى إليك؟ فقال إرمياء: إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل بعث الله إلى إرمياء ملكاً قد تمثل له رجلاً من بني إسرائيل فقال له إرمياء: من أنت؟ قال: أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم آت اليهم إلا حُسْناً ولا يزيدهم إكرامي إياهم إلا إسخاطاً لي فأفتني فيهم، قال: أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير. فانصرف المَلَك فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي، فقال له إرمياء: ماطهرت أخلاقهم لك بعد؟ قال: يانبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحمة إلا قدمتها إليهم وأفضل، فقال له النبي إرمياء عليه السلام: ارجع فأحسن إليهم أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم، فقام الملك، فمكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو إسرائيل فقال ملكهم لإرمياء: يا نبي الله أين ما وعدك الله. قال: إني بربي واثق، ثم أقبل المَلَكَ إلى إرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه عز وجل الذي وعده، فقعد بين يديه فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين، فقال النبي: ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال الملك: يا نبي الله كل شي كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، فاليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله: فقال النبي: على أي عمل رأيتهم؟ قال: على عمل عظيم من سخط الله فغضب الله وأتيتك لأخبرك، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبياً إلا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم، فقال إرمياء: يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم، فلما خرجت الكلمة من فم إرمياء، أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها، فلما رأى ذلك إرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على

رأسه وقال: يا مالك السموات أين ميعادك الذي وعدتني؟ فنودي أنه لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك ودعائك، فاستيقن النبي عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسول الله ﷺ فطار إرمياء حتى خالط الوحوش.

ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً فيقذفه في بيت المقدس، ففعلوا حتى ملؤوه، ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عندهم صغيرهم وكبيرهم من بني إسرائيل، فاختار منهم سبعين ألف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا، وفرق من بقى من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلثاً قتلهم، وثلثاً سباهم، وثلثاً أقرَّهم بالشام، وكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله في بني إسرائيل بظلمهم فلما ولّى عنهم بختنصر راجعاً إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل إرمياء على حمار له معه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشى إيلياء، فلما وقف عليها ورأى خرابها قال: ﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾؟.

وقال الذي قال إن المارَّ كان عزيراً: إن بختنصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبي بني إسرائيل ببابل كان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً، وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة، واعتصر من العنب فشرب منه، وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: ﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ قالها تعجباً لا شكاً / في البعث. ٤٦

رجعنا إلى حديث وهب قال: ثم ربط إرمياء حماره بحبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره، وعصيره وتينه عنده فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد، وذلك ضحىً، ومنع الله السباع والطير لحمه، فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء حتى يعود أعمر ما كان، فانتدب الملك بألف قهرمان[1] مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه، فأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت دماغه، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل، ولم يمت ببابل وردهم جميعاً إلى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه، وسائر جسده ميت، ثم أحيا جسده وهو ينظر إليه، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بِيْضٌ، تلوح فسمع صوتاً من السماء: أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع بعضها إلى بعض، واتصل بعضها ببعض ثم نودي: إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً،

(١) فارسي معرب، وهو من أمناء الملك.

فكانت كذلك ثم نودي: إن الله يأمرك أن تحيا، فقام بإذن الله ونهق، وعمّر الله إرمياء فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى: ﴿**فأماته الله مائة عام ثم بعثه**﴾ أي أحياه ﴿**قال كم لبثت**﴾ أي: كم مكثت؟ يقال: لما أحياه الله بعث إليه ملكاً فسأله كم لبثت؟ ﴿**قال لبثت يوماً**﴾ وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس، فقال: لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال ﴿**أو بعض يوم**﴾ بل بعض يوم ﴿**قال**﴾ له الملَك ﴿**بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك**﴾ يعني التين ﴿**وشرابك**﴾ يعني العصير ﴿**لم يتسنه**﴾ أي لم يتغير، فكان التين كأنه قطف من ساعته، والعصير كأنه عصر من ساعته.

قال الكسائي: كأنه لم تأت عليه السنون. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لم يتسنّ بحذف الهاء في الوصل وكذلك «فبهداهم اقتده» (٩٠ ــ الأنعام) وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلًا ووقفاً، فمن أسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال: أصله يتسنى فحذف الياء بالجزم وابدل منه هاء في الوقف وقال ابو عمرو: هو من التسنن بنونين: وهو التغير كقوله تعالى: «من حمأ مسنون» (٢٦ ــ الحج) أي متغير فعوضت من أحدى النونين ياء كقوله تعالى: «ثم ذهب إلى أهله يتمطىٰ» (٣٣ ــ القيامة) أي يتمطط، وكقوله «وقد خاب من دساها» (١٠ ــ الشمس) وأصله دسَّيتها، ومن أثبت الهاء في الحالين جعل الهاء أصلية لام الفعل، وهذا على قول من جعل أصل السنة السنهة وتصغيرها سنيهة والفعل من السانهة وإنما قال: لم يتسنه ولم يثنه مع أنه أخبر عن شيئين رد التغيير إلى أقرب اللفظين وهو الشراب واكتفى بذكر أحد المذكورين لأنه في معنى الآخر ﴿ **وانظر إلى حمارك** ﴾ فنظر فإذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر ﴿ **ولنجعلك آية للناس** ﴾ قيل الواو زائدة مقحمة . وقال الفراء أدخلت الواو فيه دلالة على أنها شرط لفعل بعدها معناه ولنجعلك آية أي : عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين، وقال الضحاك وغيره : إنه عاد إلى قريته شاباً وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس واللحية.

قوله تعالى: ﴿**وانظر إلى العظام كيف ننشزها**﴾ قرأ أهل الحجاز والبصرة ننشرها بالراء معناه نحييها يقال: أنشر الله الميت إنشاراً ونشرة نشوراً قال الله تعالى: «ثم إذا شاء أنشره» (٢٢ ــ عبس) وقال في اللازم «وإليه النشور» (١٥ ــ الملك) وقرأ الآخرون بالزاي أي نرفعها من الأرض ونردها إلى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء رفعه وإزعاجه، يقال: أنشزته فنشز أي رفعته فارتفع.

واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أراد به عظام حماره، وقال السدي: إن الله تعالى أحيا عزيراً ثم قال له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله تعالى ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل وقد ذهبت بها الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر، فصار حماراً من

عظام ليس فيه لحم ولا دم ﴿ثم نكسوها لحماً﴾ ثم كسا العظام لحماً ودماً فصار حماراً لا روح فيه، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بإذن الله.

وقال قوم أراد به عظام هذا الرجل، وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره بل أماته هو فأحيا الله عينيه ورأسه، وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهيئته يوم ربطه حياً لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرُّمة(1) في عنقه جديدة لم تتغير، وتقدير الآية: ﴿وانظر إلى حمارك﴾ وانظر إلى عظامك كيف ننشزها وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديرهما: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ولنجعلك آية للناس.

وقال قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما أحيا الله تعالى عزيراً بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير: يا هذه هذا منزل عزير؟ قالت: نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً قال: فإني أنا عزير، قالت: سبحان الله فإن عزيراً قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال: فإني أنا عزير كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني، قالت: فإن عزيراً كان رجلاً مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية، فادع الله أن يرد لي بصري حتى أراك فإن كنت عزيراً عرفتك، فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحَّتا وأخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله تعالى، فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة، فنظرت إليه فقالت: أشهد أنك عزير، فانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابنٌ لعزير شيخ كبير ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس، فنادت هذا عزير قد جاءكم، فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجليّ وزعم أن الله كان أماته مائة سنة ثم بعثه، فنهض الناس فأقبلوا إليه فقال ولده: كان لأبي شامةٌ سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير.

وقال السدي والكلبي: لما رجع عزير إلى قومه وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق، فبكى عزير على التوراة فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبياً، فقال: أنا عزير فلم يصدقوه فقال: إني عزير قد بعثني الله إليكم لأجدد / لكم توراتكم قالوا: أمْلِهَا علينا، فأملاها عليهم من ظهر قلبه، فقالوا: ما جعل ٤٦/ب
الله التوراة في صدر رجل بعد ما ذهبت إلا أنه ابنه، فقالوا: عزير ابن الله، وستأتي القصة في سورة براءة إن شاء الله تعالى(2).

---

(1) بالضم، القطعة من الحبل.

(2) انظر: الدر المنثور: ٢/٢٧ـــ٢٨.

قوله تعالى: ﴿**فلما تبين له**﴾ ذلك عياناً ﴿**قال: أعلم**﴾ قرأ حمزة والكسائي مجزوماً موصولاً على الأمر على معنى قال الله تعالى له اعلم، وقرأ الآخرون أعلم بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزير أنه قال لما رأى ذلك أعلم ﴿**أنَّ الله على كل شيء قدير**﴾ .

قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموت**﴾ قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني وابن جريج: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام أنه مر على دابة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: في بحيرة طبرية، قالوا: فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر، فكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فما وقع منها يصير في البحر، فإذا جزر البحر ورجع جاءت السباع فأكلن منها فما سقط منها يصير تراباً فإذا ذهبت السباع، جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعتها الريح في الهواء، فلما رأى ذلك إبراهيم عليه السلام تعجب منها وقال: يارب قد علمت لتجمعنها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر فأرني كيف تحييها لأعاين فأزداد يقيناً، فعاتبه الله تعالى[1]: ﴿**قال أو لم تؤمن؟ قال بلى**﴾ يارب علمت وآمنت ﴿**ولكن ليطمئن قلبي**﴾ أي ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعاينة.

وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمرود فقال «ربي الذي يحيى ويميت» (٢٥٨ ــ البقرة) قال نمرود[2]: أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين، وأطلق الآخر، فقال إبراهيم: إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمرود: أنت عاينته، فلم يقدر أن يقول نعم فانتقل إلى حجة أخرى، ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى. ﴿**قال أوَ لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ بقوة حجتي فإذا قيل أنت عاينته فأقول نعم قد عاينته.

وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً سأل مَلَكُ الموت ربَّه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار، فدخل داره وكان إبراهيم عليه السلام أغير الناس إذا خرج أغلق بابه، فلما جاء وجد في داره رجلاً فثار عليه ليأخذه وقال له: من أذن لك أن تدخل داري؟ فقال: أذن لي رب هذه الدار، فقال إبراهيم: صدقت وعرف أنه ملك، فقال: من أنت؟ قالت: أنا ملك الموت جئت أبشرك بأن الله تعالى قد اتخذك خليلاً، فحمد الله عز وجل، وقال: فما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك، فحينئذ قال إبراهيم: ﴿**رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ أنك اتخذتني خليلاً وتجيبني إذا دعوتك[3].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٧٩.

(٢) نسب الواحدي هذا القول لمحمد بن إسحاق بن يسار، أسباب النزول ص (٨٠).

(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٨١.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل، أخبرنا أحمد بن صالح، أنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»(١).

وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن حرملة بن يحيى عن وهب بهذا الاسناد مثله وقال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيى الموتى»(٢).

حكي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث، لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى وإنما شكّا في أنه هل يجيبهما إلى ما سألا، وقال أبو سليمان الخطابي: ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم، اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما، يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس؛ وكذلك قوله: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال، وقيل: لما نزلت هذه الآية قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه.

قوله ﴿**أو لم تؤمن**﴾ معناه قد آمنت فلم تسأل؟، شهد له بالإيمان كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطَايا وأَنْدَى العَالَمِيْنَ بُطُونَ رَاح

يعني أنتم كذلك، ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين.

﴿**قال فخذ أربعة من الطير**﴾ قال مجاهد وعطاء وابن جريج: أخذ طاووساً وديكاً وحمامة وغراباً، وحكي عن ابن عباس رضي الله عنه: ونسراً بدل الحمامة.

وقال عطاء الخراساني: أوحى إليه أن خذ بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكاً أحمر ﴿**فصرهنَّ إليك**﴾ قرأ أبو جعفر وحمزة ﴿**فصِرهن اليك**﴾ بكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن، يقال صار

(١) أخرجه البخاري: في أحاديث الأنبياء ــ باب: قول الله عز وجل (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ٦/٤١٠ ــ ٤١١.
(٢) أخرجه مسلم: في الإيمان ــ باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة برقم (١٥١) ١/١٣٣. والمصنف في شرح السنة: ١/١١١.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

يصير صيراً إذا قطع، وانصار الشيء انصياراً إذا انقطع.

قال الفراء: هو مقلوب من صريت أصري صرياً إذا قطعت، وقرأ الآخرون ﴿فصُرهن﴾ بضم الصاد ومعناه أمِلهُنَّ إليك ووجههن، يقال: صرت الشيء أصوره إذا أملته، ورجل أصور إذا كان مائل العنق، وقال عطاء: معناه اجمعهنَّ واضممهن إليك يقال: صار يصور صوراً إذا اجتمع ومنه قيل لجماعة النحل صور، ومن فسره بالإمالة والضم قال فيه إضمار معناه فصرهن إليك ثم قطعهن فحذفه اكتفاءً بقوله: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ لأنه يدل عليه، وقال أبو عبيدة: فصرهن معناه قطعهن أيضاً، والصور القطع.

قوله تعالى: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر ﴿جزءاً﴾ مثقلاً مهموزاً، والآخرون بالتخفيف والهمز، وقرأ أبو جعفر مشددة الزاي بلا همز وأراد به بعض الجبال.

قال بعض المفسرين: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل، ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال.

واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعاً من كل طائر وقيل: جبل على جانب الشرق، وجبل على جانب الغرب، وجبل على جانب الشمال، وجبل على جانب الجنوب.

وقال ابن جريج والسدي: جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤوسهن ثم دعاهن:
٤٧/أ / تعالين بإذن الله تعالى، فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل عظم يصير إلى العظم الآخر، وكل بضعه تصير إلى الأخرى، وإبراهيم ينظر، حتى لقيت كل جثة بعضها بعضاً في السماء بغير رأس ثم أقبلن إلى رؤوسهن سعياً فكلما جاء طائر مال برأسه فإن كان رأسه دنا منه، وإن لم يكن تأخر، حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ﴿ثم ادعهن يأتينك سعياً﴾ قيل المراد بالسعي الإسراع والعَدْو، وقيل المراد به المشي دون الطيران كما قال الله تعالى «فاسعوا إلى ذكر الله» (٩ ـــ الجمعة) أي فامضوا، والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة والله أعلم. وقيل السعي بمعنى الطيران ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ فيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم ﴿كمثل﴾ زارع ﴿حبة﴾ وأراد بسبيل الله الجهاد، وقيل جميع أبواب الخير ﴿أنبتت﴾

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ
خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ
عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

أخرجت ﴿**سبع سنابل**﴾ جمع سنبلة ﴿**في كل سنبلة مائة حبة**﴾ فإن قيل فما رأينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به؟ قيل: ذلك متصور، غير مستحيل، ومالا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد، معناه: ﴿**في كل سنبلة مائة حبة**﴾ أن جعل الله فيها، وقيل هو موجود في الدُّخن، وقيل معناه أنها إن بذرت أنبتت مائة حبة، فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافاً إليها وكذلك تأوله الضحاك فقال: كل سنبلة أنبتت مائة حبة ﴿**والله يضاعف لمن يشاء**﴾ قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ما بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿**والله واسع**﴾ غني يعطي عن سعة ﴿**عليم**﴾ بنية من ينفق ماله.

قوله تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله**﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما، جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كانت عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم، وأربعة آلاف أقرضتها ربي، فقال له رسول الله ﷺ: بارك الله فيما أمسكت لك وفيما أعطيت، وأما عثمان فجهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها(١) وأحلاسها(٢) فنزلت فيهما هذه الآية.

وقال عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله ﷺ فرأيت النبي ﷺ يدخل فيها يده ويقلبها ويقول «ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»(٣) فأنزل الله تعالى ﴿**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله**﴾ في طاعة الله ﴿**ثم لا يتبعون ما أنفقوا**

(١) جمع قتَب وهو الإكاف على قدر سنام البعير ليركب أو يحمل عليه.
(٢) جمع حِلس وهو كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله.
(٣) رواه الترمذي: في المناقب ــ باب: ٧٦ ــ ١٠/١٩٣ وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.
وأحمد: في مسنده: ٥/٦٣ عن عبد الرحمن بن سمرة، وإسناده حسن.

منّاً﴾ وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول أعطيتك كذا، ويعدُّ نعمه عليه فيكدرها ﴿**ولا أذى**﴾ هو أن يعيره فيقول إلى كم تسأل وكم تؤذيني؟ وقيل من الأذى هو أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه.

وقال سفيان: ﴿**مناً ولا أذى**﴾ هو أن يقول قد أعطيتك وأعطيت فما شكرت، قالَ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكفَّ سلامك عنه، فحظر الله على عباده المنَّ بالصنيعة، واختص به صفة لنفسه، لأنه من العباد تعيير وتكدير ومن الله إفضال وتذكير ﴿**لهم أجرهم**﴾ أي ثوابهم ﴿**عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون * قول معروف**﴾ أي كلام حسن وردٌّ على السائل جميل، وقيل عِدَةٌ حسنة. وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لأخيه بظهر الغيب، وقال الضحاك: نزلت في إصلاح ذات البين ﴿**ومغفرة**﴾ أي تستر عليه خلته ولا تهتك عليه ستره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده ﴿**خير من صدقة**﴾ يدفعها إليه ﴿**يتبعها أذى**﴾ أي منّ وتعيير للسائل أو قول يؤذيه ﴿**والله غني**﴾ أي مستغن عن صدقة العباد ﴿**حليم**﴾ لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة.

قوله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم**﴾ أي أجور صدقاتكم ﴿**بالمنّ**﴾ على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمن على الله تعالى ﴿**والأذى**﴾ لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال ﴿**كالذي ينفق ماله**﴾ أي كإبطال الذي ينفق ماله ﴿**رئاء الناس**﴾ أي مراءاة وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه كريم سخي ﴿**ولا يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ يريد أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مراء ﴿**فمثله**﴾ أي مثل هذا المرائي ﴿**كمثل صفوان**﴾ وهو الحجر الأملس، وهو واحد وجمع، فمن جعله جمعاً فواحده صفوانة ومن جعله واحداً فجمعه صفي ﴿**عليه**﴾ أي على الصفوان ﴿**تراب فأصابه وابل**﴾ وهو المطر الشديد العظيم القطر ﴿**فتركه صلداً**﴾ أي أملس، والصلد الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي ويري الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله عز وجل كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلداً ﴿**لا يقدرون على شيء مما كسبوا**﴾ أي على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا ﴿**والله لا يهدي القوم الكافرين**﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا اسماعيل بن جعفر، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال «الرياء يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

جزاء»[(١)].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمد بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح، أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني أن عقبة بن مسلم حدثه أن شُفَيًّا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا؟ قال: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له: أنشدك الله بحق، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارىء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فقال: بلى يارب / قال : فماذا عملت فيما علمت:؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآنا النهار ، فيقول الله ٤٧/ب
له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان قاريء فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يارب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول له: فبماذا قتلت؟ فيقول: يارب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: ياأبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله﴾ أي طلب رضا الله تعالى **﴿وتثبيتاً**

---

(١) أخرجه أحمد: ٤٢٨/٥ ــ ٤٢٩ عن محمود بن لبيد.
ورواه ابن حبان في موارد الظمآن ٢٤٩٩ عن فضالة الأنصاري بمعناه. ص٦١٨.
وانظر: النهج السديد صفحة ٤٦.
وقال المنذري في الترغيب والترهيب إسناده جيد
والمصنف في شرح السنة: ٣٢٤/١٤.

(٢) رواه الترمذي: في الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة ٥٤/٧ وقال: هذا حديث حسن غريب وعزاه في تحفة الأحوذي لابن خزيمة في صحيحه، وفي سنده الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني لين الحديث (التقريب).

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ
لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ
نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ
وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

من أنفسهم﴾ قال قتادة: احتساباً، وقال الشعبي والكلبي: تصديقاً من أنفسهم، أي يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله، يعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا، وقيل على يقين بإخلاف الله عليهم.

وقال عطاء ومجاهد: يثبّتون أي يضعون أموالهم، قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبَّتَ فإن كان لله أمضى وإن كان يخالطه شك أمسك، وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبت، كقوله تعالى: «وتبتل إليه تبتيلاً (٨ ــ المزمل) أي تبتلاً، **﴿كمثل جنة﴾** أي بستان قال (المبرد)[1] والفراء: إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس **﴿بربوة﴾** قرأ ابن عامر وعاصم بربوة وإلى ربوة في سورة المؤمنون بفتح الراء وقرأ الأخرون بضمها وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى **﴿أصابها وابل﴾** مطر شديد كثير **﴿فآتت أكلها﴾** ثمرها، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتثقيل، وزاد نافع وابن كثير تخفيف أكله والأكل، وخفف أبو عمرو ورسلنا ورسلكم ورسلهم وسبلنا.

﴿ضعفين﴾ أي أضعفت في الحمل قال عطاء: حملت في السنة من الرَّيْع[2] ما يحمل غيرها في سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين **﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾** أي فَطَشٌ، وهو المطر الضعيف الخفيف ويكون دائماً.

قال السدي: هو الندى، وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فيقول: كما أن هذه الجنة تريع في كل حال ولا تخلف سواء قل المطر أو كثر، كذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمنّ ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد.

---

(١) ساقط من ب.
(٢) الغلة.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾

﴿والله بما تعملون بصير * أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى» [قوله أيود يعني: أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار][(١)].

﴿له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء﴾ أولاد صغار ضعاف عجزة **﴿فأصابها إعصار﴾** وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير **﴿فيه نار فاحترقت﴾** هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي يقول: عمله في حُسنه كحُسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف وأصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعاً متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث[(٢)] لهما ولا توبة ولا إقالة.

قال عبيد بن عمير: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت **﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾**؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر رضي الله عنه فقال: قولوا نعلم أولا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضربت مثلاً لعمل، فقال عمر رضي الله عنه: أي عمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل المرائي قال عمر رضي الله عنه لرجل غني يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»[(٣)].

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون * يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات﴾ من خيار، قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد: من حلالات **﴿ما كسبتم﴾** بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على إباحة الكسب وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو

(١) ساقط من ب.
(٢) في ب مستعتب بدل مغيث.
(٣) رواه البخاري في التفسير، تفسير سورة البقرة باب قوله (أيود أحدكم ـــ ٨/٢٠١ ـــ ٢٠٢)

جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يعلى بن عبيد، أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب أنه حدثه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وكان داود لا يأكل إلا من عمل يديه»(٢).

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد الكشميهني، أخبرنا نجاح بن يزيد المحاربي بالكوفة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم، أخبرنا يحيى بن عبيد، أخبرنا أبان بن اسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكتسب عبد مالاً حراماً فيتصدق منه فيقبل الله منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»(٣).

والزكاة واجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم، فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر إذا كان قيمتها عشرين ديناراً أو مائتي درهم، قال سمرة بن جندب: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع»(٤).

وعن أبي عمرو بن حِمَاس أن أباه قال: مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عنقى أَدَمة(٥)

---

(١) رواه النسائي: في البيوع ــ باب الحث على الكسب: ٧/٢٤٠.
وابن ماجه: في التجارات ــ باب الحث على الكسب: ٢/٧٢٣.
والدارمي: بيوع ــ باب الكسب وعمل الرجل بيده: ٢/٢٤٧.
وأحمد: ٦/ ٣١، ٤٢ عن عائشة رضي الله عنها.
وابن حبان: في صحيحه، موارد الظمآن (١٠٩١) ص٢٦٨.
والمصنف في شرح السنة: ٩/٣٢٩ وإسناده صحيح.
(٢) رواه البخاري: في البيوع ــ باب كسب الرجل وعمله بيده: ٤/٣٠٣.
والمصنف في شرح السنة: ٨/٦.
(٣) رواه أحمد: ١/٣٨٧ جزء من حديث عبد الله بن مسعود.
وفي إسناده الصباح بن محمد بن أبي حازم البجلي الأحمسي الكوفي: ضعيف أفرط فيه ابن حبان ــ التقريب.
(٤) رواه أبو داود: في الزكاة ــ باب العروض إذا كانت للتجارة ٢/١٧٥ وسكت عنه المنذري والبيهقي: في السنن ٤/١٤٦ قال ابن حجر في التلخيص الحبير: أخرجه الدارقطني والبزار من حديث سليمان بن سمره عن أبيه وفي إسناده جهالة.
(٥) جلد.

أحملها فقال عمر: ألا تؤدي زكاتك يا حِمَاس؟ فقلت: ما لي غير هذا وأهب(١) في القرظ(٢)، فقال ذاك مال، فَضَعْ، فوضعتها فحسبها فأخذ منها الزكاة(٣).

٤٨/أ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ قيل هذا بإخراج العشور من الثمار والحبوب واتفق أهل العلم على إيجاب العشر في النخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب إن كان مسقياً بماء السماء أو من نهر يجري الماء إليه من غير مؤنة، وإن كان مسقياً بساقية أو بنضح ففيه نصف العشر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً(٤) العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر»(٥).

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الله بن نافع عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال في زكاة الكرم «يخرص كما يخرص النخل ثم تؤدى زكاته زبيباً كما يؤدى زكاة النخل تمراً»(٦).

---

(١) جمع إهاب وهو الجلد قبل أن يدبغ.

(٢) القَرَظ: حب معروف يخرج من شجر العضاة تدبغ به الجلود.

(٣) أخرجه الشافعي في مسنده: ٢٢٩/١ ــ ٢٣٠، والبيهقي في السنن: ١٤٧/٤.
وعزاه الحافظ ابن حجر للإمام أحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق وسعيد بن منصور عن سفيان عن يحيى بن سعيد، وبه رواه الدارقطني من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي عمرو بن حماس: ١٢٥/٢، انظر التلخيص الحبير: ١٨٠/٢.
وضعفه الألباني في إرواء الغليل: ٣١١/٣ لأن أبا عمرو بن حماس «مجهول» كما قال الذهبي في الميزان.

(٤) الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

(٥) رواه البخاري: في الزكاة ــ باب: العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري ٣٤٧/٣.
ومسلم: في الزكاة ــ باب: ما فيه العشر أو نصف العشر برقم (٩٨١) ٦٧٥/٢ عن جابر بلفظ آخر.
والمصنف في شرح السنة: ٤٢/٦.

(٦) رواه النسائي: زكاة ــ باب شراء الصدقة ١٠٩/٥.
وابن ماجه: زكاة ــ باب خرص النخل والعنب ٢١٠/٢ ــ ٢١١.
وأبو داود: في الزكاة ــ باب في خرص العنب ٢١٠/٢ ــ ٢١١.
والترمذي: زكاة ــ باب ما جاء في الخرص ٣٠٦/٣ وقال حديث حسن غريب.
والبيهقي: ١٢٢/٤، والشافعي: ٢٤٣/١.
والدارقطني: ١٣٢/٢.
والمصنف في شرح السنة: ٣٧/٦.
وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ١٧١/٢ (ومداره على سعيد بن المسيب عن عتاب وقال أبو داود لم يسمع منه، وقال ابن القانع: لم يدركه، وقال المنذري: انقطاعه ظاهر لأن مولد سعيد في خلافة عمر ومات عتاب يوم مات أبو بكر وسبقه إلى ذلك ابن عبد البر وقال أبو حاتم الصحيح عن سعيد بن المسيب: أن النبي ﷺ أمر عتاباً: مرسل وهذه رواية عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري قال النووي: هذا الحديث وإن كان مرسلاً لكنه اعتضد بقول الأئمة).

واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم، وفيما سوى ما يقتات به من الحبوب، فذهب قوم إلى أنه لا عشر في شيء منها، وهو قول ابن أبي ليلى والشافعي رضي الله عنه.

وقال الزهري والأوزاعي ومالك رضي الله عنهم: يجب في الزيتون، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: يجب العشر في جميع البقول والخضروات كالثمار إلا الحشيش والحطب، وكل ثمرة أوجبنا فيها الزكاة فإنما يجب ببدو الصلاح، ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف، وكل حب أوجبنا فيه العشر فوقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الإخراج بعد الدياسة والتنقية، ولا يجب العشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أوسق[(١)] عند أكثر أهل العلم، وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها، واحتج من شرط النصاب بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا ابو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمسة أواق من الوَرِق صدقة وليس فيما دون خمس ذَوْدٍ من الإبل صدقة»[(٢)].

وروى يحيى بن عبادة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق»[(٣)]، وقال قوم: الآية في صدقات التطوع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عوانه عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مؤمن يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ولا تيمموا﴾ قرأ ابن كثير برواية البزي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي أخواتها وهي واحد وثلاثون موضعاً في القرآن، لأنه في الأصل تاءان اسقطت احداهما فردَّ هو الساقطة وأدغم وقرأ الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تقصدوا ﴿الخبيث منه تنفقون﴾ .

روي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كانت الأنصار تخرج إذا كان جذاذ النخل

---

(١) جمع وَسْق: وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم: في الزكاة ــ برقم (٩٧٩) ٦٧٣/٢.
والمصنف: في شرح السنة: ٤٩٩/٥.

(٣) رواه مسلم: في الزكاة ــ برقم (٩٧٩) ٦٧٤/٢.
والمصنف: في شرح السنة: ٥٠٠/٥.

(٤) رواه البخاري: في الحرث والمزارعة ــ باب فضل الزرع والغرس ٣/٥ بلفظ ما من مسلم ــ وفي الأدب أيضاً.
ومسلم: في المساقاة ــ باب فضل الغرس والزرع برقم (٣٥٥٣) ١١٨٩/٣.
والمصنف: في شرح السنة: ١٤٩/٦.

أقناء[1] من التمر والبسر فيعلقونه على حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين، فكان الرجل منهم يعمد فيدخل قنو الحَشَفَ[2] وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ أي الحشف والرديء، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ الرديء ﴿منه تنفقون﴾ ﴿ولستم بآخذيه﴾ يعني الخبيث ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ الإغماض غض البصر، وأراد هاهنا التجوز والمساهلة، معناه لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن حقه وتركه. وقال الحسن وقتادة: لو وجدتموه يباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد.

وروي عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ، فكيف ترضون مالا ترضون لأنفسكم؟ هذا إذا كان المال كله جيداً فليس له إعطاء الرديء، لأن أهل السُهمان شركاؤه فيما عنده، فإن كان كل ماله رديئاً فلا بأس بإعطاء الرديء، ﴿واعلموا أن الله غني﴾ عن صدقاتكم ﴿حميد﴾ محمود في أفعاله.

﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ أي يخوفكم بالفقر، يقال وعدته خيراً ووعدته شراً، قال الله تعالى في الخير «وعدكم الله مغانم كثيرة» (٢٠ ــ الفتح) وقال في الشر «النار وعدها الله الذين كفروا» (٧٢ ــ الحج) فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير: وعدته وفي الشر، أوعدته، والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد، وأصله من كسر الفقار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ أي بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ أي لذنوبكم ﴿فضلاً﴾ أي رزقاً وخلفاً][3] ﴿والله واسع﴾ غني ﴿عليم﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا محمد بن الحسين القطان أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يقول: ابن آدم أنفق أُنفق عليك» وقال: قال رسول الله ﷺ «يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحّاءَ[4] الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات

---

(١) جمع قنو: وهو عذق النخل.
(٢) أردأ التمر.
(٣) ساقط من نسخة ب.
(٤) بمهملتين مثقلاً ممدوداً، أي دائمة.

والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه (قال) وعرشه على الماء وبيده الأخرى القِسْط يرفع ويخفض»(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن اسماعيل، أخبرنا عبيد الله بن سعيد أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها «أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي(٢) فيوعي الله عليك»(٣).

قوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وقال: في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام، لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن، ولا تكونوا كأهل نهروان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا / علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا علينا بالضلالة، فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيم أنزل الله لم يختلف في شيء منه. ٤٨ /ب

وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه، وروى ابن أبي نجيح عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها.

﴿ومن يؤت الحكمة﴾ مَنْ في محل الرفع على ما لم يسم فاعله، والحكمة خبره(٤)، وقرأ يعقوب ــ يؤتِ الحكمة ــ بكسر التاء أي من يؤته الله الحكمة، دليله قراءة الأعمش، ومن يؤته الله، حكي عن الحسن ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ قال: الورع في دين الله ﴿فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر﴾ يتعظ ﴿إلا أولو الألباب﴾ ذوو العقول.

---

(١) رواه البخاري: في تفسير سورة هود ــ باب: وكان عرشه على الماء ــ ٣٥٢/٨ وفي التوحيد.
ومسلم: في الزكاة ــ باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم (٩٩٣) ٦٩٠/٢.
والمصنف: في شرح السنة: ١٥٤/٦ ــ ١٥٥.

(٢) الإيعاء جعل الشيء في الوعاء، وأصله الحفظ.

(٣) رواه البخاري: في الهبة ــ باب: هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج ٢١٧/٥.
ومسلم: في الزكاة: باب: الحث في الإنفاق وكراهية الإحصاء برقم (١٠٢٩) ٧١٣/٢.
والمصنف: في شرح السنة: ١٥٤/٦.

(٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢٢٠/١.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**وما أنفقتم من نفقة**﴾ فيما فرض الله عليكم ﴿**أو نذرتم من نذر**﴾ أي: ما أوجبتموه [أنتم](1) على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به ﴿**فإن الله يعلمه**﴾ يحفظه حتى يجازيكم به، وإنما قال: يعلمه، ولم يقل: يعلمها لأنه رده إلى الآخر منهما كقوله تعالى: «ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً» (١١٢ ــ النساء)، وإن شئت حملته على «ما» كقوله: «وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به» (٢٣١ ــ البقرة) ولم يقل بهما ﴿**وما للظالمين**﴾ الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء أو يتصدقون من الحرام ﴿**من أنصار**﴾ من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل: شريف وأشراف.

قوله تعالى: ﴿**إن تبدو الصدقات**﴾ أي تظهروها ﴿**فنعما هي**﴾ أي: نعمت الخصلة هي و «ما» في محل الرفع «وهي» في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلاً، فإذا عرفت رفعت، فقلت: نعم الرجل زيد، وأصله نعم ما فوصلت، قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمرو وأبو بكر: فنعما بكسر النون وسكون العين، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: بفتح النون وكسر العين، وقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما، وكلها لغات صحيحة وكذلك في سورة النساء.

﴿**وإن تخفوها**﴾ تسرّوها ﴿**وتؤتوها الفقراء**﴾ أي تؤتوها الفقراء في السر ﴿**فهو خير لكم**﴾ وأفضل، وكلٌّ مقبول إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل، وفي الحديث «صدَقة السر تطفيء غضب الرب»(2).

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك في الزكاة ــ باب: فضل الصدقة (إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء) وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه عبد الله بن عيسى الخزاز ٣٢٩/٣ ــ ٣٣٠ وعبد الله بن عيسى الخزاز أبو خلف منكر الحديث. قال النسائي: ليس بثقة: انظر ميزان الاعتدال: ٢ /٤٧٠.
وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بأطول من هذا عن معاوية بن حيدة وفيه صدقة بن عبد الله وثقه دحيم وضعفه جماعة (تهذيب: التهذيب: ٣٦٥/٤) وأيضاً في الصغير والأوسط عن جعفر وفيه أصرم بن حوشب وهو ضعيف (مجمع الزوائد ١١٥/٣).
والمصنف في شرح السنة: ١٣٣/٦.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝٢٧٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٤﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو اسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد الخدري أو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(١).

وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس، كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت [أفضل](٢) وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان الإخفاء فيها خيراً على عهد رسول الله ﷺ، أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يساء به الظن.

قوله تعالى: ﴿ونكفر عنكم من سيئآتكم﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراء أي ونحن نكفر، وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء، أي ويكفر الله، وقرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجزم نسقاً على الفاء التي في قوله «فهو خير لكم» لأن موضعها جزم بالجزاء، وقوله من سيئاتكم قيل «من» صلة، تقديره نكفر عنكم سيئاتكم، وقيل: هو للتحقيق والتبعيض، يعني: نكفر الصغائر من الذنوب، ﴿والله بما تعلمون خبير﴾.

﴿ليس عليك هداهم﴾ قال الكلبي سبب نزول هذه الآية أن ناساً من المسلمين كانت لهم قرابة

---

(١) رواه البخاري، في الأذان ــ باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ٢/١٤٣.
ومسلم: في الزكاة ــ باب: فضل اخفاء الصدقة برقم (١٠٣١) ٢/٧١٥.
والمصنف في شرح السنة: ٢/٣٥٤.
(٢) ساقطة من نسخة ب.

وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوهم على أن يسلموا، وقال سعيد بن جبير[1]: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين، نهى رسول الله ﷺ عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزل قوله ﴿**ليس عليك هداهم**﴾ فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجةً منهم إليها، ﴿**ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ وأراد به هداية التوفيق، أما هدى البيان والدعوة فكان على رسول الله ﷺ، فأعطوهم بعد نزول الآية.

﴿**وما تنفقو من خير**﴾ أي مال ﴿**فلأنفسكم**﴾ أي تعملونه لأنفسكم ﴿**وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله**﴾ وما جَحْدٌ، لفظه نفيٌ ومعناه نهي، أي لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﴿**وما تنفقوا من خير**﴾ شرط كالأول ولذلك حذف النون منهما ﴿**يوف إليكم**﴾ أي يوفر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك أدخل فيه إلا ﴿**وأنتم لا تظلمون**﴾ لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، وهذا في صدقة التطوع، أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة.

قوله تعالى: ﴿**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله**﴾ اختلفوا في موضع هذه اللام: قيل هي مردودة على موضع اللام من قوله «فلأنفسكم» كأنه قال: وما تنفقوا من خير فللفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبره محذوف تقديره: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب، وهم فقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمائة رجل، لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون[2] النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أصحاب الصُّفَّة، فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى.

﴿**الذين أحصروا في سبيل الله**﴾ فيه أقاويل؛ قال قتادة ــ وهو أولاها ــ حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله ﴿**لا يستطيعون ضرباً في الأرض**﴾ لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: معناه حَبَسَهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقال سعيد بن جبير: قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمنى، أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقال ابن زيد: معناه: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً عليهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم؛ ﴿**يحسبهم**﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة: يحسبهم وبابه بفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٨٣ بسنده عن سعيد بن جبير.
(٢) يكسرون.

٤٩/أ ﴿الجاهل﴾ بحالهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ أي من تعففهم عن السؤال / وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء، والتعفف التَّفَعُّل من العفة وهي الترك يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك.

﴿تعرفهم بسيماهم﴾ السيماء والسيمياء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هو التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم، ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه لا يسألون الناس إلحافاً أصلاً لأنه قال: من التعفف، والتعفف ترك السؤال، ولأنه قال: تعرفهم بسيماهم، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة من حاجة، فمعنى الآية، ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، والإلحاف: الإلحاح واللجاج.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن الإسماعيلي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ «لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فكيف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه»(١).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطوَّاف الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنى فيغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»(٢).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً»(٣).

---

(١) رواه البخاري في الزكاة. باب: الإستعفاف عن المسألة ٣/٣٣٥.
والمصنف في شرح السنة ٦/١١٢ ــ ١١٣.

(٢) رواه البخاري: في الزكاة ــ باب: قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً) ٣/٣٤٠ وفي التفسير.
ومسلم: في الزكاة ــ باب: المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه برقم (١٠٣٩) ٢/٧١٩.
والمصنف في شرح السنة: ٦/٨٦.

(٣) رواه أبو داود: في الزكاة ــ باب: من يعطى من الصدقة وحد الغنى ٢/٢٢٩ عن أبي سعيد الخدري بلفظ (من سأل وله أوقية فقد ألحف) وسكت عنه المنذري.
والنسائي: في الزكاة ــ باب: إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها ٥/٩٨ ــ ٩٩.
وأحمد: ٤/٣٦ و ٥/٤٣٠ واللفظ له عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد.
والمصنف في شرح السنة: ٦/٨٤ وإسناده صحيح.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا بن عدافر، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن هارون بن رياب عن كنانة العدوي عن قبيصة بن مخارق قال: إني تحملت بحمالة في قومي فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني تحملت بحمالة في قومي وأتيتك لتعينني فيها قال: «بل نتحملها عنك يا قبيصة ونؤديها إليهم من الصدقة» ثم قال «يا قبيصة إن المسألة حرمت إلا في إحدى ثلاث: في رجل أصابته جائحة[1] فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب قِواماً من عيشه ثم يمسك، وفي رجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوي الحجا من قومه وأن المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القِوام من العيش ثم يمسك، وفي رجل تحمل بحمالة فيسأل حتى إذا بلغ أمسك، وما كان غير ذلك فإنه سحت يأكله صاحبه سحتاً»[2].

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة، أخبرنا شريك عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح»[3] قيل يا رسول الله وما يغنيه؟ قال «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»[4].

قوله تعالى: ﴿**وما تنفقوا من خير**﴾ من مال ﴿**فإن الله به عليم**﴾ وعليه مُجازٍ ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية**﴾ روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية[5].

(١) آفة تهلك المال.
(٢) رواه مسلم: في الزكاة ــ باب: من تحل له المسألة برقم (١٠٤٤) ٢/٧٢٢ بألفاظ مقاربة.
والمصنف في شرح السنة: ٦/١٢٢ بلفظ: (إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة: رجل تحمل بحمالة بين قوم، ورجل أصابته جائحة، فاجتاحت ماله، فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش، أو قِواماً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجا من قومه أن قد أصابته حاجة، وأن قد حلت له المسألة وما سوى ذلك من المسائل سحت).
(٣) الخموش مثل الخدوش في المعنى، والكدوح: آثار الخدوش، وكل أثر من خدش أو عض أو نحوه، فهو كدوح.
(٤) رواه أبو داود: في الزكاة ــ باب: من يعطي من الصدقة وحد الغنى ٢/٢٢٦ وانظر ما قاله المنذري في مختصره والترمذي: في الزكاة ــ باب: من تحل له الزكاة ٣/٣١٣، ٣١٤ عن ابن مسعود وقال: حديث ابن مسعود حديث حسن وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير من أجل هذا الحديث وقال ابن حجر: ضعيف رمي بالتشيع من الخامسة (تقريب).
وابن ماجه: في الزكاة ــ باب من سأل عن ظهر غنى ١/٥٨٩ وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٩٩) وصحيح ابن ماجه برقم (١٤٩٠).
والدارمي: في الزكاة ــ باب / ١٥ / من تحل له الصدقة ١/٣٨٦.
والمصنف في شرح السنة: ٦/٨٣.
(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٨٦ فقد أخرجه بسنده عن ابن عباس.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ
ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ
مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ
ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم قال لما نزلت ﴿**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله**﴾ بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصُفَّة، وبعث على بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من تمر فأنزل الله تعالى فيهما ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار**﴾ الآية عنى بالنهار علانية: صدقة عبد الرحمن بن عوف، وبالليل سراً: صدقة على رضي الله عنه، وقال أبو أمامة وأبو الدرداء ومكحول والأوزاعي: نزلت في الذين يرتبطون الخيل للجهاد فإنها تُعْلَف ليلاً ونهاراً سراً وعلانية[(١)].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا علي بن حفص، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿**فلهم أجرهم عند ربهم**﴾ قال الأخفش: جعل الخبر بالفاء، لأن «الذين» بمعنى «من» وجواب من بالفاء بالجزاء، أو معنى الآية: من أنفق كذا فله أجره عند ربه ﴿**ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ .

قوله تعالى: ﴿**الذين يأكلون الربا**﴾ أي يعاملون به، وإنما خص الأكل لأنه معظم المقصود من المال ﴿**لا يقومون**﴾ يعني يوم القيامة من قبورهم ﴿**إلا كما يقوم الذي يتخبطه**﴾ أي يصرعه ﴿**الشيطان**﴾ أصل الخبط الضرب والوطء، وهو ضرب على غير استواء يقال: ناقة خبوط للتي تطأ الناس وتضرب الأرض

---

(١) أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الخيل، يزيد وأبوه مجهولان.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب: كانت معه أربعة دراهم....، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة، (انظر: لباب النقول للسيوطي ص ١١٨ بهامش الجلالين، أسباب النزول للواحدي ص ٨٤ ـــ ٨٥.

(٢) رواه البخاري في الجهاد باب من احتبس فرساً في سبيل الله ٦/٥٧ والمصنف في شرح السنة ١٠/٣٨٨.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ
اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

بقوائمها ﴿**من المس**﴾ أي الجنون يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا كان مجنوناً، ومعناه: أن آكل الربا يبعث يوم القيامه وهو كمثل المصروع.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، أخبرنا عبد الله بن يحيى، أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا إسماعيل بن سالم، أخبرنا عباد بن عباد عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قصة الإسراء قال: «فانطلق بي جبريل عليه السلام إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون ــ وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً ــ قال: فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا، فتميل بهم بطونهم فيصرعون، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع، فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين، فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة (قال) / وآل فرعون يقولون : اللهم لا تقم الساعة أبداً (قال) ويوم القيامة يقال : «أَدْخِلوا آل ٤٩/ب
فرعون أشد العذاب» (٤٦ ــ غافر) قلت: ياجبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»(١).

قوله تعالى: ﴿**ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا**﴾ أي ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحلالهم إياه، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلَّ ماله على غريمه فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك، ويقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى وقال: ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ واعلم

(١) رواه الأصبهاني من طريق أبي هارون العبدي، وهو واهٍ. انظر: الترغيب والترهيب للمنذري: ٩/٣.

أن الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى: «وما آتيتم من رباً ليربوَ في أموال الناس» أي ليكثر «فلا يربو عند الله» (٣٩ ــ الروم) وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة، إنما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بيَّنه رسول الله ﷺ فيما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الوهاب عن أيوب بن أبي تميمة عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار ورجل آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق، ولا البر بالبر، ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء، عيناً بعين، يداً بيد، ولكن بيعوا الذهب بالورق، والورق بالذهب، والبر بالشعير، والشعير بالبر، والتمر بالملح، والملح بالتمر يداً بيد كيف شئتم ــ ونقص أحدهما الملح أو التمر وزاد أحدهما: من زاد وازداد فقد أربى»(١).

روي هذا الحديث من طرق عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد الله بن عتيك عن عبادة فالنبي ﷺ نص على ستة أشياء.

وذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا يثبت في هذه الأشياء الست بالأوصاف فيها فيتعدى إلى كل مال توجد فيه تلك الأوصاف، ثم اختلفوا في تلك الأوصاف، فذهب قوم: إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع وأثبتوا الربا في جميع الأموال، وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر، واختلفوا في ذلك الوصف فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف، النقدية، وهو قول مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلة الوزن وهو قول أصحاب الرأي وأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها.

وأما الأشياء الأربعة فذهب قوم إلى أن الربا ثبت فيها بعلة الكيل وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعوماً كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوها، وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن، فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا، ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون، وهو قول سعيد بن المسيب، وقاله الشافعي رحمه الله في القديم، وقال في الجديد: يثبت فيها الربا بوصف الطعم، وأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل»(٢).

---

(١) رواه مسلم: في المساقاة ــ باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً برقم (١٥٨٧) ٣/١٢١٠.
والمصنف في شرح السنة: ٥٦/٨.

(٢) رواه مسلم: في المساقاة ــ باب: بيع الطعام مثلاً بمثل برقم (١٥٩٢) ٣/١٢١٤.
والمصنف في شرح السنة ٥٨/٨.

فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمناً أو مطعوماً، والربا نوعان: ربا الفضل وربا النَّساء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلاً بمثل بأن باع أحد النقدين بجنسه أو باع مطعوماً بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعي الربا حتى لا يجوز إلا متساويين في معيار الشرع، فإن كان موزوناً كالدراهم والدنانير فيشترط المساواة في الوزن، وإن كان مكيلاً كالحنطة والشعير بيع بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال الربا بغير جنسه نظر: إن باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل أن باع مطعوماً بأحد النقدين فلا ربا فيه، كما لو باعه بغير مال الربا، أو إن باعه بما يوافقه مع الوصف مثل أن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلاً أو جُزَافاً[1] ويثبت فيه ربا النساء حتى يشترط التقابض في المجلس، وقول النبي ﷺ «لا تبيعوا الذهب بالذهب ـــ إلى أن قال ـــ إلا سواء بسواء» فيه إيجاب المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس، وقوله «عيناً بعين» فيه تحريم النساء، وقوله «يداً بيد كيف شئتم» فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع إيجاب التقابض في المجلس، هذا في ربا المبايعة.

ومن أقرض شيئاً بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا.

قوله تعالى: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾ تذكير وتخويف، وإنما ذكَّر الفعل رداً إلى الوعظ ﴿فانتهى﴾ عن أكل الربا ﴿فله ما سلف﴾ أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له ﴿وأمره إلى الله﴾ بعد النهي إن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: ﴿أمره إلى الله﴾ فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء ﴿ومن عاد﴾ بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلاً له ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن المثنى حدثني غندر، أخبرنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال: إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغيّ، ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور»[2].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا زهير بن حرب، أخبرنا هشيم أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه

(١) بيع الشيء لا يعلم كيله ولا وزنه، فارسي معرب.

(٢) رواه البخاري: في البيوع ـــ باب: موكل الربا ٣١٤/٤ وفي اللباس والطلاق.
والمصنف في شرح السنة: ٢٥/٨.

وشاهديه، وقال: «هم سواء»(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو محمد المخلدي، أنا أبو حامد بن الشرقي أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا النضر بن محمد، أخبرنا عكرمة بن عمار، أخبرنا يحيى هو ابن
٥٠/أ أبي كثير قال: حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ / «الربا سبعون باباً أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أمه»(٢).

قوله تعالى ﴿يمحق الله الربا﴾ أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يمحق الله الربا﴾ يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صلة ﴿ويربي الصدقات﴾ أي يثمرها ويبارك فيها في الدنيا، ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى ﴿والله لا يحب كل كفار﴾ بتحريم الربا ﴿أثيم﴾ فاجر بأكله.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ قال عطاء وعكرمة: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: إن أنتما أخذتما حقكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما(٣).

وقال السدي: نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير، ناس من ثقيف، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي ﷺ في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوعة كلها، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنها

(١) رواه مسلم: في المساقاة ــ باب: لعن آكل الربا وموكله برقم (١٥٩٨) ٣/١٢١٨.
والمصنف في شرح السنة: ٨/٥٤.

(٢) رواه ابن ماجة في التجارات ــ باب التغليظ في الربا ١/٧٦٤ قال في الزوائد: وفي إسناده نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر متفق على تضعيفه وقال ابن حجر: نجيح بن عبد الرحمن السندي بكسر المهملة وسكون النون المدني، أبو معشر، وهو مولى بني هاشم مشهور بكنيته ضعيف من السادسة، أسن واختلط، مات سنة ١٧٠ ويقال: كان اسمه عبد الرحمن بن الوليد بن هلال (تقريب).
وانظر فيض القدير ٤/٥١ وكشف الخفاء ١/٥٠٨ فقد عزاه للحاكم والطبراني.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٨٧.

موضوعة كلها»[1].

وقال مقاتل: نزلت في أربعة إخوة من ثقيف، مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة فكتب عتاب بن أسيد إلى النبي ﷺ بقصة الفريقين وكان ذلك مالاً عظيماً فأنزل الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾[2].

﴿إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا﴾ أي إذا لم تذروا ما بقي من الربا ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر فآذنوا بالمد على وزن آمنوا، أي فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأذن أي أوقعوا في الآذان، وقرأ الآخرون فأذنوا مقصوراً بفتح الذال أي فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب، قال أهل المعاني: حرب الله: النار وحرب رسول الله: السيف.

﴿وإن تبتم﴾ إن تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه ﴿فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون﴾ بطلب الزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بالنقصان عن رأس المال فلما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم: بل نتوب إلى الله، فإنه لا يَدَانِ لنا بحرب الله ورسوله، فرضوا برأس المال، فشكا بنو المغيرة العسرَةَ وقالوا: أخِّرونا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله تعالى ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ يعني وإن كان الذي عليه الدين معسراً، رفع الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر وذلك جائز في النكرة، تقول، إن كان رجل صالح فأكرمه، وقيل «كان» بمعنى وقع، وحينئذ لا يحتاج إلى خبر، قرأ أبو جعفر عسرة بضم السين ﴿فنظرة﴾ أمر في صيغة الخبر تقديره فعليه نظرة ﴿إلى ميسرة﴾ قرأ نافع ميسرة بضم السين وقرأ الآخرون بفتحها وقرأ مجاهد ميسرة بضم السين مضافاً ومعناها اليسار والسعة ﴿وأن تصدقوا﴾ أي تتركوا رؤوس أموالكم إلى المعسر ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والآخرون بتشديدها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله الميكالي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح، أخبرنا ابن وهب عن جرير عن حازم عن أيوب عن يحيى

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٨٧، وسبق تخريج خطبة يوم عرفة في ص (٢١٩) هامش (٢) وص (٢٢٩).
(٢) انظر: لباب النقول للسيوطي ص ١١٩، ١٢١.

ابن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أنه كان يطلب رجلاً بحق فاختبأ منه فقال: ما حملك على ذلك قال: العسرة، فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكّه فأعطاه إياه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة»(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرّياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل عن منصور عن ربعي عن أبي مسعود رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «إن الملائكة لتَلَقَّتْ روحَ رجل كان قبلكم فقالوا هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: لا، إلا أني رجل كنت أداين الناس فكنت آمر فتياني أن ينظروا الموسر ويتجاوزا عن المعسر، قال الله تبارك وتعالى «تجاوزوا عنه»(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الريَّاني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن أبي اليسر قال سمعت النبي ﷺ يقول «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»(٣).

* فصل في الدين وحسن قضائه وتشديد أمره *

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا شعبة، أخبرنا سلمة بن كُهيل قال: سمعت أبا سلمة بمنى يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهمَّ به أصحابه فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه، قالوا: لا نجد إلا أفضل من سِنِّه قال: «اشتروه فأعطوه إياه فإن خياركم أحسنكم قضاء»(٤).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو

---

(١) رواه مسلم: في المساقاة ــ باب: فضل إنظار المعسر برقم (١٥٦٣) ٣/١١٩٦.
والمصنف في شرح السنة: ٨/١٩٦ باللفظ نفسه.

(٢) رواه البخاري: في البيوع، باب: من أنظر معسراً ٤/٣٠٧.
ومسلم: في المساقاة ــ باب: فضل انظار المعسر عن حذيفة برقم (١٥٦٠) ٣/١١٩٤.
والمصنف في شرح السنة: ٨/١٩٧.

(٣) أخرجه مسلم: مطولاً في الزهد ــ باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر برقم (٣٠٠٦) ٤/٢٣٠١ ــ ٢٣٠٢.
والمصنف في شرح السنة: ٨/١٩٨.

(٤) أخرجه البخاري في الوكالة ــ باب: الوكالة في قضاء الديون ٤/٤٨٣ وفي الاستقراض والهبة.
ومسلم: في المساقاة ــ باب: من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه (وخيركم أحسنكم قضاء) برقم (١٦٠١) ٣/١٢٢٥.
والمصنف في شرح السنة: ٨/١٩٤.

مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَطْل الغني ظلم واذا أُتْبِعَ أحدكم على مليء فليتبع»(١).

أخبرنا / عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نَفْس المؤمن معلَّقة بدينه حتى يُقْضَى عنه»(٢). ٥٠/ب

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، يكفِّر اللهُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم» فلما أدبر ناداه رسول الله ﷺ، أو أمر به فنودي، فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» فأعاد عليه قوله، فقال رسول الله ﷺ «نعم إلا الدين» كذلك قال جبريل»(٣).

قوله تعالى: ﴿**واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله**﴾ قرأ أهل البصرة بفتح التاء أي تصيرون إلى الله، وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح الجيم، أي: تردون إلى الله تعالى: ﴿**ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، فقال له جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله ﷺ واحداً وعشرين يوماً، وقال ابن جريج: تسع ليال، وقال سعيد بن جبير: سبع ليال، ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة، قال الشعبي عن ابن عباس

---

(١) أخرجه البخاري في الحوالات. باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة ٤ /٤٦٤ ومسلم في المساقاة. باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة برقم (١٥٦٤) ٣ /١١٩٧.
والمصنف في شرح السنة ٨ /٢١٠.

(٢) أخرجه الترمذي: في الجنائز ــ باب: ما جاء أن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه ١٩٣/٤ وقال هذا حديث حسن.
وابن ماجه: في الصدقات ــ باب: التشديد في الدين ٨٠٦/٢.
وأحمد: ٤٤٠/٢، ٤٧٥، ٥٠٨ عن أبي هريرة.
والدارمي: بيوع ٥٢ باب: ما جاء في التشديد في الدين ٢٦٢/٢.
والشافعي: ٢٢٦/٢ وقال الشوكاني: رجال إسناده ثقات إلا عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وهو صدوق يخطىء: نيل الأوطار ١٤/٥.
والمصنف في شرح السنة: ٢٠٢/٨ وقال هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم: في الإمارة ــ باب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين برقم (١٨٨٥) ١٥٠١/٣.
والمصنف في شرح السنة: ٢٠٠/٨.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب
بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ
وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ
ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ
شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ
ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ
وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ
لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ
وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ .

رضي الله عنهما آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ آية الربا(١).

قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما حرم الله الربا أباح السَّلَم وقال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحلّه الله تعالى في كتابه وأذن فيه ثم قال «يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه».

قوله: ﴿**إذا تداينتم**﴾ أي تعاملتم بالدَّين، يقال: داينته إذا عاملته بالدين وإنما قال ﴿**بدين**﴾ بعد قوله تداينتم لأن المداينة قد تكون مجازاة وتكون معاطاة فقيَّده بالدَّين ليعرف المراد من اللفظ، وقيل: ذكره

---

(١) في معرفة آخر ما نزل اختلاف، فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت «يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة» (النساء ــ ١٧٦).
وآخر سورة نزلت سورة براءة.
وأخرج البخاري عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت آية الربا.
وروى البيهقي عن عمر مثله، وعند أحمد وابن ماجه عن عمر: من آخر ما نزل آية الربا.
وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: آخر شيء نزل من القرآن: «واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله» (سورة البقرة ــ ٢٨١) وأخرج مثله ابن جرير والفريابي، وهو مروي عن سعيد بن جبير... إلخ وهناك أقوال أخرى، ويمكن التوفيق والجمع بين الأقوال بأن بعضها ينصبُّ على آخر ما نزل من السور، وبعضها بالنسبة للآيات وبعضها بالنسبة لموضوع الآيات، فهي أواخر نسبية.
انظر بالتفصيل: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/١٠١ ــ ١٠٦، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

تأكيداً كقوله تعالى: «ولا طائر يطير بجناحيه» (٣٨ ــ الأنعام) ﴿**إلى أجل مسمى**﴾ الأجل مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محلّه، وفي القرض لا يلزم الأجل عن أكثر أهل العلم ﴿**فاكتبوه**﴾ أي اكتبوا الذي تداينتم به، بيعاً كان أو سلماً أو قرضاً.

واختلفوا في هذه الكتابة: فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثرون على أنه أمر استحباب فإن ترك فلا بأس كقوله تعالى «فإذا قضيت الصلاةُ فانتشروا في الأرض» (١٠ ــ الجمعة) وقال بعضهم كانت كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكل بقوله «فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذي ائتمن أمانته» وهو قول الشعبي ثم بيَّن كيفية الكتابة فقال جل ذكره ﴿**وليكتب بينكم**﴾ أي ليكتب كتابَ الدينِ بين الطالب والمطلوب ﴿**كاتبٌ بالعدل**﴾ أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير ﴿**ولا يأب**﴾ أي لا يمتنع ﴿**كاتب أن يكتب**﴾ واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد، فذهب قوم إلى وجوبها إذا طولب وهو قول مجاهد، وقال الحسن تجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم هو على الندب والاستحباب، وقال الضحاك كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى «ولا يضارَّ كاتب ولا شهيد» ﴿**كما علمه الله**﴾ أي كما شرعه الله وأمره ﴿**فليكتب وليملل الذي عليه الحق**﴾ يعني: المطلوبُ يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملال والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد، جاء بهما القرآن، فالإملال ها هنا، والإملاء قوله تعالى: «فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً» (٥ ــ الفرقان) ﴿**وليتق الله ربه**﴾ يعني المملّ ﴿**ولا يبخس منه شيئاً**﴾ أي ولا ينقص منه، أي من الحق الذي عليه شيئاً.

﴿**فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً**﴾ أي جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلاً صغيراً، وقال الشافعي رحمه الله، السفيه: المبذر المفسد لماله أو في دينه.

قوله ﴿**أو ضعيفاً**﴾ أي شيخاً كبيراً وقيل هو ضعيف العقل لِعَتهٍ أو جنون ﴿**أو لا يستطيع أن يمل هو**﴾ لخرس أو عيّ أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكاتب أو جهل بما لَهُ وعليه ﴿**فليملل وليه**﴾ أي قيِّمه ﴿**بالعدل**﴾ أي بالصدق والحق، وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل: أراد بالولي صاحب الحق، يعني إن عجز من عليه الحق من الإملال فليملل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه

أعلم بحقه، ﴿واستشهدوا﴾ أي وأشهدوا ﴿شهيدين﴾ أي شاهدين ﴿من رجالكم﴾ يعني الأحرار المسلمين، دون العبيد والصبيان والكفار، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد ﴿فإن لم يكونا رجلين﴾ أي لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ أي فليشهد رجل وامرأتان.

وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين واختلفوا في غير الأموال فذهب جماعة إلى أنه تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أن غير المال لايثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ما يطَّلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والثيوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، وبشهادة أربع نسوة، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات.

قوله تعالى: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ يعني من كان مرضياً في ديانته وأمانته، وشرائط [قبول][1] الشهادة سبعة: الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة، فشهادة الكافر مردودة لأن المعروفين بالكذب عند الناس لا تجوز شهادتهم، فالذي يكذب على الله تعالى أولى أن يكون مردود الشهادة، وجوّز أصحاب الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض، ولا تقبل شهادة العبيد، وأجازها شريح وابن سيرين وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا قول للمجنون حتى يكون له شهادة، ولا تجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك؟ فقال: لا تجوز، لأن الله تعالى يقول: «ممن ترضون من الشهداء» والعدالة شرط، وهي أن يكون الشاهد مجتنباً للكبائر غير مصرّ على الصغائر، والمروءة شرط، وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء، وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة، فإن كان الرجل يظهر من نفسه في شيء منها ما يستحي أمثاله من
٥١/أ إظهاره في الأغلب يعلم به قلة مروءته وترد شهادته ، وانتفاء / التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وإن كان مقبول الشهادة على غيره، لأنه متهم في حق عدوه، ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وإن كان مقبول الشهادة عليهما، ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته إلى نفسه نفعاً، كالوارث يشهد على رجل بقتل مورّثه، أو يدفع عن نفسه بشهادته ضرراً كالمشهود عليه يشهد بجرح من يشهد عليه لتمكن التهمة في شهادته.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان، أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي، أخبرنا أبو عبيد القاسم ابن سلام أخبرنا مروان الفزاري عن شيخ من أهل الحيرة يقال له يزيد بن زياد عن الزهري عن عروة عن

(١) في نسخة ب (وجوب).

عائشة رضي الله عنها ترفعه «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غِمرْ على أخيه ولا ظَنِين في ولاء ولا قرابة ولا القانع[1] مع أهل البيت»[2].

قوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما﴾ قرأ حمزة إن تضل بكسر الألف ﴿فتذكر﴾ برفع الراء، ومعناه الجزاء والابتداء، وموضع تضل جزم بالجزاء إلا أنه لا يتبين في التضعيف «فتذكر» رفع لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ، وقراءة العامة بفتح الألف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الأول، وتضل محله نصب بأن فتذكر منسوق عليه، ومعنى الآية: فرجل وامرأتان كي تذكر ﴿إحداهما الأخرى﴾ ومعنى تضل أي تنسى، يريد إذا نسيت إحداهما شهادتها، تذكرها الأخرى فتقول ألسنا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا؟ قرأ ابن كثير وأهل البصرة: فتذكر مخففاً، وقرأ الباقون مشدداً، وذكر واذّكر بمعنى واحد، وهما متعديان من الذّكْر الذي هو ضد النسيان، وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال: هو من الذَّكَر أي تجعل إحداهما الأخرى ذَكَراً أي تصير شهادتهما كشهادة ذكر، والأول أصح لأنه معطوف على النسيان.

قوله تعالى: ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ قيل أراد به إذا ما دعوا لتحمُّل الشهادة، سماهم شهداء على معنى أنهم يكونون شهداء وهو أمر إيجاب عند بعضهم، وقال قوم: تجب الإجابة إذا لم يكن غيره فإن وجد غيره (فهو مخير)[3] وهو قول الحسن، وقال قوم: هو أمر ندب وهو مخير في جميع الأحوال، وقال بعضهم، هذا في إقامة الشهادة وأدائها فمعنى الآية «ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا» لأداء الشهادة التي تحملوها، وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير، وقال الشعبي: الشاهد بالخيار ما لم يشهد، وقال الحسن: الآية في الأمرين جميعاً في التحمل والإقامة إذا كان فارغاً.

﴿ولا تسأموا﴾ أي ولا تملوا ﴿أن تكتبوه﴾ والهاء راجعة إلى الحق ﴿صغيراً﴾ كان الحق ﴿أو كبيراً﴾ قليلاً كان أو كثيراً ﴿إلى أجله﴾ إلى مَحِلِّ الحق ﴿ذلكم﴾ أي الكتاب ﴿أقسط﴾ أعدل ﴿عند الله﴾ لأنه أمر به، واتباع أمره أعدل من تركه ﴿وأقوم للشهادة﴾ لأن الكتابة تذكر الشهود ﴿وأدنى﴾ وأحرى وأقرب إلى ﴿ألا ترتابوا﴾ تشكُّوا في الشهادة ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة﴾ قرأهما

(١) السائل.

(٢) رواه الترمذي: في الشهادات ـــ باب: فيمن لا تجوز شهادته ٥٨٠/٦ ـــ ٥٨٢ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن زياد الدمشقي ويزيد يضعف في الحديث ولا يعرف هذا الحديث من حديث الزهري إلا من حديثه، وأخرجه الدارقطني والبيهقي وفيه (ولا ذي غمر لأخيه) وفي سنده يزيد بن زياد الدمشقي، وهو متروك كما عرفت، وقال أبو زرعة في العلل: (هو حديث منكر) وضعفه عبد الحق وابن حزم وابن الجوزي.

وابن ماجه: في الأحكام ـــ باب من لا تجوز شهادته: ٢٣٦٦/٢ وفي الزوائد: في إسناده حجاج بن أرطاة وكان يدلس وقد رواه بالعنعنة، وهذه رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، (ذي غمر: الغمر: الحقد والعداوة).

وأحمد: ٢٠٤/٢، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٢٦ عن عبدالله بن عمرو.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٣/١٠ وقال: هذا حديث غريب ويزيد بن زياد الدمشقي منكر الحديث.

(٣) ساقط من (ب) والكلام بصيغة الجمع.

عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم، مجازه: إلا أن تكون التجارة تجارة (حاضرة)[1] أو المبايعة تجارة، وقرأ الباقون بالرفع وله وجهان:

أحدهما: أن تجعل الكون بمعنى الوقوع معناه إلا أن تقع تجارة.

والثاني: أن تجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله ﴿**تديرونها بينكم**﴾ تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية إلا أن تكون تجارة حاضرة يداً بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل ﴿**فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها**﴾ يعني التجارة ﴿**وأشهدوا إذا تبايعتم**﴾ قال الضحَّاك: هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره نقداً أو نسيئاً، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: الأمر فيه إلى الأمانة لقوله تعالى «فإن أمن بعضكم بعضاً» الآية، وقال الآخرون هو أمر ندب.

قوله تعالى: ﴿**ولا يضار كاتب ولا شهيد**﴾ هذا نهي للغائب، وأصله يضارر، فأدغمت إحدى الرائين في الأخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين، واختلفوا فيه فمنهم من قال: أصله يضارر بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل للكاتب والشهيد، معناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد، ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرِّف ما أُملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول طاووس والحسن وقتادة، وقال قوم: أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم، فيقولان: نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمركما أن تجيبا ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهي عن ذلك وأمر بطلب غيرهما ﴿**وإن تفعلوا**﴾ مانهيتكم عنه من الضرر ﴿**فإنه فسوق بكم**﴾ : أي معصية وخروج عن الأمر ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم * وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة**﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو فَرُهُن بضم الهاء والراء، وقرأ الباقون فرهان، وهو جمع رهن مثل بغل وبغال وجبل وجبال، والرهن جمع الرهان جمع الجمع، قاله الفراء والكسائي، وقال أبو عبيد[2] وغيره: هو جمع الرهن أيضاً مثل سقف وسُقف وقال أبو عمرو وإنما قرأنا فرهنٌ ليكون فرقاً بينهما وبين رهان الخيل، وقرأ عكرمة فرُهْنٌ بضم الراء وسكون الهاء، والتخفيف والتثقيل في الرهن لغتان مثل كُتبٌ وكُتب ورسْلٌ ورُسلٌ ومعنى الآية: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا آلات الكتابة فارتهنوا ممن تداينونه رهوناً لتكون وثيقة لكم بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض، وقوله «فرهان مقبوضة» أي ارتهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلِّم فلا يجبر الراهن على التسليم فإذا سلَّم لزم من جهة الراهن حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقياً، ويجوز في الحضر الرهن مع وجود الكاتب، وقال مجاهد: لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية، وعند الآخرين

(١) ساقط من نسخة (ب).

(٢) في نسخة ب أبو عبيدة.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

خرج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط.

والدليل عليه ما روي أن النبي ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في السفر ولا عند عدم كاتب[(١)] ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ وفي حرف أُبي «فإن ائتمن» يعني فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئاً لحسن ظنه به.

﴿فليؤدِّ الذي ائتمن أمانته﴾ أي فليقضه على الأمانة ﴿وليتق الله ربه﴾ في أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب الشهود وقال: ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ / إذا دعيتم إلى إقامتها نهى عن كتمان الشهادة ٥١/ب
وأوعد عليه فقال ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ أي فاجرٌ قلبه، قيل: ما أوعد الله على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة، قال: «فإنه آثم قلبه» وأراد به مسخ القلب، نعوذ بالله من ذلك ﴿والله بما تعملون﴾ من بيان الشهادة وكتمانها ﴿عليم﴾ .

﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً [وأهلها له عبيد وهو مالكهم][(٢)] ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾
اختلف العلماء في هذه الآية، فقال قوم: هي خاصة ثم اختلفوا في وجه [خصوصها][(٣)] فقال بعضهم: هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة[(٤)] أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين دون المؤمنين، يعني وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروا يحاسبكم به الله، وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين» إلى أن قال «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» (٢٩ ــ آل عمران).

---

(١) رواه البخاري: في الجهاد ــ باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب ٦/٩٩ ونصه: (توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير) عن عائشة.
ومسلم: في المساقاة ــ باب: الرهن وجوازه في الحضر والسفر برقم (١٦٠٣) ٣/١٢٢٦ عن عائشة بلفظ: (اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً بنسيئة، فأعطاه درعاً له رهناً)، والمصنف في شرح السنة: ٨/١٨٢.
(٢) ساقطة من ب.
(٣) في ب تخصيصها.
(٤) في ب معناه وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه أيها الشهود.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا
وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا
ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا
حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ
لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾

وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها(١).

والدليل عليه ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، حدثني محمد بن المنهال الضرير وأمية بن بسطام العيشي واللفظ له قالا: أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزل الله على رسوله ﷺ «لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» الآية قال: اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله ﷺ كُلِّفْنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا ﴿**سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾ قال نعم ﴿**ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا**﴾ قال نعم ﴿**ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به**﴾ قال نعم ﴿**واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**﴾ قال نعم(٢).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه(٣)، وقال في كل ذلك: قد فعلت، بدل

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن سلامة ص ٢٧ ــ ٢٨.
(٢) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، برقم (١٩٩) ١/١١٥.
(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق برقم (٢٠٠) ١/١١٦.

قوله نعم، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وإليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد ابن كعب وقتادة والكلبي.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني، أخبرنا القاسم بن الحكم العرني، أخبرنا مسعر بن كدام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»(١).

وقال بعضهم الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار إنما يرد على الأمر والنهي وقوله ﴿يحاسبكم به الله﴾ خبر لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال «بما كسبت قلوبكم» (٢٢٥ ــ البقرة) فليس لله عبدٌ أسَرّ عملاً أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همسة في قلبه إلا يخبره الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» (٣٦ ــ الإسراء) وقال الآخرون: معنى الآية أن الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعلموه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «يا عائشة هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيروع لها حتى إن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير»(٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامه»(٣).

---

(١) رواه البخاري: في الإيمان ــ باب: إذا حَنِثَ ناسياً ١١/٥٤٩ وفي العتق والطلاق.
ومسلم: في الايمان ــ باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر برقم (٢٠٢) ١/١١٦ ــ ١١٧.
والمصنف في شرح السنة: ١/١٠٨.

(٢) رواه الترمذي في تفسير سورة البقرة ٨/٣٣٨ وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص (٢٢١).
وأخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم.
وأحمد ٦/٢١٨ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الترمذي: في الزهد ــ باب في الصبر على البلاء ٧/٧٧ وقال: هذا حديث حسن غريب.
والمصنف في شرح السنة: ٥/٢٤٥.
ورواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف ــ مجمع الزوائد ١٠ /١٩١ ــ ١٩٢.
ميزان الاعتدال ٢/٥٨٥.

وقال بعضهم ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم**﴾ يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه ﴿**أو تخفوه يحاسبكم به الله**﴾ ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالى «لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» (٢٢٥ ــ البقرة).

وقال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ العبد بالهمَّة قال: إذا كان عزماً أخذ بها، وقيل معنى المحاسبة الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويجزيكم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويعذب الكافرين إظهاراً لعدله، وهذا معنى قول الضحاك، ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، يدل عليه أنه قال: يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذة والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أنا عيسى بن أحمد
٥٢/أ العسقلاني، أنا يزيد بن هارون ، أنا همام بن يحيى/عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذاً بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول: أي عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال فإني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[1] (١٨ ــ هود).

قوله تعالى: ﴿**فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**﴾ رفع الراء والياء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون، فالرفع على الابتداء والجزم على النسق، روى طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما، فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير، «لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يُسْأَلون والله على كل شيء قدير» (٢٣٠ ــ الانبياء).

قوله تعالى: ﴿**آمن الرسول**﴾ أي صدق ﴿**بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله**﴾ يعني كل واحد منهم، ولذلك وحَّد الفعل ﴿**وملائكته وكتبه ورسله**﴾ قرأ حمزة والكسائي: كتابه، على الواحد يعني القرآن، وقيل معناه الجمع وإن ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى: «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب» (٢١٣ ــ البقرة) وقرأ الآخرون وكتبه بالجمع كقوله تعالى: «وملائكته وكتبه ورسله (١٣٦ ــ النساء) ، ﴿**لانفرق بين أحد من رسله**﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت

---

(١) رواه البخاري: في المظالم ــ باب: قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) ٩٦/٥.

اليهود والنصارى، وفيه إضمار تقديره يقولون لا نفرق، وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء فيكون خبراً عن الرسول، أو معناه لا يفرق الكل وإنما قال «بين أحد» ولم يقل بين آحاد لأن الأحد يكون للواحد والجمع قال الله تعالى: «فما منكم من أحد عنه حاجزين» (٤٧ ـــ الحاقة) ﴿**وقالوا سمعنا**﴾ قولك ﴿**وأطعنا**﴾ أمرك.

روى عن حكيم عن جابر رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه، فسأل بتلقين الله تعالى فقال ﴿**غفرانك**﴾[1] وهو نصب على المصدر أي اغفر غفرانك، أو نسألك غفرانك ﴿**ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ ظاهر الآية قضاء الحاجة، وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تكلفنا إلا وسعنا، وأجاب أي لا يكلف الله نفساً إلا وسعها أي طاقتها، والوسع: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، واختلفوا في تأويله فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أنه أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله تعالى ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه**﴾ كما ذكرنا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصة، وسَّع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه إلا ما يستطيعون كما قال الله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (١٨٥ ـــ البقرة) وقال الله تعالى: «وما جعل عليكم في الدين من حرج» (٧٨ ـــ الحج) وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ قال: إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قولٌ حسن لأن الوسع ما دون الطاقة.

قوله تعالى: ﴿**لها ما كسبت**﴾ أي للنفس ما عملت من الخير، لها أجره وثوابه ﴿**وعليها ما اكتسبت**﴾ من الشر وعليها وزره ﴿**ربنا لا تؤاخذنا**﴾ أي لا تعاقبنا ﴿**إن نسينا**﴾ جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، قال الكلبي كانت بنو اسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة، فحرم عليهم من شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك، وقيل هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى: «نسوا الله فنسيهم» (٦٧ ـــ التوبة).

قوله تعالى: ﴿**أو أخطأنا**﴾ قيل معناه القصد والعمد يقال: أخطأ فلان إذا تعمد، قال الله تعالى: «إنَّ قتلهم كان خِطأً كبيراً» (٣١ ـــ الإسراء) قال عطاء : إن نسينا أو أخطأنا يعني: أن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكثرون من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأن ما كان عمداً من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه قال النبي ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما

(١) أخرج الطبري وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن حكيم بن جابر قال: لما نزلت آمن الرسول، قال جبريل للنبي ﷺ: إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه، فسأل: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) حتى ختم السورة بمسألة محمد ﷺ انظر تفسير الطبري: ١٢٩/٦ والدر المنثور: ١٣٣/٢.

استكرهوا عليه»[1].

قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أي عهداً ثقيلاً وميثاقاً لا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ يعني اليهود، فلم يقوموا به فعذبتهم، هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدي والكلبي وجماعة يدل عليه قوله تعالى: «وأخذتم على ذلكم إصري» (٨١ ـــ آل عمران) أي عهدي، وقيل: معناه لا تشدد ولا تغلظ الأمر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود، وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنباً أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الأثقال والأغلال، وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة وجماعة يدل عليه قوله تعالى: «ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» (١٥٧ ـــ الأعراف) وقيل: الإصر ذنب لا توبة له، معناه اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والإحكام.

قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ أي لاتلكفنا من الأعمال مالا نطيقه وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكي عن مكحول أنه قال: هو الغلمة، قيل الغُلْمة: شدة الشهوة، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبدالوهاب قال: العشق وقال ابن جريج: هو مسخ القردة والخنازير وقيل هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها.

قوله تعالى: ﴿واعف عنا﴾ أي تجاوز وامْحُ عنا ذنوبنا ﴿واغفر لنا﴾ استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وارحمنا﴾ فإننا لاننال العمل إلا بطاعتك، ولا نترك معصيتك إلا برحمتك ﴿أنت مولانا﴾ ناصرنا وحافظنا ولينا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿غفرانك ربنا﴾ قال الله تعالى «قد غفرت لكم» وفي قوله لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال: «لا أوأخذكم» ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ قال: «لا أحمل عليكم إصراً» ﴿ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ قال: «لا أحملكم» ﴿واعف عنا﴾ إلى أخره قال «قد عفوت عنكم، وغفرت لكم، ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين»[2].

وكان معاذ بن جبل إذا ختم سورة البقرة قال: آمين.

---

(١) لقد اشتهر بهذا اللفظ في كتب الفقه والأصول والمعروف ماأخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس بلفظ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» رجاله كلهم ثقات ولكن يوجد فيه انقطاع بين ابن عباس وعطاء وأشار إلى هذا البوصيري في الزوائد فقال إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع وقد ورد بألفاظ أخرى يقوي بعضها بعضاً.

انظر إرواء الغليل بتحقيق الشيخ الألباني ١٢٣/١ والمعتبر في تخريج أحاديث المنهاج، والمختصر للزركشي ص١٥٤.

(٢) ذكره الطبري عند تفسير الآية: ١٤٢/٦ ـــ ١٤٣ وانظر تعليق محمود شاكر في الحاشية.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم
ابن محمد بن سفيان ، أنا مسلم بن الحجاج ، أنا أبو بكر بن أبي شيبة / أنا أبو أسامة حدثني مالك ٥٢/ب
ابن مِغْوَل عن الزبير بن عدي عن طلحة بن علي بن مصرّف عن مرة عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعْرَجُ به من الأرض فَيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَطُ به فوقها فَيُقْبَضُ منها قال: «إذ يغشى السدرة ما يغشى» (١٦ ـــ النجم) قال: فراش من ذهب قال: وأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: الصلوات الخمسَ وأُعطي خواتِيمَ سُورةِ البقرة، وغُفِرَ لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً من المُقْحَمَاتِ»[1] كبائر الذنوب.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أنا يونس وأحمد بن شيبان قالا: ثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلةٍ كَفَتَاهُ»[2].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أنا العلاء بن عبد الجبار، أنا حماد بن سلمة، أخبرنا الأشعث بن عبد الرحمن الجرمي، عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، برقم (١٧٣): ١/١٥٧.

(٢) رواه البخاري: في المغازي ـــ باب: رقم ١٢ ـــ ٧/٣١٧ ـــ ٣١٨ وفي فضائل القرآن.
ومسلم: في صلاة المسافرين ـــ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة برقم (٢٥٥) و (٢٥٦) ١/٥٥٤ ـــ ٥٥٥.
والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٦٤، واختلف في معناه فقيل: أجزأتاه عن قيام الليل، وقيل: كفتاه أجراً وفضلاً، وقيل: كفتاه من كل شيطان أو من كل آفة.

(٣) رواه الترمذي. في ثواب القرآن ـــ باب: ما جاء في آخر سورة البقرة: ٨/١٩٠ وقال: هذا حديث غريب.
وابن حبان: في التفسير ـــ تفسير سورة البقرة برقم (١٧٢٦) ص ٤٢٧ من موارد الظمآن.
وأحمد: ٤/٢٧٤ عن النعمان بن بشير.
والدارمي: في الفضائل ـــ باب: فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي: ٢/٤٤٩.
والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٦٧ ـــ وقال: هذا حديث غريب ـــ انظر حاشية شرح السنة.